مجلة كلية الآداب

مجلة علمية مُحكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب بجامعة الزاوية

الجزء الأول

- نظرية ترتيب الأولويات (وضع الأجندة) بين النشأة والتطـــــور.
- الموقف الليبي من أزمة السويس 1956م - (العدوان الثلاثي على مصر).
- تعدد الأوجه الإعرابية في بعض التراكيب اللغوية.
- النفايات الطبية بمستشفى الزاوية وتأثيرها وكيفية إدارتها.
- مشكلات التوافق النفسي لدى عينة من الأطفال النازحين بليبيا.
- تقنية أشغال النسيج لدى طلبة الفنون بين الإبداع والتطبيق.

العدد الثاني والعشرون - ديسمبر 2016م

مجلة كلية الآداب
نصف سنوية علمية محكمة - جامعة الزاوية
الجزء الأول
العدد الثاني والعشرون - ديسمبر 2016م

مجلـــة كليـــة الآداب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية الآداب

بجامعة الزاوية

العدد الثاني والعشرون

الجزء الأول

ديسمبر 2016 م

تمت عمليات الجمع المرئي والطباعة **بدار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان**
ليبيا – الزاوية – شارع عبد المنعم رياض – هـ 0925031603

الرئيس الشرفي للمجلة
د. حسن مولود الجبو

هيئة التحرير

رئيس التحرير : د. المختار عثمان العفيف

مراجعة لغوية : أ. عز الدين علي الذيب

الهيئة الإستشارية

د. عائشة أحمد حسن — د. حسن مولود الجبو
د. سالم مصطفى القريض — د.عمارة امحمد أبوزيد
د.محمد عبد المجيد حسنات — د.أنور الرماح الشريف

المراسلات :
ترسل المراسلات باسم رئيس التحرير – جامعة الزاوية
هـ وفاكس : 023-626881
www.aladab.zu.edu.ly
السعر : ديناران أو ما يعادلهما خارج ليبيا

قـواعـد الـنـشـر

1- تنشر مجلة " كلية الآداب " الأبحاث الأصلية والمبتكرة التي تتسم بالجدة والدقة والمنهجية، ولم يسبق نشرها في أي مطبوعة أخرى، وليست جزء من رسالة الماجستير أو الدكتوراه للباحث.
2- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى الفحص العلمي بشكل سري من قبل متخصصين، وتحدد صلاحيتها للنشر بناء على رأي لجنة التحكيم.
3- يجب أن يتقيد الباحث بالمنهجية، وأصول البحث العلمي، وأن يُشير إلى الهوامش والمراجع في المتن بأرقام، وترد قائمتها في نهاية البحث لا في أسفل الصفحة.
4- يجب أن يُقدم البحث مطبوعاً بالحاسوب من نسختين، مرفقاً معهما قرص "CD" يتضمن البحث المطلوب نشره.
5- يجب أن يكتب الباحث أسمه، وعنوان البحث، ومكان عمله، ودرجته العلمية في ورقة مستقلة،ويعاد كتابة عنوان البحث فقط على الصفحة الأولى من البحث.
6- اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمجلة، ونرحب بالبحوث المكتوبة باللغة الأجنبية، على أن ترفق بملخص واف باللغة العربية.
7- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية "الماجستير" و" الدكتوراه " التي تمت مناقشتها وإجازتها، كما ترحب بإسهام الباحثين بعرض الكتب والدراسات والتقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية.
8- تقبل المجلة نشر الإعلانات، خاصة تلك المتعلقة بالأنشطة العلمية.
9- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.
10- الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط.

المحتويات

عنـــــوان البحـــــث	اسم الباحـــــث	الصفحة
نظرية ترتيب الأوليات(وضع الأجندة) بين النشأة والتطور		
	د. أحمد البشير الغول	1
الموقف الليبي من أزمة السويس 1956م- العدوان الثلاثي على مصر		
	د. المختار عثمان العفيف	29
الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور، الأحزاب، المجادلة، التحريم		
	أ. أمال الصادق عبدالله البشتي	52
تعدد الأوجه الإعرابية في بعض التراكيب اللغوية		
	أ. مصطفى على مسعود شاماكه	99
طبيعة المعرفة الإنسانية عند الفلاسفة المسلمين		
	د. ميلود القمودي	115
النفس الإنسانية ودورها في الفعل الأخلاقي عند توما الإكوين		
	د. سمية الطيب الطاهر عمران	126
النفايات الطبية بمستشفى الزاوية، تأثيراتها وكيفية إدارتها		
	أ . مصطفى عاشور القاضى	141
مشكلات التوافق النفسي لدى عينة من الأطفال النازحين بليبيا		
د. سالم عبد القادر مجاهد	د. يوسف أبوالقاسم الأحرش	164
النسق السياسي ودوره في اتخاذ القرار السياسي (رؤية تحليلية)		
	أ. عفاف سالم محمد سعيد	186
دلائل الرحمة الإلهية في الشريعة الإسلامية		
	د. نصر عمر عطية	222

المحتويات

عنـــوان البحـــث	اسم الباحـــث	الصفحة
ظاهرة التعويض في اللغة العربية		
	د. عمارة إمحمد الميساوي أبوزيد	242
دلاليات الزمكانية في ديوان طين الأبدية		
	د. سليمان حسن زيدان	264
تباين التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة أثر تدهوره على النظم الإيكولوجية		
	أ. فوزية حسن المبروك عبدالله	288
مدى أهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية بالمرحلة الإعدادية		
	د. حسيـن علي القنبـاوي د. الشريف محمد الحراري	315
تقنية أشغال النسيج لدى طلبة الفنون بين الإبداع والتطبيق		
	د. حسن مولود الجبو	335
الوسائل الآدبية في مسرحية هاملت		
	أ. فجرة سليمان الكيلاني	356

تنويه

إن تقديم البحوث المنشـــورة أو تأخيرها
في ترتيب الصفحات لا يعني المفاضلة،
لكن متطلبات التنسيق الفني هي التي
تتحكم في هذا الترتيب

نظرية ترتيب الأولويات (وضع الأجندة) بين النشأة والتطور
دراسة توثيقية

د. أحمد البشير الغول
كلية الآداب – جامعة الزاوية

مدخل:

تستحوذ وسائل الإعلام في هذا العصر على كل الاهتمامات لما لها من قوة في التأثير على الأفراد والجماعات داخل المجتمع، حيث أصبحت أداة تساند القوة السياسية والاقتصادية والأيديولوجية والعسكرية في الدول الحديثة، وباتت الرسائل الإعلامية تحيط بنا حيثما نكون مع اختلاف مضامينها، مما أصبح لزاماً على الباحثين في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والإعلامية أن يبحثوا في تأثير هذه الوسائل على الناس، كذلك ضرورة الوعي بأهم نظريات تأثير تلك الوسائل ومعرفة الإمكانيات التي توفرها هذه النظريات للقائمين بالاتصال وذلك لتصميم رسائل أكثر فاعلية وتأثير[1]، وتعد نظرية (الأجندة) أو ترتيب الأولويات من أهم هذه النظريات ومقياساً رئيساً تقاس به أجندة وسائل الإعلام تجاه القضايا المجتمعية، حيث "تشغل دراسات ترتيب الأولويات أو ما يسمى وضع الأجندة (علاقة التأثير المتبادل بين أولويات قضايا الإعلام وأولويات قضايا الرأي العام والسياسة العامة) الحيز الأكبر من اهتمام المجتمع الأكاديمي العالمي منذ البدايات الأولى لهذه النوعية من الدراسات على يد الباحثين Maxwell McCombos& Donald Show صاحبا أول دراسة منشورة على وضع الأجندة عام 1972 م، وتحتل دراسات وضع الأجندة أهمية خاصة في المجتمعات الديمقراطية التي تولى عناية خاصة لاهتمامات الرأي العام وتوجهاته كمدخلات في عمليات صنع القرارات ووضع السياسات على كافة المستويات"[2].

مشكلة الدراسة:

تعد نظرية ترتيـــ(الأجندة)ب الأولويات من أهم النظريات أهميةً كونها تبحث في العلاقة المتبادلة بين أولويات جمهور وسائل الإعلام وأولويات الوسائل الإعلامية نفسها، حيث أن هذه النظرية ترى بأن هناك تأثيراً من وسائل الإعلام على الجمهور في تحديد أواوياتهم تجاه القضايا اليومية، كما إنها تؤثر عليهم في تصنيف هذه القضايا كونها قضايا مهمة يجب متابعتها وأخرى أقل أهمية، ويرى الباحث أن ما يحصل اليوم داخل الوسائل الإعلامية سواءً أكانت عالمية أم عربية أم محلية من خطابات ومضامين موجهة برزت على السطح تشوبها العديد من الاجندات والأولويات تجاه القضايا المختلفة، يجعلنا نرى أنه من الضرورة بمكان امتلاك مقاييس ومعايير نستطيع من خلالها فهم وتحديد طبيعة العمل والسياقات التي تمر بها عملية ترتيب الأولويات داخل هذه الوسائل الإعلامية، ومن ثم تكمن مشكلة هذه الدراسة في محاولة لفهم أكبر لهذه النظرية من خلال معرفة نشأتها ومراحل تطورها وأهم مكوناتها ومبادئها وفروضها، بالإضافة إلى معرفة من يضع أجندة وسائل الإعلام وفق مفهومها ورؤيتها، الأمر الذي يمكننا من امتلاك تلك المقاييس التي ذكرت سلفاً.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة التوثيقية كونها تخوض في أهم نظريات وسائل الإعلام فاعليةً حتى يومنا هذا، وهى نظرية ترتيب الأولويات (الأجندة) والتى تعد وفق نظر العديد من الباحثين منهجاً يعتد به داخل وسائل الإعلام في إعداد مضامينها المختلفة الموجهة للجمهور حتى يومنا هذا، ومن ثم فإن أهمية هذه الدراسة تتمثل في التطرق لمعرفة هذه النظرية عن قرب وأهم مكوناتها، ومحاولة استنباط بعض النتائج والتفسيرات لهذه النظرية.

أهداف الدراسة:

1- التعرف على نشأة نظرية ترتيب الأولويات ومراحل تطورها.
2- تحديد مفهوم نظرية ترتيب الأولويات وأهم مكوناتها ومبادئها.
3- معرفة الاستراتيجيات القائمة عليها نظرية ترتيب الأولويات .
4- محاولة فهم علاقة وسائل الإعلام بالسياسية وفق مفهوم هذه النظرية.
5- معرفة من يضع أجندة من، وفق مفهوم هذه النظرية.
6- الوصول إلى خلاصات و نتائج وتفسيرات لأهم مفاهيم هذه النظرية.

تساؤلات الدراسة:

1- ما أهم المحطات والمراحل التارخية التي مرت بها نظرية ترتيب الأولويات؟
2- ما أبرز المبادئ التي تنص عليها نظرية ترتيب الأولويات وأهم مكوناتها واستراتيجياتها؟
3- ما طبيعة العلاقة القائمة بين وسائل الإعلام والسياسة وفق رؤية هذه النظرية؟
4- من يضع أجندة من، وفق مداخل نظرية ترتيب الأولويات ؟
5- ما أهم النتائج والتفسيرات العامة التي نستطيع أن نستنبطها من عرض هذه النظرية؟

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على (المنهج التاريخي) والذي يهتم بسرد الوقائع والأحداث والمحطات التاريخية التي مرت بها ظاهرة الدراسة من خلال استرداد الماضي بطريقة منهجية وموضوعية عبر تجميع الأدلة والوثائق التاريخية وتقويمها والتحقق من تركيباتها، لاستخلاص الحقائق والوصول إلى نتائج تمكننا من فهم أكبر للظاهرة أو موضوع الدراسة ومدى ارتباطها بالحاضر[3].

أولاً – الخلفية التاريخية للنظرية ومراحل تطورها:

على الرغم من أن هذه النظرية اعتبرت من نظريات التأثير المعتدل والتي ظهرت في أواخر الستينيات، إلا أن البداية الحقيقية لها كانت للباحث (والتر ليبمان) Lippman سنة 1922م عندما توصل في دراسته إلى نتائج أثبتت أن لوسائل الإعلام دوراً مهما في توجيه اهتمامات الجمهور من خلال تحليل مضمون (1000) موضوع نشرته صحيفة (نيويورك تايمز) الأمريكية خلال 36 شهراً للتعرف على الكيفية التي عالجت بها صحيفة رفيعة المستوى الثورة البلشفية، وانتهت الدراسة إلى القول بأن صحيفة الدراسة قدمت صورة زائفة للثورة الشيوعية[4]، كما أشار (والتر ليبمان) في كتابه "الرأي العام"، عندما ناقش دور وسائل الإعلام في تشكيل الصورة الذهنية عن العالم الخارجي، حيث أكد فيه أن هذه الوسائل تساعد على بناء الصورة الذهنية عن القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة لدى الجمهور، وبذلك تعمل على تشكيل الرأي العام حيال القضايا المختلفة لدى الجمهور[5].

ومن ناحية أخرى هناك نص مباشر لم يلتفت إليه العديد من الباحثين من قبل حول وظيفة وضع الأجندة حينما اعتبر "برنارد بيرلسون" 1948م في مقالته المعنونة بالاتصالات والرأي العام" أن وسائل الإعلام تعد المسرح السياسي للمناظرات الجارية، ويرى أن هناك بعض الدلائل بأن المناقشات الخاصة حول المسائل السياسية تأخذ مؤشراتها من عرض وسائل الإعلام لهذه الرسائل، إذ أن الناس يتحدثون في السياسة متماشين في ذلك مع الخطوط التي ترسمها وسائل الإعلام... فوسائل الإعلام بهذا المعنى ترشد وتعلم الجمهور عما يتحدثون.

وتبعاً لهذا النموذج فإن الجمهور لا يتعلم من وسائل الإعلام، فحسب المسائل العامة والأمور الأخرى، ولكنه يتعلم كذلك كم تبلغ المسائل من أهمية تبعا للتأكيد الذي يتلقاه من قبل وسائل الإعلام، وبذلك يكون (بيرلسون) قد أشار ولو بشكل

غير مباشر إلى مفهوم ترتيب الأولويات أو ما يسمى بوضع الأجندة من خلال وسائل الإعلام[6].

في حين أن البعض يشير إلى أن أول إشارة مباشرة للنظرية والتأكيد على هذه الوظيفة لوسائل الإعلام، نظرا لتجاهلها تماما في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، كانت لـــ نورتون لونج Norton Long في مقالته عام 1958 م والتي ذكر فيها أن الصحف تعتبر المحرك الأول في وضع القضايا المحلية ، وهى تلعب دوراً مهماً في تحديد ما يتحدث عنه الأفراد وما يفكرون فيه، وقد وضحها أكثر برنارد كوهن Bernard Cohen، إذ أحياها بعد ذلك في كتابه الصحافة والسياسة الخارجية عام 1963 م حين أكد وجهة نظر ليبمان بقوله: "أن وسائل الإعلام لا تنجح دائما في إبلاغ الجماهير كيف يفكرون (الاتجاهات)، ولكنها تنجح دائما في إبلاغهم عما يجب أن يفكروا فيه (المعلومات)"، أي أنها تعلم جمهورها وترشده إلى ما يجب أن يتحدث فيه، فهي قادرة على تعليمه مدى الأهمية التي تكتسبها المسائل والقضايا[7].

وقد ظلت فكرة ترتيب الأولويات فكرة نظرية تحتوى على تكهنات وأفكار، ولم تأخذ اسمها المتعارف عليه حالياً (Agenda Setting) حتى جاءت دراسة (Maxwel Mac Combs, D. Show) عام 1972م عن دور وسائل الإعلام في حملة الانتخابات للرئاسة الأمريكية عام 1968م والتي جرى تطبيقها في مدينة (شايل هيل) بولاية (نورث كارولينا) الأمريكية، حيث جمعا قائمة وسائل الإعلام من خلال تحليل محتواها المتعلق بالحملة الانتخابية، وكذلك قائمة أولويات الجمهور من عينة عشوائية قوامها (100) مفردة، وقد أثبتت الدراسة وجود ارتباط إيجابي قوى بين أجندة وسائل الإعلام وأجندة الجمهور، وأكدت أن تلك الوسائل أثرت على اهتمامات الجمهور ورتبت قائمة أولوياته[8].

كما برز أيضاً مفهوم (وضع الأجندة) لدى الباحث (فيكو بيتلا) Viekkopietila سنة 1977 م، حيث أشار (بيتلا) إلى أن إجراء دراسة ملموسة لقياس تأثيرات وسائل الإعلام ، ينبغي أن يتضمن الخطوات الآتية:

1- اختبار قضية أو مشكلة اجتماعية، ودراسة طبيعتها وجوهرها.

2- إجراء تحليل لمحتوى وسائل الإعلام؛ للتعرف على كيفية تقديم هذه الوسائل للمشكلة أو القضية محل الدراسة.

3- إجراء دراسة للتعرف على معارف الجمهور وتصوراته حول القضية ذاتها.

4- الربط بين تصورات الجمهور عن القضية، والكيان الاجتماعي الذين ينتسبون إليه.

5- الربط بين تصورات الجمهور وإدراكه للقضية من ناحية، ومحتوى وسائل الإعلام من ناحية أخرى.

6- الربط بين أوجه التشابه والاختلاف بين محتوى وسائل الإعلام، وإدراك الجمهور للقضية من ناحية، والكيان الاجتماعي الذي ينتسب إليه الجمهور من ناحية أخرى[9].

وعلى الرغم من أهمية الأفكار السابقة لدى العديد من الباحثين والكتاب، والتي تناولت مفهوم (وضع الأجندة) سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إلا أن هذه الأفكار تعد غامضة، فضلاً عن افتقارها إلى محددات علمية وخصوصاً إذا ما قورنت بالفروض القابلة للتطبيق العملي على أرض الواقع، والتي جاء بها كل من (ماكمبوس) و(شو) عن وضع الأجندة من قبل وسائل الاتصال الجماهيري، فقد واصل الباحثان دراستهما في تطوير هذا النوع من الدراسات، ففي عام 1993 م أثبتت إحدى دراساتهم بأن "الدور الرئيس لوضع الأجندة من خلال وسائل الإعلام يتمثل في تعضيد وتأكيد الإجماع الاجتماعي."[10] وقد رصدت الأبحاث والدراسات المتخصصة في هذا النوع من الدراسات مراحل تطور نظرية ترتيب الأولويات من حيث موضوعاتها واهتماماتها البحثية، وتلخصت في الآتي:

1- المرحلة الأولى: سميت بمرحلة المبادرات وتضمنت مجموعة من الاختبارات البسيطة للأولويات كتحليل بعض المواد المقدمة في وسائل الإعلام ومقارنتها باهتمامات الجمهور وهي التي تمت دراستها في السبعينيات.

2- المرحلة الثانية: اهتمت بالكشف عن الشروط والظروف الواجب توفرها لتفعيل تأثيرات الأولويات والعوامل الاجتماعية والفروق الفردية الديمغرافية خلال فترة الثمانينيات.

3- المرحلة الثالثة: اهتمت هذه المرحلة بدراسة صورة المرشح التي تعرضها وسائل الإعلام والاهتمام السياسي للناخبين كأولويات بديلة، والكشف عن دور الاتجاهات والعوامل السيكولوجية في تشكيل أولويات الناخبين.

6- المرحلة الرابعة: وهى الراهنة والتي تطرح التساؤل حول من يضع أولويات الوسيلة الإعلامية، فهي تعنى بدراسة التأثيرات المحتملة لمصادر الأخبار والمعلومات على بناء وترتيب أولويات تلك الوسائل وعن تأثير قادة الرأي الذي يملكون القدرة على التأثير في بناء وتشكيل أولويات وسائل الإعلام[11].

ثانياً - مفهوم (وضع الأجندة):

تكاد تنتمي أغلب دراسات وبحوث الاتصال الجماهيري إلى دائرة التأثيرات الاجتماعية إذ بنيت كل بحوث الاتصال الجماهيري على افتراض مفاده وجود تأثيرات معينة تقع من جانب وسائل الاتصال الجماهيري على الفرد والمجتمع.

وعلى ذلك يرتبط مفهوم وضع الأجندة (genda Setting) بدراسة العلاقة المتبادلة بين وسائل الإعلام والجماهير في تحديد أولويات الاهتمام بالقضايا المثارة بالمجتمع، حيث يشير مفهوم وضع الأجندة بين الباحثين الإعلاميين إلى وجود علاقة ارتباطيه بين كل من وسائل الإعلام (ترتيب أولويات القضايا بوسائل الإعلام)، وأجندة الجمهور (ترتيب أولويات القضايا لدى الجمهور)، بحيث تضع وسائل الإعلام أولويات اهتمامات الجمهور حول القضايا المختلفة من خلال إبرازها لهذه القضايا عبر المساحة والوقت المخصص لهذه القضايا[12].

وتقوم نظرية وضع الأجندة على افتراضية أساسية مؤداها أن وسائل الإعلام وعلى رأسها الصحافة تقوم بعملية انتقاء واختيار لبعض القضايا والموضوعات المثارة بالمجتمع، ويتم التركيز عليها وإبرازها، مما يضعها في أولويات اهتمامات الجماهير بشكل تدريجي، وتشكل بالنسبة لهم أهمية نسبية عن باقي القضايا الأخرى أي : " كلما زاد تركيز وسائل الإعلام على موضوعات وقضايا بعينها؛ ترتب على ذلك إدراك الجمهور لهذه الموضوعات والقضايا بوصفها قضايا بالغة الأهمية[13]

وقد صاحب ظهور مفهوم وضع الأجندة تحولاً مهماً في مسار الدراسات الإعلامية من التركيز على دور وسائل الإعلام في تغيير الاتجاهات والسلوك (أي الدور الإقناعي) من خلال التركيز على دور وسائل الإعلام في التنمية المعرفية للإفراد من حيث ترتيب أولويات القضايا العامة لدى الجمهور (أى الدور المعرفي)[14] وبشكل آخر يفترض هذا المدخل أن وسائل الإعلام لا تستطيع أن تقدم جميع الموضوعات والقضايا التي تحدث في المجتمع بمستوى واحد، وإنما يختار القائمون على هذه الوسائل بعض الموضوعات التي يتم التركيز عليها بشدة والتحكم في طبيعتها ومحتواها، هذه الموضوعات تثير اهتمام الناس تدريجيا وتجعلهم يدركونها ويفكرون فيها، ومن ثم تمثل هذه الموضوعات لدى الجماهير أهمية أكبر نسبيا عن الموضوعات التي لا تطرحها وسائل الإعلام، وعملية الانتقاء اليومي لموضوعات قائمة أولويات وسائل الإعلام وأساليب إبراز أو طمس تلك الموضوعات، وتحريكها صعودا أو هبوطا لا تستهدف إثارة اهتمام الجمهور العام فقط، إنما هي عملية تستهدف – أيضا – صانعي القرار السياسي[15].

وقد أشارت العديد من الدراسات الإعلامية إلى أن دراسة العلاقة بين اهتمامات وسائل الإعلام واهتمامات المثقف يعد تطورا في دراسات وضع الأجندة والاتصال السياسي، وعلى الرغم من ذلك لم تتكرر هذه الدراسات حيث ينصب التركيز على دراسة العلاقة بين أجندة وسائل الإعلام وأجندة الرأي العام[16]

وبناء على ذلك تسهم وسائل الإعلام وعلى رأسها الصحافة كثيرا في تشكيل الرأي العام ورؤيته للقضايا التي توجه للمجتمع، فمن خلال التركيز على قضية معينة وتجاهل أخرى تحدد وسائل الإعلام أولويات أفراد المجتمع في الاهتمام بالقضايا المتعلقة بقطاعات متنوعة في المجتمع[17]، فوضع الأجندة عملية تقوم بها وسائل الإعلام باختيار ما يوصف بأنه أهم القضايا العامة والمختلفة، لكن قيامها بهذه الوظيفة لا يكون بطريقة مباشرة، كأن تخبر الجمهور بأن هذه القضية هي الأكثر أهمية، ولكن يكون ذلك من خلال تكرار تغطية هذه القضية بشكل أكبر مقارنة بالقضايا الأخرى، وتخصيص حيز زمني ومساحة أكبر أو بطريقة استعراضية تجعلها أكثر بروزاً[18]، وغيرها من العوامل الأخرى سيأتي ذكرها فيما بعد.

ثالثاً / أهم المفاهيم الأساسية(المبادئ) التي تقوم عليها نظرية ترتيب الأولويات:

إن نظرية ترتيب الأولويات شأنها شأن أي نظرية أخرى تستهدف ضمن أهداف أخرى وصف الواقع الذي تدرسه، والتعبير بوضوح عن العلاقات القائمة في هذا الواقع، وتكتسب المفاهيم أهمية خاصة في أي نظرية بحيث يمكن القول بأنها تشكل أول وأهم مكون في أي نظرية.

وفيما يأتي عرض لأهم مبادئ نظرية ترتيب الأولويات:

1- يتمثل الفرض الرئيس لنظرية الأولويات في وجود علاقة إيجابية قوية بين تركيز وسائل الإعلام على قضايا معينة وحجم الأهمية التي يعتبرها الجمهور لنفس القضايا[19].

2- دعمت نظرية ترتيب الأولويات المنطق القائل بأن وسائل الاتصال لا تعلم الناس كيف يفكرون ولكنها تعرفهم فيم يفكرون، فهي لا تخبرنا بما تعتقد ولكنها تقترح بشكل إجمالي ما توافق على مناقشته[20].

3- يختلف الدور التأثيري الذي تقوم به نظرية ترتيب الأولويات عن التأثير الإقناعي الذي تتضمنه النظريات السابقة، مثل (نظرية الحقنة تحت الجلد) والتي

تعتمد على التأثير الفوري، الشامل، المتماثل، حيث وسائل الاتصال الجماهيري لها تأثيرات جماهيرية واسعة، أما في مثل هذه النظريات التي تنطلق مما طرحه (جوزيف كلابر) Joseph Klapperعالم 1960 م التي تفترض أن وسائل الاتصال الجماهيرية لها تأثيرات محدودة فيما يتعلق بالسلوك والاتجاهات، فالتأثير المتميز لترتيب الأولويات يفترض تركيز الاهتمام حول قضايا وأحداث معينة، وتحديد الأهمية النسبية التي يمنحها الجمهور للموضوعات العامة، حيث يميل الناس لإبراز ما تعكسه وسائل الإعلام، واستبعاد ما تستبعده هذه الوسائل[21].

4- إن الشخص الذي يتعرض لقائمة وسيلة إعلامية معينة سوف يتكيف للأهمية المنسوبة للقضايا المطروحة في اتجاه يتفق مع حجم الاهتمام الممنوح لهذه القضايا، بمعنى زيادة التركيز على موضوع أو قضية معينة في وسائل الإعلام بسبب زيادة بروز هذا الموضوع أو تلك القضية عند الجمهور[22].

5- إن العلاقة بين أولويات الوسيلة الإعلامية وأولويات الجمهور مرتبطة بالواقع الاجتماعي للمتغيرات الأخرى، وهذه المتغيرات تؤثر على الوضع النهائي لأجندة الوسيلة أو الجمهور[23].

6- من المقبول بوجه عام القول إن تأثيرات وسائل الاتصال تأخذ وقتاً حتى تظهر، وأحد التفسيرات لذلك هى الحاجة إلى وقت سابق في عملية الاتصال، حيث إن العملية تتم على مرحلتين، وتبدأ من وسائل الاتصال إلى قادة الرأي الذين يقومون بدورهم في التأثير على التابعين لهم، فضلاً عن الفترات الزمنية المعتاد وضعها لمثل هذا النوع من الدراسات قبل وبعد تصميمها من قبل الباحثين والمختصين[24]؛ نتيجة لعدة ظروف وعوامل متعلقة بالنظرية والوسيلة الإعلامية والمتلقي نفسه، وقد حدد(ماكمبوس وشو) D. Shaw&MC Combs (1977م) الفترة الزمنية التي قد تستغرقها ترتيب الأولويات، وهي في غضون أربعة أشهر، أي ما يعادل تقريباً من 2ــ 6 شهور، أما (زوكر) 1978م Zucker فقد وجد أن التأثير المحتمل يحدث خلال 2 إلى 6 أسابيع قبل قياس القضية عند الجمهور. أما

(سالوين) 1988م Salwen من وجهة نظره فهو يرى أنها من 6-10 أسابيع.(25) ويرجع هذا الاختلاف من وجهة نظر الباحث لاختلاف البيئة والظروف المحيطة فضلاً عن اختلاف الوسيلة والمناهج المستخدمة وتأثير العوامل الوسيطة في ذلك.

وعربياً يقدم أيضاً (الدكتور بسيوني حمادة)[26] شرحاً مفصلاً في دراسته حول وسائل الإعلام وعلاقتها بالسياسة،حول أهم المفاهيم المتعلقة بهذه النظرية، والتي يرى فيها الباحث أنها خلاصة لأهم التفسيرات التي أجمع عليها الباحثون والمهتمون بهذا النوع من الدراسات، ومن أبرز هذه المفاهيم نسردها في التالي:

1- إن وسائل الإعلام قد لا تنجح كل الوقت في تعريف الناس كيف يفكرون ولكنها تنجح بكفاءة في تعريف الناس فيما يفكرون.

2- تؤثر وسائل الإعلام بشكل مباشر وقوي على الرأي العام، إلا أن طريقة استخدام الناس لوسائل الإعلام تؤثر في دور وسائل الإعلام وتأثيرها على القضايا العامة.

3- على الرغم من أن هذه النظرية تبدو صحيحة وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تؤيدها إلا أن هناك استثناءات لها. ومعظمها يتوقف على الظروف أو الشروط العامة لوضع الأجندة.

4- إن زيادة تعرض الجمهور لوسائل الإعلام يزيد من قدرته على وضع تصورات أو حلول للمشكلات والقضايا العامة، وإن كانت النقاط السابقة تؤكد على دور وسائل الإعلام في وضع الأجندة، إلا أن دور وسائل الإعلام مرتبط بشكل أساسي بتدعيم القيمة الاجتماعية السائدة، وإضفاء الشرعية على مواقع الصفوة أكثر من تكوين قضايا جديدة أو الدفاع عن قيم جديدة.

5- إن الفكرة السابقة لا تعنى أن وضع الأجندة، أو تدعيم الأجندة عملية خطية تسير في اتجاه واحد فقط؛ ذلك أنه تحت ظروف معينة يؤثر الرأي العام في أجندة

وسائل الإعلام، إلا أن الاتجاه العام الناتج من الدارسات السابقة هو انتقال الأجندة من وسائل الإعلام إلى الجمهور.

6- إن قضية وضع الجمهور لأجندة وسائل الإعلام ليست فكرة نظرية فقط، ولكن هناك بعض الدارسات التي أجريت بهدف التعرف على اتجاه السببية من وسائل الإعلام إلى الجمهور أم العكس.

7- إن هذا المنظور الأوسع لوضع الأجندة يلخصه (جنوتش)، بقوله أن تأثير وسائل الإعلام ليس في التحويل الدرامي المفاجئ لقضايا واهتمامات الرأى العام ولكنه يتمثل في وضع الحدود، أو الإطار العام للمناقشات والمناظرات العامة للقضايا الخلافية.

8- تقوم وسائل الإعلام بوظيفة جديدة لكل قضية تحتل مكاناً في أولويات اهتمامات الجمهور، حيث تنتقى الآراء والأفكار بشكل متناغم، وتبعد عن الآراء والأفكار المتنافسة بشكل يقدم القضية في شكل متماسك من المعلومات والحقائق مما يخلق صورة ذهنية بموضوعية هذه القضية وتعبيرها عن الحقيقة السياسية .

9- تعددت الآراء حول مفهوم الأجندة فهي قضايا سياسية تتكون نحوها بدائل السياسات وتتبلور صوبها المعارضة أو التأييد، فالمفهوم لا يتضمن موقف الفرد من القضية أي الموافقة أو المعارضة النسبية على سياسية ما، ولكن يشير فقط إلى الأهمية النسبية الممنوحة لقضية أو قضايا معينة .

10- لا تستأثر وسائل الإعلام بوضعه الأجندة، ولكن هناك مصادر مختلفة لذلك منها خبرة الفرد الشخصية، تأثير الجماعة، الظروف المحيطة بالفرد في بيئته، لذلك فإن أي نموذج لتفسير وضع الأجندة يجب أن يتضمن الخصائص الكلية للجمهور والخصائص المتعلقة بالأفراد والظروف المحيطة في العالم الخارجي التي يحتمل أن تؤثر في القضية .

11- من أهم أسباب التحيز في دراسات وضع الأجندة أن الموضوعات الخاضعة للدراسة قد تحظى بكثير من الأهمية من جانب الجمهور لأسباب أخرى. على سبيل

المثال فإن التغطية الإعلامية لمرشح معين تتأثر إلى حد كبير بالتغطية الإعلامية للحملة ككل.

رابعاً – مكونات النظرية:

تتكون عملية ترتيب الأولويات من ثلاثة عناصر هي[27] :

1- أولويات وسائل الإعلام Media Agenda Setting وتتخذ من أولويات وسائل الإعلام متغيراً تابعاً لها.

2- أولويات الجمهور Public – Agenda وتتخذ من أولويات اهتمامات الجمهور متغيراً تابعاً لها.

3- أولويات السياسة العامة Pollicy Agenda وتتخذ من أولويات قضايا السياسة العامة ودوائر صنع القرار متغيراً تابعاً لها بينهما يمثل أولويات اهتمامات وسائل الإعلام المتغير المستقل.

1- أولويات وسائل الإعلام:

إن تركيز وسائل الإعلام على قضايا معينة يؤدي إلى انتقال التركيز نفسه إلى الجمهور المتلقي، بحيث تصبح أولويات اهتمامات وسائل الإعلام هي ذاتها أولويات اهتمامات الجمهور، فالجمهور يكيف إدراكه للقضايا وفق تكيف وسائل الإعلام، فهي لا تعطي نفس الاهتمام والتركيز لكل القضايا، حيث تظهر فروق في المعالجة الإعلامية من حيث الشكل والموضوع والتكرار والمساحة أو الزمن وعناصر الإبراز المختلفة، وبناءً على هذه المفارقة تتشكل الأولويات الإعلامية.

وقد حدد (مانهايم) Manheim عام 1987م ثلاثة أبعاد مهمة تساعد على فهم عملية ترتيب الأولويات في وسائل الإعلام وهي :-

أ- الرؤية Visiblity (حجم وبروز التغطية لقضية ما).

ب- البروز لدى الجمهور Audience Selience مدى ارتباط القضايا المطروحة باحتياجات الجمهور).

ج- التكافؤ Valence (التغطية المفضلة أو غير المفضلة لقضية ما).(28)

من يضع أولويات وسائل الإعلام ؟

يعد البحث في وضع أجندة وسائل الإعلام من آخر مراحل تطور بحوث وضع الأجندة، فقد بدأت بحوث وضع الأجندة بالسؤال من يضع أجندة الجماهير لتصل إلى سؤال من يضع أجندة وسائل الإعلام، ويعد (لازرسفيلد ومرتون) Lazarsfeld and Merton أول من طرحا هذا التساؤل الأخير سنة 1984م وكانت وجهة نظرهما " أن وسائل الإعلام ليست إلا نتيجة للقوى الاجتماعية السائدة بما في ذلك المؤسسات الصناعية والتجارية وغيرها من المتغيرات المؤهلة لممارسة الضبط الاجتماعي"، فطبيعة البحث في أجندة وسائل الإعلام تستوجب مجموعة من المداخل:

1- مدخل السلطة.

2- مدخل الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام.

3- مدخل بناء الأجندة.

1- **مدخل السلطة:** أجندة وسائل الإعلام تعكس قيم الممارسة المهنية والأصول والقواعد الاجتماعية للعاملين في الصحافة؛ بمعنى أن وسائل الإعلام أكثر من مجرد قناة للتعبير عن قوة المصادر الأخرى، ولكنها تمثل قوة ذاتية مستقلة، وسوف يزداد حجم هذه القوة في المجتمعات الديمقراطية، والتي تسود فيها حرية الإعلام والملكية الخاصة، حيث تمارس الصحافة السلطة السياسية وتكاد تنعدم فيها الرقابة الحكومية وغير الحكومية[29].

إن مدخل السلطة يفسر أجندة وسائل الإعلام على أنها تعبر عن اهتمامات مراكز القوة في المجتمع، وتعكس الوزن النسبي لهذه القوة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن وسائل الإعلام تمثل أيضا مركز قوة في ذاتها[30].

والسلطة في ظل هذا المدخل مرتبطة بالسياسات الإدارية للمؤسسات الإعلامية، فأهداف المؤسسة الصحفية وأسلوب ممارستها للعمل هو المحدد النهائي لأولويات اهتماماتها ومصدر القوة هو الصحفي في ذاته، ويعتبر حارس البوابة

صاحب القرار الذي يحدد مضمون وشكل وتوقيت ما ينشر، ويشارك في صنع القرار.

2- **مدخل الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام:** يقترح هذا المدخل البحث في تأثير وضع الأجندة بين وسائل الإعلام بعضها البعض، وكذلك العوامل المرتبطة باتجاه التأثير وقوته، وقد يمتد ليشمل تأثير الصحف الدولية والأجنبية ذات المكانة على الصحف الوطنية المحلية والجهوية، وأثر الصحف الوطنية على الصحف الحزبية، خاصة في الدول النامية إعلامياً. وتمارس وسائل الإعلام الغربية الدور الأكبر في وضع أولويات اهتمامات وسائل الإعلام في هذه الدول، ومن ثم وضع أجندة الرأي العام، يتطلب التحقق من هذه الفرضية إجراء دراسات تحليل المضمون لعدد من وسائل الإعلام، لتتبع مصادر المعلومات التي تشكل القضايا التي تحظى باهتماماتها. على الرغم من أن الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام يبقى قائماً للدرجة التي تتحقق فيها المصلحة المشتركة، مع مراعاة درجة الاعتماد، "فالوسيلة الأقوى تؤثر في اهتمامات الوسيلة الأضعف، والوسيلة التي تقع في المركز تؤثر في الوسيلة التي تقع في الهامش"[31].

3- **مدخل بناء الأجندة:** يستعمل بعض الباحثين مفهوم بناء الأجندة بدل مفهوم وضع الأجندة، وهو يعبر عن نفس المضمون، ويشير إلى كل المعلومات المؤثرة في تحديد أولويات وسائل الإعلام، وتتخذ دراسات بناء الأجندة اتجاهين:

أ- الاتجاه الأول: يتعامل مع نتيجة العملية ككل؟ أي تشخيص أجندة الوسيلة الإعلامية الخاضعة للبحث وتتبع تأثير المصادر الإخبارية في بنائها.

ب- الاتجاه الثاني: يدرس مدخلات وسائل الإعلام أو المادة الخام التي يتم من خلالها بناء أجندة الوسائل، إذ يتم تحليل البيانات الصحفية والمؤتمرات والمقابلات، وقد عرف هذه الاتجاه باسم "دعم المعلومات"[32].

لكن يبقى الإجماع على تسمية هذه العملية بوضع أجندة وسائل الإعلام بدلا من بناء الأجندة؛ لتوحيد المفهوم بين المجالات البحثية الثلاث، وهي وضع أجندة الجماهير ووضع أجندة وسائل الإعلام ووضع أجندة النظام السياسي.

ويجيب (بسيوني) حمادة على تساؤل من يضع أجندة من ؟ قائلاً إن البرهنة على التأثير السببي تحتاج إلى التحكم في الترتيب الزمني لاهتمامات الطرفين. فإذا كانت اهتمامات الجمهور تسبق اهتمامات الإعلام، فلا يمكن القول: إن أجندة الإعلام تسبق أجندة الجماهير. فحراس البوابة في وسائل الإعلام يدركون تماماً ما يهتم به الجمهور، وينعكس هذا الإدراك بالضرورة من جانبهم على أجندة وسائل الإعلام وقد أثبتت كل من Miller, Erbring, Goldenberg عام 1980م تبادل التأثير بين اهتمامات الطرفين، وإن كان تأثير أجندة الجماهير على الإعلام ذا طبيعة تدرجية ويأخذ وقتاً طويلاً، فهو عملية أكثر من كونه تأثيراً مباشراً. في حين تؤثر أجندة الإعلام على الرأي العام بشكل مباشر وفوري، خاصة تلك الأحداث التي يفتقر الجمهور إلى استقائها من مصادر أخرى[33].

وفي هذا السياق أشارت إحدى الدراسات التي أوضحت النماذج الأربعة لعملية الأجندة وأشارت إلى دور بعض الأشخاص (قادة الرأي) كوسيط بين الوسيلة والجمهور، وقد أجريت هذه الدراسة على 1000 مفردة وعلى شبكات تلفزيونية ألمانية في الفترة من 1990م–1993م وكانت أهم نتائجها أن قادة الرأي يساهمون بدور أيضاً في تكوين أجندة الوسيلة نفسها. وقد بنيت هذه الدراسة أربعة نماذج مختلفة في هذا الصدد وهي :–

النموذج الأول:

أجندة الوسيلة ⟵ قادة الرأي ⟵ أجندة الجمهور.

النموذج الثاني :

أجندة الجمهور ⟵ قادة الرأي ⟵ أجندة الوسيلة.

النموذج الثالث:

قادة الرأي أجندة الوسيلة ← أجندة الجمهور. ←

النموذج الرابع:

قادة الرأي ← أجندة الجمهور ← أجندة الوسيلة.

وقد خرجت هذه الدراسة من خلال اختبار هذه النماذج الأربعة في عملية وضع الأولويات أو الأجندة إلى أنه ليس هناك نموذج سائد، ولكن النماذج الأربعة متداخلة في عملية الأجندة، فالعملية ليست بالبساطة أن تشكل الوسيلة اهتمامات الجمهور ولكن هناك متغيرات أخرى موجودة[34].

ومن الملاحظ أيضاً أن تأثير هذه النظم في المجتمعات الديمقراطية تعمل بشكل أكبر، فهي تسير بشكل متوازي في بناء الأجندة ، حيث لا يوجد مصدر واحد للتأثير يملك كل الصلاحيات كما هو في بعض مجتمعات العالم الثالث.

وقد اتجهت بعض الدراسات إلى الكشف عن ديناميكية العلاقة بين النظم الفرعية لنظام الأجندة مثل دراسة Manheim وهي بعنوان "نموذج ديناميكية وضع الأجندة"، حيث يشير قائلاً إن هذه النظم الثلاث تتفاعل معاً لتشكل اهتمامات الرأي العام والإعلام وقادة الرأى[35].

وقد ذهب في نفس هذا الاتجاه (بسيوني حمادة)؛ قائلاً بأن نظام وضع أو بناء الأجندة يتكون من ثلاثة نظم فرعية، وإذ كانت هذه النظم الفرعية الثلاثة تعبر عن اتجاهات بحثية منفصلة في بداية نشأتها، فإن الاتجاه الحديث والأقرب إلى الواقعية يتبنى وجهة النظر القائلة "بديناميكية العلاقة بين النظم الفرعية"، فهو تفاعل يعبر عن نظم مفتوحة تؤثر في بعضها البعض، فمخرجات أولويات أو أجندة وسائل الإعلام كنظام فرعي يؤثر في كل النظم الفرعية الأخرى ذات الصلة والعكس الصحيح. والباحث عن التفاعل بين هذه النظم الفرعية يمكن أن يتوصل إلى التأثير المتبادل والدائري على النحو الآتي:

1- أجندة وسائل الإعلام تساهم في وضع أجندة الرأي العام.

2- أجندة وسائل الإعلام تساهم في وضع أجندة السياسة العامة بأسلوب مباشر.

3- أجندة وسائل الإعلام تساهم في وضع أجندة السياسة العامة بأسلوب غير مباشر من خلال تأثيرها في أجندة الرأي العام.

4- أجندة بعض وسائل الإعلام تؤثر في أجندة البعض الآخر من وسائل الإعلام.

5- أجندة الرأي العام تساهم في وضع أجندة وسائل الإعلام.

6- أجندة الرأي العام تساهم في وضع أجندة السياسة العامة بأسلوب مباشر.

7- أجندة الرأي العام تساهم في وضع أجندة السياسة العامة بأسلوب غير مباشر من خلال تأثيرها في أجندة وسائل الإعلام.

8- أجندة السياسة العامة تؤثر في أجندة وسائل الإعلام.

9- أجندة السياسة العامة تؤثر في أجندة الرأي العام بأسلوب مباشر من خلال السياسات والقرارات التي تقوم عليها.

10- أجندة السياسة العامة تؤثر في أجندة الرأي العام بأسلوب غير مباشر من خلال تأثيرها في أجندة وسائل الإعلام[36].

خامساً - استراتيجية ترتيب الأولويات وأهميتها:

هنالك استراتيجيتان أساسيتان لوضع الأولويات هما :-

1- الاستراتيجية الأولى: وتقوم على دراسة مجموعة من القضايا السائدة في وسائل الإعلام وعند الجمهور على فترة زمنية واحدة أو فترتين.

2- الاستراتيجية الثانية :- تقوم على دراسة قضية واحدة سواءً على فترة زمنية واحدة، أو على فترات زمنية مختلفة، أي دراسة مطولة.

ويستخدم أسلوب "تحليل المحتوى" لحصر الموضوعات التي تؤكد عليها وسائل الإعلام.

أما قياس أولويات الجمهور فيتم من خلال أسلوب المسح بإحدى الطرق الآتية:

1- توجيه الأسئلة المفتوحة . مثل : ما هي أكثر القضايا السياسية من حيث الأهمية في المجتمع؟ ويتيح هذا الأسلوب حرية كبيرة من جانب المبحوثين في تحديد القضايا وترتيبها بحسب إدراكهم الشخصي.

1- توجيه الأسئلة المغلقة من خلال إمداد المبحوثين بقائمة مختارة من الموضوعات التي يمكن أن تشكل الأولويات، على أن يقوم المبحوث بترتيب هذه القضايا بحسب إدراكه الشخصي لكل منها[37].

سادساً – أهمية نظرية ترتيب الأولويات:

في عام 1992 م كتب show &mccomds وهو يعد مؤلف أول دراسة منشورة عن وضع الأجندة، "تتسع المجالات البحثية لوضع الأجندة يوماً بعد يوم، ويتضاعف التقدير العلمي لهذا التوجه البحثي نتيجة استكشافه للأدوار الفاعلة التي تمارسها الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى في حياتنا السياسية والاجتماعية. وقد تعمق الباحثون في اتجاهات بحثية نظرية ومنهجية جديدة خارج نطاق المفهوم الأول لوضع الأجندة.

إن أهم ما يميز النظرية العلمية هو قدرتها المستمرة على توليد تساؤلات بحثية جديرة بالبحث واستكشاف مجالات وطرق بحثية جديدة، ومن هذا المنطلق تميزت نظرية وضع الأجندة بثلاث سمات أساسية هي :-

1- النمو المستمر والمنتظم للدراسات التطبيقية في مجال وضع الأجندة منذ أن بدأ الاهتمام بها حتى اليوم.

2- قدرتها على تحقيق التكامل بين عدد من المجالات البحثية الفرعية للاتصال الجماهيري تحت مظلة وضع الأجندة.

3- قدرتها على توليد قضايا بحثية وأساليب منهجية جديدة تتنوع بتنوع المواقف والمتغيرات الاتصالية[38].

وقد أشار Brosius, Wiemann على أهمية هذه النظرية حتى من الجانب الاجتماعي، معتبراً أن نظرية وضع الأجندة من النظريات المتكاملة لاهتمامها

بدراسة الاتصال الشخصي إلى جانب الاتصال الجماهيري بصياغة نموذج وضع الأجندة، وانتقال المعلومات على مرحلتين[39] مما يحقق للأفراد إدراكاً وفهماً لمحيطهم الاجتماعي بأكثر واقعية، بعد التعرض لمضامين وسائل الإعلام والنقاشات الناجمة عن الاتصال الشخصي بزعامة قادة الرأي، وهو ما يساهم في خلق الإحساس المشترك بالمجتمع الواحد بما يقاوم حالات التفتت والتصدع الاجتماعي، فالنظرية تفترض نوعاً من الاتساق بين ما يراه الإعلام وما يراه الجمهور كذلك. ويضيف (بسيوني) قائلاً " تبدو أهمية نظرية وضع الأجندة في أنها أصبحت أحد مناهج دراسة الديمقراطية في المجتمعات المعاصرة، فإذا كانت قوة الرأي العام ودوره في العملية السياسية من الأمور المتفق عليها والمعترف بها منذ منتصف القرن الثامن عشر إذ يقول " Abraham Lincoln" بدون الرأي العام لا يمكن أن تنجح سياسة، ومع الرأي العام لا يمكن أن تفشل سياسة " إلا أن كيفية ممارسة الرأي العام لدوره في العملية السياسية لم تحظ بنفس الدرجة من الاتفاق، فالديمقراطية التقليدية تفترض الاستجابة الحكومية المباشرة لرغبات الرأي العام، فيما ينظر المفكرون السياسيون إلى الأحزاب السياسية كوسيط بين الحكومة والشعب في حين يعمل الإعلام على ترجمة اهتمامات الرأي العام إلى سياسات وقرارات تعكس هذه الاهتمامات، أما علماء الاتصال الجماهيري، فلهم وجهة نظر أخرى ترى أن وسائل الإعلام هي الآلية التي تصل الحكومة بالرأي العام، وهي تمارس دور الأحزاب كوسيط، كما أنها تخلق علاقة مباشرة بين الرأي العام والسياسات العامة، ومن هنا ظهر مفهوم ديمقراطية الإعلام[40].

كما أن النظرية لا تفترض مجرد معرفة الجماهير ومشاركتهم في قضايا السياسة العامة، ولكن الأهم هو زيادة قدر من الاتفاق حول أولويات القضايا التي تواجه مجتمعا معيناً. والنظام السياسي بحكم إمكاناته وطاقاته لا يستطيع أن يتعامل مع عدد لا نهائي من القضايا في نفس الفترة الزمنية، كما أنه لا يستطيع أن يعمل بكفاءة ما لم تكن هناك رؤية تحدد أولويات العمل، وهنا تأتي أهمية النظرية

وخاصة في المجتمعات الديمقراطية التي تولي عناية خاصة لاهتمامات الرأي العام وتوجيهاته كمداخلات في عملية صنع القرارات ووضع السياسات على كافة المستويات. فيما تهتم الدول غير الديمقراطية بدراسات وضع الأجندة رغبة في إحكام السيطرة على الرأي العام، إذ يتم توظيف وسائل الإعلام لتركيز اهتمام الرأي العام حول قضايا بعينها، وكذلك تشتيت انتباه الرأي العام بشأن قضايا أخرى[41].

الخلاصة وأهم الاستنتاجات:

بعد هذا العرض لهذه النظرية نستطيع أن نستنبط بعض الخلاصات والإستنتاجات التي تقودنا إلى القول:

1- إن نظرية ترتيب الأولويات (الأجندة) مرت بالعديد من مراحل التطور ابتداءً من مرحلة المبادرات الشخصية إلى مرحلة أهم الشروط والظروف الواجب توافرها لإحداث عملية الأجندة ووصولاً إلى مرحلة دراسة صور المرشحين والشخصيات التي تعرضها وسائل الإعلام، وختاماً بمن يضع أجندة من أو من يملك التأثير الأقوى في تحديد عملية ترتيب الأولويات بين وسائل الإعلام وجمهورها.

2- يختلف الدور التأثيري لنظرية وضع الأجندة عن التأثير الإقناعي الذي تتضمنه بعض النظريات الأخرى مثال ذلك نظرية الحقنة تحت الجلد، والتي تحذر من دور وسائل الإعلام في تشكيل الاتجاهات العامة للناس، ما يحبون وما يكرهون معارضاتهم وتأييدهم للموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

3-ان مفهوم نظرية وضع الأجندة يقوم على أن الفرد الذي يعرض نفسه لأجندة وسيلة إعلامية معينة يكيف أو يتكيف إدراكه للأهمية المنسوبة للقضايا المعروضة في اتجاه يتفق وحجم الاهتمام الممنوح لهذه القضايا في الوسيلة المستخدمة، أي أن هناك علاقة إيجابية قوية بين تركيز وسائل الإعلام على موضوعات معينة،

وتركيز أو بروز نفس الموضوعات لدى الجمهور المتلقي، ويمكن صياغة هذه العلاقة في شكل سببي على النحو الآتي:

زيادة التركيز على موضوع معين أو قضية معينة، يسبب زيادة بروز هذا الموضوع أو تلك القضية عند الجمهور بوصفها قضايا مهمة.

4-إن النظرة الأوسع لوضع الأجندة أو ترتيب الأولويات، لا تقف عند حدود التغطية الإعلامية لقضية أو قضايا معينة وتشكيلها لأجندة الجمهور في وقت زمني معين، ولكن يتعدى ذلك إلى النظر للأجندة السياسية كسلسلة أو مجموعة من القيمة الاجتماعية التي تضفي عليها وسائل الإعلام صفة شرعية، عبر فترة زمنية طويلة.

5- تسمح نظرية ترتيب الأولويات بالكشف عن أولويات القضايا لدى كل من وسائل الإعلام والرأي العام في فترة زمنية محددة، مرتبة بحسب الأهمية النسبية لكل منها، وما يتطلبه هذا الترتيب من تخصيص سلطوي للموارد المادية وغير المادية من جانب السلطة في المجتمع .

6-كما يرى الباحث من وجهة نظره حول الاختلاف الذي تعددت فيه الآراء واختلفت حول من يضع أجندة من، أو من كانت له الأولوية في ذلك، بقوله إن عملية وضع الأجندة هي عملية ديناميكية تفاعلية بامتياز، تتشارك فيها النظم الرئيسة الثلاث (أولويات وسائل الإعلام- وأولويات قادة الرأي- وأولويات الجماهير) وقد تختلف إحدى هذه النظم عن الأخرى في قوة التأثير على عملية بناء الأجندة وفق العوامل والظروف المهيأة لإحدى هذه النظم. فالتطورات التي شهدها القرن الحادي والعشرون من ثورة في المعلومات والمعارف، وفي ظل تنوع مصادر المعلومات وسياسات الانفتاح في هذه القرية الكونية الصغيرة، وتراجع احتكار وسائل الاتصال الجماهيري لمصادر المعلومات، باتت هذه النظم الثلاث تملك رصيداً كافياً يجعلها قادرة على تكوين وبناء أجندتها والتأثير في غيرها.

المراجع:

(1) صالح خليل أبو اصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ط4، (عمان: دار أرام للدراسات والنشر والتوزيع، 2004م) ص121.

(2) بسيوني إبراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الإتصال والرأى العام، ط 1(القاهرة : عالم الكتاب، 2008م) ص179.

(3)محمد عبدالحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، القاهرة، عالم الكتب، 2004م، ص262.

(4) حمدي حسن، الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام، (القاهرة : دار الفكر العربي، 1991م) ص98.

(5) عاطف عدلي العبد، نهى عاطف عدلي العبد، نظريات الإعلام وتطبيقاته العربية، (القاهرة : دار الفكر العربي، 2008م) ص324.

(6) صالح خليل أبو الأصبع، الاتصال الجماهيري، ط1، (الأردن : دار الشروق للنشر، ، 1999م)، ص 219.

(7) حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط1،(القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 1998)، ، ص 288.

(8)Maxwell M Combs and Donald Show, The Agenda Setting Function of Mass Media, public opinion Quarterly, vol.36 Summer 1972 Pp176-186..

(9)Mikael gillgam, Pluralist and Marxist Agenda-setting research: the possibilities for a Convergence between traditions. Gazette, vol. 34, 1984, p. 81.

(10)Maxwell M Combs and Donald Show, The Evolutin of Research: Twenty five years in The Market place of Ideas, journal of communication, vol. 43, No .2 Spring 1993, p.64.

(11) راجية أحمد قنديل، الإتجاهات الحديثة في دراسات الرأى العام في الولايات المتحدة، (القاهرة : دار النهظة العربية، 1998م)، ص ص 43-44.

(12)-Younjae Choi, Creating A Dynamic Agenda stteng Model, Egyptian Journal of Public Opinion Research, Vol. 1, No. 3, July- Sebtember, 2000, Pp. 117-129.

(13)-Maxwell E. McCombs, Donald L. Shaw, The Evaluation of agenda setting research: twenty years in the market place of ideas journal of communication, vol.43, no. 2, sprint, 1993,Pp.58-67.

(14)-Gerald M. Kosicki, Problems and Opprtunitiws in Agenda stteng Research, Journal of Cmumunication, Vol. 43, No. 2, 1993, Pp. 125-126.

(15)هبة جمال الدين، أولويات الإعلام وعملية تشكيل الرأي العام، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثلاثون، العدد الثاني والثلاثون (مصر، سبتمبر 1993)

(16)بسيوني إبراهيم حمادة، وسائل الإعلام والسياسة: دراسة في ترتيب الأولويات (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1996م) ص 24.

(17) محمد بن سعود البشير، قصور النظرية في الدراسات الإعلامية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد 83، جامعة الكويت، 2003، ص 45.

(18) ZHU JianHua, Issue Competion and Attention Distraction: Sun Theory of Agenda Setting, Journalism Quartely, Vol 69, N°: 04, 1992, P101.

(19) سالم عيسى بلحاج، الإعلام والرأى العام : دراسة في ترتيب الأولويات في المجتمع الليبي، (القاهرة : دار الفكر العربي، 2003م)، ص97.

(20)Marilyn S. Rroberts, ; Predicting voting Behavior Via The Agenda- Setting Tradition journalism QuartelyVol 69 , No .4, Winter 1992, Pp 878-892. .

(21)Donald Shaw and Shannon Martin, The Function of Mass Media Agenda Setting, Journalism Quarterly, Vol 69, N° 4, 1992, PP 902-920..

(22) بسيوني إبراهيم حمادة،وسائل الإعلام والسياسة: دراسة في ترتيب الأولويات ، مرجع سابق، ص ص 29-30.

(23) محمود حسن إسماعيل، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، ط1، (الكويت: الفرزدق للنشر والتوزيع، 2003م) ص272.

(24)Michael B. Salwen, Effect of Accumulation of Coverage on Issue Salience in Agenda- Setting journalism QuartelyVol 65 , Spring1988, Pp 100-106..

(25)Howard Eaton, : Agenda- Setting With Bi – weekly Data on Content of Three Naional Media, journalism Quartely, , Spring 1987, Pp . 942-948.

(26)بسيوني إبراهيم حمادة،مرجع سابق، ص ص 29-30.

(27)KwemendKwensah, Aidoo (The Appleal of Qualitaivemetods to traditional agenda –setting research) Cazette Vol.63, No 6, , Spring 2001 p523.

(28) آمال كمال طه، دور الصحافة في وضع أولويات اهتمام الشباب نحو القضايا القومية، دراسة تحليلية ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 1997م، ص ص 73-74.

(29)Stephen Reese, Setting the Media's Agenda, Ed Communication, Yearbook, N°:11, London, 1991, P317.

(30)Ibid, P317.

(31) Ibid, P324

(32) Adams Douglas, Information Subsidy and Agenda Setting Building in Local Television News, Journalism Quarterly,Vol 67, N° 4, 1995, P725.

(33) بسيوني إبراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الإتصال والرأى العام، مرجع سابق، ص194.

(34)Hans – Bern. Gabriel Weimann, who sets the Ageda setting as a two – steb flow, communication research, vol2, No 5, October 1996, Pp 561- 580.

(35)Manheim Garol, A Model of Agenda dynamics, in McLaughlin Margaret, Ed Communication Year Book, New Delhi, 1987, P503.

(36) بسيوني إبراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأى العام، مرجع سابق،ص 205.

(37) ملفين – ديفلير، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة : كمال عبدالرؤوف، ط1، (القاهرة: الدار الدولية للنشر، 1992م)، ص ص 395-396.

(38) بسيوني إبراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأى العام، مرجع سابق، ص 181.

(39)أماني فهمي، الاتجاهات العلمية الحديث لنظريات التأثير في الراديو والتلفزيون، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الرابع، ديسمبر، 1998، ص 341.

(40) بسيوني ابراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأى العام، مرجع سابق، ص 182.

(41) *www.annabaa.org/nbanews/2012/01/191.htm*: تاريخ الدخول : 8-5-2016

الموقف الليبي من أزمة السويس 1956م
(العدوان الثلاثي على مصر)

د. المختار عثمان العفيف
كلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية

المقدمة:

عندما بدأت بوادر معركة الصراع العربي الصهيوني، وبعد الهدنة الأولى في حرب 1948م، أدرك العرب أن ميزان القوى مائل لصالح العدو بفعل الدعم العسكري الذي تقدمه دول الغرب لحليفتها إسرائيل، لهذا وضعت مصر الثورة على عاتقها قومية المعركة لمواجهة الخطر الحقيقي من قبل العدو الصهيوني الذي يحدق بالأمة العربي، ومن ناحية أخرى من أجل حماية حقوق الشعب الفلسطيني، ففي تلك الآونة أدركت مصر أن المعركة سيكون أمدها طويل المدى لأن هناك تفوقاً عسكرياً للعدو، وبالتالي سعت مصر بقيادة جمال عبدالناصر تدعيم قدراتها العسكرية التي لم تكن في البداية كافية أمام التفوق الإسرائيلي المدعوم من فرنسا وإنجلترا اللتين شاركتا في العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م، أي بعد ثماني سنوات من حرب فلسطين الأولى[1].

في هذا البحث كما يقول (هيكل) " **لا أحاول كتابة تاريخ كامل للسويس ... ولكن ما أحاوله اليوم – ولا أتعداه – هو رسم خطوط عريضة لقصة عظيمة لم تعد الآن تحت سيطرة السياسية، وإنما في اتجاه التاريخ**"، **ويضيف قائلاً:**" **إن حرب السويس كانت تجربة للعمل القومي من غير تنسيق مسبق بين الأطراف، وكانت مصر تحارب وحدها ضد ثلاث دول [معتدية] في ميدان القتال، ولكن بقية الدول العربية لم تلتزم موقف المتفرج، وإنما راح كل طرف يجد لنفسه الوسيلة التي يستطيع بها مساندة مصر في محنتها**"[2].

إن الهدف من تناول أزمة السويس 1956م (العدوان الثلاثي) على مصر الذي قامن به بريطانيا وفرنسا وإسرائيل يُعد في الواقع إحتلال يستحق الدراسة لإظهار

الحقيقة، ومن ناحية أخرى هو توضيح حقيقة الموقف الليبي الرسمي والشعبي من أزمة السويس 1956م، وذلك بالاعتماد على مذكرات بن حليم الذي كان رئيساً للحكومة أثناء الأزمة، وكان لليبيا في ذلك الوقت دوراً فعالاً في تلك الفترة على الرغم من تهميشه لدى الإعلاميين ورجال السياسة في مصر وحتى النظام الليبي السابق (1969 – 2011م)، للنيل من كرامة النظام في العهد الملكي، على الرغم من التضحيات والمواقف السياسية لنصرة الشقيقة مصر لخوض معركة السويس ضد طلائع الاستعمار الحديث (بريطانيا، وفرنسا) إلى جانب إسرائيل، ولاستجلاء حقيقة الموقف الليبي من خلال المصادر التي اطلعت عليها نطرح التساؤلات الآتية:

– ما هي حقيقة القواعد البريطانية في ليبيا؟.

– هل كان هناك تنسيق مسبق بين الرئيس جمال عبدالناصر وحكومة الملك أدريس قبيل اندلاع أزمة السويس 1956م؟.

– هل استغلت بريطانيا قواعدها الجوية العسكرية في ليبيا أثناء العدوان الثلاثي على مصر؟.

– ما هو موقف الحكومة الليبية من استخدام الطائرات الحربية الموجودة في القاعدة العسكرية في طبرق من المشاركة في حرب السويس؟.

– ما هي ردود الفعل المحلية والأقليمية حيال الموقف الليبي من أزمة السويس؟.

للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها لابد من تناول عدة نقاط توضح حقيقة الموقف الليبي من أزمة السويس وهي:

أهمية قناة السويس:

أدركت فرنسا أهمية إستراتيجية موقع مصر الجغرافي في منطقة الشرق الأوسط منذ قيام حملتها على مصر سنة 1798م، وترجع تلك الأهمية في قيام مشروع توصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط بقناة مائية اصطناعية عبر برزخ

السويس، وبالتالي تقطع الطريق أمام إنجلترا عدوتها التقليدية من الاتصال بمستعمراتها في الهند، وبعد عدة محاولات تحقق ذلك الحلم عندما تولى سعيد حكم مصر سنة 1854 – 14863م، حيث منح عقد امتياز حفر قناة السويس للمهندس الفرنسي فرناند ديلسبس (Delesseps)، وبموجبه تكون حرية الملاحة في القناة لجميع السفن مقابل رسوم مالية لصالح الشركة العالمية للقناة التي أسسها ديلسبس سنة 1858م[3].

في 17 نوفمبر 1869م فتحت قناة السويس للملاحة البحرية، وبذلك حققت عدة أهداف منها:

– ربط القناة بين أسواق الشرق والغرب التجارية، وأصبحت المسافة بينهما قصيرة تقطع في زمن أقل، قد يصل في الأحوال العادية إلى شهر بدلاً من شهرين عندما كانت السفن تسير حول رأس الرجاء الصالح.

– أسهمت القناة في تكالب الدول الاستعمارية الكبرى للاستحواذ على مصر للتحكم في أسواق الشرق والحصول على المواد الخام.

– إن نقل البضائع التجارية التي تعبر القناة تكون كلفتها المالية أقل بكثير من التي تنقل عبر رأس الرجاء الصالح أو عن طريق البر ثم البحر الأحمر، ومن ناحية أخرى تكون البضائع في مأمن ومحفوظة من التلف.

– جاءت أهمية القناة من ربطها بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وهو صالح للملاحة طول العام ويسمح بمرور السفن بأي حمولات تجارية[4].

القواعد البريطانية في ليبيا:

إن وجود القواعد البريطانية في ليبيا جاءت بموجب المعاهدة الليبية – البريطانية التي تم الاتفاق عليها في 29 يوليو 1953م، وهذه الاتفاقية تمكن بريطانيا الحصول على قاعدة عسكرية جوية في طبرق شرق ليبيا، بالإضافة إلى مناطق نفوذ أخرى متفرقة في البلاد، وفي هذا الشأن يقول سامي حكيم "**إن الاتفاقية العسكرية ببنودها الخمسة والثلاثتين، فمن شأنها وضع ليبيا كلها تحت**

تصرف القوات البريطانية وفقاً لما جاء في المادة الثالثة والرابعة ..."، وبذلك حصلت بريطانيا على ما كانت ترنو إليه، فقد وقعت ليبيا على معاهدة مع بريطانيا بعد أن امتنعت مصر والعراق والسعودية تقديم مساعدات مالية وقروض لها لتغطية عجز الميزانية لهذا يقول الصيد لم يكن أمامهما بدائل سوى توقيع معاهدة مع بريطانيا للحصول على المال[5].

وكانت المعاهدة غير متكافئة ثقيلة الأعباء والالتزامات، ففي سبيل مساعدة مالية قليلة حصلت بريطانيا على تسهيلات خطرة لمدة طويلة (20 سنة) وهذا يكون في نظر رجال القانون إخلالاً بالسيادة الداخلية الفعلية للدولة الليبية، ما أثار موجة من الاستياء والسخط في داخل البلاد وخارجها، حيث اعتبر ذلك الأمر"**عملاً يعادل الخيانة**" حسب قول بشير السعداوي بتاريخ 9 يناير 1953م، كما اتهمت أطراف أخرى محمود المنتصر رئيس الحكومة الليبية الذي وقعت المعاهدة في عهده بأنه أداة في أيدي الامبرياليين، كذلك قامت وسائل الإعلام في بعض الدول العربية بمهاجمة ليبيا ومعاهدتها، وعلى أثر مصادقة مجلس الأمة على المعاهدة في أوائل أغسطس 1953م، يقول الصيد "**بدأت إذاعة صوت العرب تشن حملات إعلامية شديدة اللهجة ضد الحكومة الليبية والعاهدة ...، وزعمت أن المعاهدة وقعت ضد رغبة الشعب الليبي**"[6].

أما ابن حليم فيقول: "**كانت الصحافة والإذاعة المصرية أشدها عنفاً ووجهت إذاعة (صوت العرب) حملة شعواء مركزة على الحكومة الليبية، بل دعت صراحة الجماهير الليبية للثورة على حكومتها ونقض تلك المعاهدة**"[7].

في الواقع أدركت بريطانيا أهمية موقع ليبيا الاستراتيجي في وسط شمال قارة إفريقيا خاصة بعد أن تقلص نفوذها العسكري في الشرق الأوسط، لذلك كانت لها ليبيا البديل، فمن خلال قواعدها هناك يمكن الإشراف على وادي النيل عامة وقناة السويس بصفة خاصة، لأن المسافة بين طبرق وبور سعيد لا تزيد على 513 ميلاً، وبالتالي تكون في مجال نفوذها العسكري إذا دعت الضرورة إلى ذلك[8].

ونظراً لوجود القواعد الأجنبية الجاثمة على أرض الوطن التي تشكل خطورة على أمن مصر والأمة العربية جميعاً، فقد دعا الرئيس جمال عبدالناصر بمناسبة الاحتفال بعيد الوحدة بتاريخ 22 فبراير 1964م، في القاهرة إلى تصفية القواعد العسكرية البريطانية والأمريكية في ليبيا، وكان لذلك صداه لدى حكومة محمود المنتصر التي عزمت على انهاء المعاهدات بل وتحديد موعد لجلاء القوات الأجنبية عن ليبيا[9].

وعلى أية حال إن وجود القواعد الأجنبية في هذا البلد أو غيره من البلدان العربية كان له تداعيات في الداخل حيث كانت تواجه انتقادات من الحكومة نفسها ومعارضة شعبية في عصر تصفية الاستعمار التقليدي.

أما على الصعيد الخارجي كما سبقت الإشارة، فقد أدركت مصر بخطورة وجود القواعد الأجنبية في ليبيا على أمنها القومي، لأن فيها المساس بسيادتها على ترابها وتهديد لحريتها واستقلالها، وذلك مقابل مغريات مادية كمنح المساعدات المالية الضئيلة أو تقديم معونات عسكرية التي لا تحقق أمناً ولا تعزز دفاعاً[10].

إن إصرار مصر على ضرورة إجلاء القواعد الأجنبية من ليبيا التي كانت حديثة الاستقلال (24 ديسمبر 1951م) وكان هناك تخوف من عودة الاستعمار إلى ليبيا في صورة معاهدات طويلة الآجل لهذا رأت مصر الثورة أن بقاء أية قوة أجنبية في أراضي ليبيا الشقيقة من شأنه الانتقاص من السيادة الليبية والتأثير في السيادة العربية أيضاً، وهذا الوضع من شأنه اتخاذ ليبيا قاعدة للعدوان على الوطن العربي، خاصة في وقت كانت بريطانيا تسيطر على قناة السويس التي تدعي فيها أنها حامية حرية الملاحة الدولية في القناة[11].

أسباب تأميم قناة السويس:

تجدر الإشارة أولاً إلى أنه بدأ العمل في حفر القناة في 25 ابريل 1859م، وفي احتفال كبير ضرب (ديلسبس) أول معول في أرض القناة ناحية بورسعيد، وذلك بعد توقيع عقد امتياز تنفيذ مشروع القناة في نوفمبر 1854م، في عهد (سعيد)

خديوي مصر مع الشركة البحرية العالمية التي تتولى شؤون انجاز حفر القناة والإشراف على حركة الملاحة واستثمار أموالها لمدة (99) عاماً من تاريخ افتتاح القناة، الذي تم في 20 نوفمبر 1869م، بعدها تحل الحكومة المصرية محل الشركة الاستثمارية وتصبح قناة السويس وجميع المرافق والمؤسسات التابعة لها ملكاً لمصر[12].

لقد بدأت أزمة السويس منذ توقيع امتياز القناة التي كانت غير متكافئة بين مصر والدول الغربية المساهمة في الشركة العالمية المشرفة على استثمار القناة، فمنذ تاريخ توقيع عقد الامتياز في 30 نوفمبر 1854م، حدثت أزمات سياسية وتوتر في العلاقات الدولية، خاصة بين بريطانيا وفرنسا، فالأولى كانت تعارض مشروع حفر القناة معارضة شديدة لأنها تضر بمصالحها في الشرق، واقترحت بدل ذلك مشروع سكة الحديد، أما الثانية فكانت مؤيدة لمشروع القناة[13].

إن أحد الأسباب التي عجلت بتأميم القناة في سنة 1956م، قيام العدوان الإسرائيلي في 28 فبراير 1955م على غزة، وفي مارس يقول السادات تقررت خطتنا في ضرورة الحصول على السلاح لأن هناك فرقاً شاسعاً بين أسلحته وأسلحة العدو، وبعد عودة جمال عبدالناصر من مؤتمر باندونج في مايو 1955م، بدأ بتنفيذ الخطة على الفور، فأتصل بدول الغرب والشرق على السواء لشراء الأسلحة الحديثة والمتطورة لمجابهة الخطر الصهيوني المدعوم من الغرب، والذي يحدق بالبلاد العربية، فأحجمت دول الغرب عن ذلك لموالاتها لإسرائيل ولوجود المصالح المشتركة بينهما، ومن ناحية أخرى عدم خلق توازن بين القوى المتصارعة في منطقة الشرق الأوسط.

أما موقف دول الكتلة الشرقية يقول أيضاً: "**وجاء الرد من الشرق، فقد أرسلت حكومة تشيكوسلوفاكيا تقول أنها على استعداد لبيع السلاح**"، وبموجب ذلك عقدت صفقة أسلحة عن طريق (تشيكيا)[14]، وفي 27 سبتمبر 1955م شرح جمال عبدالناصر سبب توجه نحو الكتلة الشرقية فقال: "**إن الثورة واجهت معركة احتكار**

السلاح من الدول الغربية الكبرى"، وفضح الرئيس أسطورة توازن القوى في الشرق الأوسط التي تحدث عنها الاستعماريون، وفي هذا الشأن أيضاً صرح عبدالناصر في 10 نوفمبر 1955م، بأن مصر عقدت صفقة أسلحة التشيكية الروسية حينما أدرك حقيقة نوايا إسرائيل العدوانية المتكررة على مصر، وفلسطين[15].

أما المسألة الأخرى التي أدت إلى تأميم القناة تتمثل في امتناع البنك الدولي للإنشاء والتعمير بتقديم الدعم المالي (قرض) لمصر لبناء مشروع السد العالي في أسوان، وذلك بتأثير الضغط الأمريكي بعد أن أبدى البنك استعداده في البداية بتقديم المساعدة المالية لمصر، ولكن أحجم عن ذلك بسبب إبرام مصر صفقات الأسلحة مع تشيكيا، كما أن جمال عبدالناصر رفض الدخول في حلف بغداد سنة 1955م، وتمسك مصر بسياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز، بل قاد حملة إعلامية في المنطقة العربية ضد الحلف، التي أيدت شعوبها خطوات مصر في هذا الاتجاه[16].

لم تقف حكومة الثورة في مصر مكتوفة الأيدي أمام الضغوطات الأمريكية والبريطانية عليها، لذلك جاء الرد قوياً، فتم تأميم قناة السويس وتسخير كافة مواردها المالية في تمويل مشروع السد العالي، وبالتالي كانت ردود الفعل الأجنبية القيام بالعدوان الثلاثي على مصر1956م[17].

الموقف الليبي قبيل تأميم قناة السويس:

قام الرئيس جمال عبدالناصر قبيل تأميم قناة السويس باتخاذ خطوات دبلوماسية مسبقه لمواجهة الأزمة مع بريطانيا، والتي كان من بينها موقف ليبيا التي توجد على أرضها قواعد عسكرية بريطانية، وفي سرية تامة دون التلميح ولو بحرف واحد عما كان ينوي عليه لتأميم القناة، وذلك بجس النبض حول موقف ليبيا إذا تأزمت العلاقة مع بريطانيا التي كانت الأكثر نفوذاً وامتلاكاً لأسهم شركة قناة السويس العالمية للملاحة من أن تقوم بريطانيا بعمل عسكري ضد مصر لحماية مصالحها في القناة وذلك بدعم من قواتها العسكرية الموجودة في القاعدة الجوية

بطبرق في ليبيا، وبالفعل كلف عبدالناصر سفير مصر في ليبيا الفريق (أحمد حسن الفقي) بمقابلة السيد الملك إدريس لإبلاغ رسالته الشخصية والتي تتمثل في سؤال محدد وفحواه "**ما هو موقف ليبيا إّذا ما تأزمت علاقة مصر مع بريطانيا، ومحاولة الأخيرة الهجوم على مصر مستعينة بقواتها في قواعدها الموجودة في ليبيا**"، تسبب هذا السؤال حرجاً للملك، ويقول بن حلين في مذكراته عن هذا الموقف أنه يعني التشكيك في وطنية الملك وفي طبيعة العلاقات الليبية الوطيدة مع مصر، وكان رد الملك "**ليست لدينا أية قوة يمكنها إيقاف بريطانيا العظمى ومنعها من القيام بأي عمل مسلح تستهدف به مصلحة البلاد**" وفي تلك الفترة كادت الأمور تتأزم بينهما لولا تدخل فيما بعد مصطفى بن حليم رئيس الحكومة الليبية ذلك الوقت، ولتدارك خطورة الموقف أوضح للسفير المصري أن الملك قد فهم عن القوة العسكرية التي ستستعملها ليبيا ضد بريطانيا في حالة قيامها بالاعتداء على مصر، لأن معاهدة التحالف الليبية البريطانية لا تسمح لها بذلك[18].

وفي هذا الشأن أيضاً يقول الصيد: "**استفادت ليبيا في هذه المادة (الرابعة من المعاهدة الليبية البريطانية) في مجريات حرب السويس سنة 1956م، إذ تمسكت (ليبيا) بتطبيق هذه المادة حرفياً حيث أصرت على عدم استعمال القوات البريطانية الموجودة في ليبيا ضد الشقيقة مصر**"[19].

على أية حال فقد أراد الرئيس جمال عبدالناصر أن يقطع الشك باليقين لمعرفة وجهة نظر الملك شخصياً إذا حدثت أزمة سياسية مع بريطانيا، وكان من المؤكد لديه أن عملية تأميم القناة لن تمر بسلام، ولهذا حاول عبدالناصر استباق الأحداث قبل وقوعها، لتقليل الضرر الأكبر المتوقع من بريطانيا القيام بعمل عسكري ضد سيادة مصر لتأمين مصالحها هناك.

أما على الصعيد الدبلوماسي أيضاً فقد قام بن حليم بزيارة رسمية إلى لندن في يونيه 1956م، وفي أثناء مقابلته مع رئيس وزراء بريطانيا (انتوني إيدن) ووزير خارجيتها (سلوين لويد) تلطيف الأجواء السياسية المتأزمة بين عبدالناصر

وبريطانيا، وفي هذا الشأن يقول بن حليم: "**إن هناك سلسلة طويلة من الاتصالات بالحكومة البريطانية تحذر من اللجوء إلى استعمال القوة والسعي على السير في النهج الدبلوماسي السلمي بينهما**"[20].

والجدير بالذكر هنا أن مسألة الترتيبات السياسية بشأن ليبيا أن تمنع بريطانيا من استعمال قواعدها العسكرية في ليبيا ضد مصر أثناء أزمة السويس، فقد ظلت محور العلاقات السياسية بين ليبيا ومصر، والتي كادت أن تخلق أزمة دبلوماسية وتوتر في العلاقات بين الطرفين، والتي سيتم الإشارة إليها فيما بعد.

الموقف الليبي من قرار تأميم قناة السويس:

لقد أدركت حكومة الثورة المصرية المواقف الموالية للعدو الصهيوني من قبل حكومات دول الغرب الكبرى، وفي امتناعها تزويد مصر بالسلاح لتدعيم جيشها، وإحجام بعضها عن تمويل مشروع السد العالي، حتى أنها في 20 يوليو 1956م سحبت كل من الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا العروض المالية التي تقدمت بها من قبل إلى مصر للمساهمة في تمويل المشروع الحضاري، ومن ناحية أخرى كان الضغط على مصر الدخول في حلف بغداد 1955م.

هكذا كانت سياسة الغرب كما يقول السادات تتمثل في: "**تجويع الشعب المصري وافقاره لكي يستسلم**" وفرض هيمنة إسرائيل على منطقة الشرق الأوسط بمساندة أمريكا وأعوانها[21].

إن تلك التحديات الغربية السافرة كانت لها ردود فعل قوية من جمال عبدالناصر الذي انتخب رئيساً للجمهورية المصرية في 21 يونيو 1956م، بموجب الاستفتاء الذي أجري على الدستور وانتخاب رئيس للجمهورية.

تمثلت سياسة مصر قبيل تأميم القناة بأن احتضنت القومية العربية، وساندتها شعوبها بكل عزم، وأن مصر رفضت المساومة على النيل من حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والعيش فوق أرضه بحرية وكرامة، ومن ناحية أخرى قاومت مصر حلف بغداد ورفضت الدخول فيه بل اتبعت سياسة الحياد

الإيجابي وعدم الانحياز الذي تقرر في مؤتمر باندونج 1955م، كذلك كسرت مصر طوق احتكار استيراد السلاح من دول الغرب، فاشترته من دول الكتلة الشرقية لتديعم قواتها المسلحة ولتظهر كقوة عسكرية في المنطقة، ولم يعد تسليح الغرب لإسرائيل يخيف العرب، وفي 15 ابريل 1956م، أعلن جمال عبدالناصر أن مصر تخلصت نهائياً من وجود القوات الأجنبية البرية والجوية والبحرية وأنها قد رحلت عن أرض الوطن، وأن هناك مؤامرة بريطانية جديدة ضد العرب، وفي 24 يوليو من نفس العام أعلن استقلال سياسية مصر الاقتصادية، وقال عبدالناصر أن مصر ستتجه نحو التصنيع ولن يستطيع أي مستعمر أن يستبد بها "**لا بالقوة ولا بالدولار**"[22].

إن سياسة عبدالناصر الطموحة كانت لها تحديات من دول الغرب، وتزامن معها تفاقم الخطر الصهيوني على حدود مصر، فقد أدرك تماماً "**إن قوة مصر تنبثق من مكانها على خريطة العالم ذلك الموقع الاستراتيجي الهام الذي يعتبر بحق ملتقى العالم ومعبر تجارته وممر جيوشه**"[23].

عندئذ أصبح لديه مسألة تأميم القناة أمر واقع، وفي هذا الشأن يقول السادات في مذكراته إن جمال عبدالناصر "**اهتدى إلى أن قناة السويس التي هي ملك لمصر يجب أن تعود إلى مصر، وأن شركة قناة السويس هي شركة عالمية ويعطي لها الامتياز من حكومة مصر، ولكنها لم تكن فعلاً إلا آخر معقل للاستغلال الأجنبي ومورداً يدر الذهب على المتآمرين الذين يتأمرون اليوم لتجويع شعب مصر صاحب القناة**" **ويقول أيضاً** " **أن عبدالناصر لم يضيع لحظة واحدة وعزم على تأميم القناة**"[24].

في يوم 26 يوليو 1956م كان الموعد لتحرير مصر من قيود الاستغلال الأجنبي، ففي خطاب جمال عبدالناصر السنوي بالإسكندرية بمناسبة إحياء نجاح الثورة وقيام الجمهورية، أعلن في ذلك اليوم في خطابه أمام حشد من الجماهير ضم أكثر من 250 ألفاً قرار باسم الأمة "**تأميم الشركة العالمية لقناة السويس**

ونقل جميع ممتلكاتها وحقوقها وواجباتها إلى الدولة المصرية" وفي نفس الوقت كانت السلطات المصرية تتسلم إدارة القناة حتى لا تتعطل الملاحة الدولية وتكون ذريعة للتدخل الدولي في القناة وأصبح يوم 26 يوليو خالداً في نفس الشعب المصري والأمة العربية بإعلان هذا القرار التاريخي[25].

الموقف الليبي من قرار تأميم قناة السويس:

أما موقف ليبيا من قرار التأميم، ففي تلك الفترة كان الملك إدريس يقوم بزيارة رسمية إلى تركيا يرافقه رئيس الحكومة مصطفى بن حليم، وذلك في أوائل أغسطس ويقول الصيد في مذكراته ما نصه:"**اجتمع مجلس الوزراء برئاسة خليل القلال رئيس الحكومة بالنيابة في أغسطس، واتخذ قراراً بتأييد تأميم قناة السويس وإدانة أي عدوان على مصر، كما تقرر إبلاغ بريطانيا بأن القوات البريطانية الموجودة في القواعد العسكرية في ليبيا لا يسمح لها مطلقاً بالمشاركة في أي عمل عسكري ضد مصر**" وأفاد أيضاً بأن المعاهدة الليبية البريطانية تنص على ذلك في مادتها الرابعة، وتم ابلاغ الخارجية البريطانية عن طريق سفيرها في ليبيا بالقرار، وحدث جدال بين الطرفين حول نص المعاهدة، وأخيراً امتثلت وزارة الدفاع البريطانية للقرار[26].

أما مصطفى بن حليم فكان يتابع أزمة السويس وهو برفقة الملك أثناء زيارته إلى تركيا، فيصف موقفه عندما كان الرئيس جمال عبدالناصر يخطب في الإسكندرية إلى أن ذكر قرار تأميم قناة السويس "**انتابني شعور غريب هو مزيج من الخوف والإشفاق على مصر، واعتزاز وإعجاب بجرأة القرار**" ولتأكيد موقفه بعث ببريقة إلى عبدالناصر تعبر عن تأييد ليبيا التام وتهنئة على خطوته الشجاعة، كما احتوت البرقية على معاتبة الدول الغربية التي أحجمت عن تقديم المعونة المالية لمصر لتحقيق المشروع الاقتصادي المتمثل في بناء السد العالي[27].

لم تكن حكومة ليبيا مؤيدة لقرار التأميم فحسب، وإنما الشعب الليبي كان في نفس الموعد، وعلى الفور " **قامت مظاهرات شعبية عارمة للتعبير عن مشاعر**

التأييد لمصر، وشجب موقف بريطانيا الاستعمارية"، وعبرت الحكومة أيضاً لجموع المتظاهرين المحيطين بمبنى حكومة ولاية طرابلس بأنها تتجاوب مع مشاعرهم وتبني طلباتهم[28].

على الرغم من تأييد الحكومة الليبية الكامل لقرار تأميم القناة إلا أن ذلك الموقف الرسمي لا يحسب للحكومة فحسب، وإنما للملك إدريس الذي كان يتابع أزمة السويس خطوة بخطوة، وأن من يظن موقفه كان متخاذلاً فقد جانب الصواب، فكان يزود بن حليم مراراً أن يتبع الحكمة في تعامله مع بريطانيا، وكان يخشى أن تلجأ بريطانيا إلى استعمال القوة لقهر الحكومة الليبية، التي لا حول لها ولا قوة ذلك الحين أو احتلال ليبيا عسكرياً على حد قول بن حليم ثم العدوان على مصر[29].

ويبدو أن بن حليم رئيس حكومة ليبيا لم يأخذ بتحذيرات الملك إدريس بمحمل الجد، فبعد اطلاع بن حليم على الوثائق السرية البريطانية بعد ثلاثتين سنة من أزمة السويس قال: "**إن الملك إدريس كان على حق في حذره ومخاوفه**" فقد كشفت تلك الوثائق أن بريطانيا على وشك احتلال ليبيا عسكرياً ثم غزو مصر بالفرقة العاشرة المدرعة البريطانية الموجودة في ليبيا، ويأسف بن حليم أنه كان لا يثق بالسفير البريطاني (جراهام) في ليبيا حرصه على عدم استعمال الأراضي الليبية لأية حملة ضد مصر ويقول: "**اتضح لي مؤخراً أنه يقف من ليبيا موقفاً مشرفاً منصفاً**"[30].

العدوان الثلاثي على مصر (حرب السويس 1956م):

لقد ظل التآمر الأجنبي قائماً على مصر بعد إعلان قرار تأميم قناة السويس إضافة إلى ذلك اعتبرت بريطانيا عقد صفقة الأسلحة المصرية التشيكية، وامتناع مصر الدخول في حلف بغداد 1955م هزيمة نكراء لسياستها في الشرق الأوسط، وكان في نفس الوقت تأييد الشعوب العربية خطوات مصر في تأميم القناة قراراً ناجحاً، ومن ناحية أخرى كانت فرنسا البادئة بالعدوان، ومتوترة هي الأخرى إذ

كانت تنقم على مصر لتدخلها في شؤون الجزائر، وكما يقول السادات بسبب التأييد السياسي والدعم العسكري والمالي الذي تقدمه حكومة مصر لثوار الجزائر الذين يحاربون الاستعمار الفرنسي في سبيل معركة الحرية والاستقلال الأمر الذي أغضب فرنسا وجعلها تصر على ضرب الثورة المصرية[31].

في 27 يوليو 1956م أرسلت الحكومة البريطانية احتجاجاً إلى مصر على قرار تأميم شركة قناة السويس فرفضت مصر تسلم الاحتجاج، وفي اليوم التالي هددت بريطانيا وفرنسا باحتلال مصر، وكان رد جمال عبدالناصر بأن مصر ستقابل القوة بالقوة وأكد عزم مصر على حماية حرية الملاحة لجميع الدول، وفي 29 يوليو أعلنت كل منهما بتجميد أرصدة أموال مصر بما في ذلك ممتلكات شركة القناة في كل من الدولتين وكان في المقابل أن أيدت روسيا بحق مصر في التأميم، وفي أول أغسطس قررت روسيا تقديم عرضها لتمويل مشروع السد العالي في حين تعهدت بريطانيا وفرنسا بأنهما لن يستخدما القوة ضد مصر بعد أن أصدرت الأوامر في 31 يوليو إلى الجيش البريطاني باستعداد أسطولها الحربي بأن يكون قريباً من القنال[32].

وعندما تفاقمت أزمة السويس سعت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا إلى إيجاد تسوية سلمية لحل أزمة السويس لذلك أعلن في لندن إلى عقد مؤتمر في 16 أغسطس 1956م لبحث قرار التأميم بأن تكون القناة تحت رقابة دولية فوافقت 18 دولة من الدول التي حضرت المؤتمر البالغ عددها 24 دولة، وكان من بينها مصر، لكن جمال عبدالناصر أعلن في 12 أغسطس رفض الدعوة إلى حضور المؤتمر، وفكرة تدويل القناة، وأن مصر ستحارب إذا لجأ الغرب إلى استخدام القوة[33].

في 29 أكتوبر 1956م هاجم الجيش الإسرائيلي كمقدمة للمؤامرة الكبرى منطقة الكونتيلا جنوبي صحراء سيناء على الحدود المصرية، وفي مساء اليوم نفسه دخلت الأراضي المصرية، ولقد بررت إسرائيل في عدوانها الغادر على مصر

على لسان (بنغوريون) في الكنيست بتاريخ 7 نوفمبر أن أهداف حملتها على سيناء هو ضمان حرية الملاحة في خليج العقبة والسويس وأنه يوطد أمن إسرائيل ولرفع معنويات جيشها وشعبها، وترك أمر التنفيذ لموشي دايان رئيس أركان الحرب[34].

وفي 30 أكتوبر وجهت بريطانيا وفرنسا حسب الخطة المبيتة لديهما إنذار إلى مصر تطلبان فيه انسحاب القوات المصرية إلى مسافة 10 أميال من قناة السويس، وذلك بحجة المحافظة على سلامة حرية الملاحة في القناة، وفي نفس الوقت كان عبدالناصر يتوقع "**هجوما بريطانيا وفرنسا قادما عبر البحر الأبيض من قبرص ومالطا متجها إلى الإسكندرية أو بورسعيد وبر سعيد هي الأرجح لأنها منطقة الصراع وهو قناة السويس**"[35]، وفي قبرص دهنت بريطانيا دباباتها بلون أصفر مشابه لرمال الصحراء وطبعة عملة لتستخدم في الجهات التي يتم إحتلالها[36].

وفي 31 أكتوبر بدأت غارات القوات البريطانية والفرنسية على مطارات مصر في شكل حملات عسكرية برية وبحرية وجوية مشتركة للإغارة على منطقة القناة، وصمدت مصر ضد جيوش وأساطيل دول العدوان الثلاثي، وكان ذلك مفاجأة للرأي العام العالمي الذي استنكره سكرتير الأمم المتحدة (داج همرشلد) احتجاجاً ضد العدوان، وكانت المعارك بين الطرفين حتى يوم 4 نوفمبر صمد أهالي بورسعيد ضد القوات المعتدية، وفي 5 نوفمبر هددت روسيا بإنذارها المشهور بريطانيا وفرنسا حيث قال رئيس وزرائها (بولجانين) إلى أولئك المتآمرين "**أننا مصممون كل التصميم على استخدام القوة للقضاء على العدوان وإنهاء الحرب**" وفي 6 نوفمبر أصدر مجلس الأمن بالأمم المتحدة قراراً بوقف إطلاق النار فوراً وحل مشكلة القناة سلمياً وعودة الملاحة في قناة السويس، وفي هذا الشأن يقول السادات في مذكراته بأن يد الروس امتدت إليهم يوم أن تآمر الكبار عليهم، ففي مجلس الأمن كان (الفيتو) الروسي هو اللطمة التي جعلتهم يفيقون من غشيتهم لكي يعترفوا بعد ذلك في أيامه هذه بعودة الحق إلى أصحابه[37].

اتخذت الأمم المتحدة تسوية سلمية بين الأطراف المتنازعة وفي 7 نوفمبر وافقت على إرسال قوات طوارئ دولية حتى يتم انسحاب المعتدين من بورسعيد، وتم ذلك في 23 ديسمبر 1956م، ووافقت مصر أن تكون قوات الطوارئ على الحدود الفاصلة بين مصر وإسرائيل[38].

على الرغم من فشل العدوان الثلاثي على مصر، لكن أمريكا ظلت تتآمر عليها عن طريق وزير خارجيتها (دالاس) بالضغط السياسي والحصار الاقتصادي وبالدسائس عن طريق بعض عملاء حكام العرب لاغتيال جمال عبدالناصر، ولكن ذلك التآمر فشل على يد الضابط المصري (عصام الدين خليل) والبطل السوري المقدم (عبدالحميد السراج)[39].

الموقف الليبي من حرب السويس 1956م:

أما بشأن الموقف الليبي من حرب السويس، فجاءت ردود الفعل بالاحتجاج وتقديم إنذارات للحكومة البريطانية، وتذكيرها بمعاهدة التحالف بينهما، أما التلويح باستعمال القوة ضد قواعدها العسكرية في ليبا فيقول بن حليم: " **كان ذلك غير ممكناً للجيش الليبي المكون في ذلك الوقت من ثلاثة ألوية أن يقاوم فرقة بريطانية كاملة مدرعة بأحدث الدبابات والمدفعية الثقيلة والعتاد الحديث**" وفي نفس الوقت خطط بن حليم في حالة عدم إلتزام بريطانيا بنصوص المعاهدة بينهما أن تكون هناك مقاومة شعبية للقيام بالهجوم على القواعد البريطانية بنسف أنابيب المياه وشبكات الكهرباء والقيام بمظاهرات شعبية في ولاية طرابلس للتنديد بالعدوان، ولكن بن حليم أخذ تأكيدات من السفير البريطاني (جراهام) مساء يوم 31 أكتوبر بعدم استعمال القواعد العسكرية في ليبيا للعدوان على مصر[40].

على الرغم من التأكيدات البريطانية المشار إليها، لكن الأمور صارت أكثر إلحاحا بإعادة النظر في المعاهدة التي كانت تشكل أزمة سياسية في محور العلاقات الليبية البريطانية وفي خطاب العرش الذي ألقاه الملك إدريس بمناسبة افتتاح انعقاد

البرلمان الليبي في ديسمبر 1956م، عزز ضرورة الحل العاجل لهذه القضية باستشهادات من التحول الملموس للوضع السياسي والعسكري في الشرق الأوسط.

وفي أثناء أزمة السويس طلب الاتحاد العام للعمال الليبيين من العمال بمقاطعة سفن وطائرات الدول المشتركة في العدوان الثلاثي على مصر، وذلك رداً على مقاطعة باخرة (كيلوباترة) المصرية في ميناء نيويورك، وفي مقابل ذلك بذلت الدول الغربية التي تتعارض مصالحها مع ليبيا كافة مساعيها لإضعاف تنظيمات الحركة العمالية في ليبيا[41].

لم يكن رد الفعل موجها لبريطانيا وأمريكا فحسب وإنما للقوات الفرنسية المشاركة في العدوان والمتواجدة في وسط افريقيا انطلاقاً من قاعدتها في فايالارجو بتشاد والتي كانت تتزود منها بالوقود والمهمات العسكرية للوصول إلى القاهرة لضرب السويس، ففي أثناء تعبئة الوقود لإحدى القاذفات قام أحد عمال الخدمات الأرضية بالقاعدة وهو ليبي الجنسية بتعطيل خزان الوقود بحيث لم تعد قادرة على الإقلاع وأداء مهامها العسكرية[42].

لم يكن الموقف الليبي الداعم لمصر أثناء أزمة السويس على مستوى النطاق المحلي فحسب، وإنما كان دولياً، وذلك من خلال مساعي بن حليم رئيس الحكومة لاحتواء الأزمة، فبعث برسالة إلى الرئيس الأمريكي ايزنهاور في 1 نوفمبر 1956م، يشكره فيها على نبل موقفه الشجاع لإدانة العدوان الثلاثي ويحثه على المزيد من التأييد لمصر ومن الشجب والتنديد لبريطانيا، وفي 2 نوفمبر جاء الرد الأمريكي لتوضيح الجهود المبذولة في مجلس الأمن لمحاولة إنهاء العدوان، وفي هذا الشأن يذكر السادات بأن المستر ايزنهاور وقف وقفة يستحق عليها الشكر والتقدير، ومؤكداً لموقف بعض حكام العرب المتخاذل الذين دبروا الدسائس والمؤامرات التي كان هدفها اغتيال الرئيس جمال عبدالناصر، ولكنها فشلت جميعها[43].

وتأكيداً على دور ليبيا القومي ما بعد العدوان الثلاثي، فقد وافقت الحكومة على قرارات مؤتمر القمة العربي الأول المنعقد بالقاهرة سنة 1964م، والتي كان من بينها صيانة الأمن الجماعي العربي من خطر وجود القواعد الأجنبية المتحالفة مع الصهيونية، واعتبرت المعاهدة الضمان الجماعي أن العدوان على أية ددولة عربية هو عدوان عليها جميعاً[44].

ونظراً لوجود القواعد الأجنبية في ليبيا التي كانت تشكل خطراً على الأمن القومي، ففي 22 فبراير 1964م، دعا الرئيس جمال عبدالناصر في خطابه التاريخي بمناسبة عيد الوحدة إلى تصفية القواعد الأجنبية العسكرية البريطانية والأمريكية في ليبيا، وتنادت لذلك حكومة محمود المنتصر في اجتماعها يوم 23 فبراير من السنة نفسها بأنه ليس لديها الرغبة في تمديد أو تجديد استمرار وجود القواعد الأجنبية في أراضيها وفي 16 مارس عقد مجلس النواب الليبي جلسة وأصدر قراراً بالإجماع حول إنهاء المعاهدات المعقودة مع أمريكا وبريطانيا وتصفية قواعدهما العسكرية في البلاد[45].

اثر تداعيات أزمة السويس على العلاقات الليبية المصرية:

على الرغم من الموقف الليبي حكومة وشعباً المساند لمصر أثناء أزمة السويس 1956م، إلا أن "**الجزاء لم يكن من جنس العمل**" ومفاد ذلك أن الملحق العسكري العقيد (إسماعيل صادق) بالسفارة المصرية في ليبيا، والذي كان مرتبطاً مباشرة بقيادة القوات المسلحة المصرية، ففي أثناء الأزمة (حرب السويس) قام بتحريض جموع من الليبيين بأن وزع المال والسلاح الموجود بالسفارة والمخصص لدعم ثوار الجزائر على بعض (الغوغاء) بالاعتداء على الجنود البريطانيين وعلى قواعدهم العسكرية ظناً منه ومن معه أن يفتح جبهة حرب ضدهم في الأراضي الليبية، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى استهداف كبار الشخصيات من المسؤولين في الحكومة والمرافق الحيوية بالتفجير لقصر الملك ومسكن رئيس الوزراء وميناء ومحطة كهرباء طرابلس ومبنى البريد المركزي أيضا...، لكن رئيس الحكومة

مصطفى بن حليم تدارك خطورة الأمر فاطلع السفير المصري (أحمد حسن الفقي) بمخطط أعمال التخريب التي كان الملحق العسكري القيام بها في الوقت المناسب في ليبيا، " **التي وقفت مع بلاده انبل المواقف وقامرت بإستقلالها في سبيل نصرة مصر في محنتها ورد العدوان عنها**"[46].

إن تلك الأعمال الإرهابية التي كان ينوي القيام بها في حالة الاعتداء البريطاني على مصر من قواعدها العسكرية في ليبيا، ولكن بعد موافقة بريطانيا بعدم استعمال قواعدها، لهذا لم يكن هناك مبرر لمسألة المقاومة الشعبية التي رتب لها العقيد إسماعيل صادق، وفي تلك الفترة تزامن اندلاع مظاهرات شعبية في طرابلس مؤيدة لمصر، وكان الملك إدريس مقيماً في طبرق وتلقى تقارير عن تصرفات الملحق العسكري المصري، وقبل قيام حرب السويس بيومين انتقل الملك إلى طرابلس وزالت مخاوفه التي لم يكن لها مبرر عن تآمر بن حليم مع المصريين كما قيل له، وأمر الملك بن حليم بطرد الملحق العسكري فوراً من البلاد[47].

أما ردود الفعل من ناحية حكومة مصر يقول بن حليم أنها لم تكن ترغب في أن تعلن للجميع كيف كان الموقف الليبي المشرف شعباً وملكاً وحكومة وغمطتهم في الحق الذي يستحقون، فلا أقل من أن تلتزم الصمت التام فيما يتعلق بإغفال واجبها في التعبير عن العرفان بالجميل لشقيقتها ليبيا، ولكن ما انتهت آثار أزمة السويس حتى بدأ الغمز في مواقف ليبيا من الأزمة وطمس الحقيقة وربما أعتقد النظام المصري أن تلك هي فرصته السانحة لإسقاط النظام الملكي(غير ثوري) في ليبيا[48].

وبالنسبة لبعض الصحف المصرية التي كان لها السبق للنيل من الجهود الليبية الداعمة لمصر، فبداية منذ أن وقعت حكومة محمود المنتصر المعاهدة مع بريطانيا في 29 يوليو 1953م، وصفته بأنه أداة في أيدي الأمبرياليين، كما جاء في صحيفة الأهرام بتاريخ 1 يوليو 1957م، تشويه مواقف مصطفى بن حليم رئيس الحكومة الليبية أثناء أزمة السويس، وذلك بطمس الحقائق مثل " **تآمره ضد مصر أثناء**

العدوان الثلاثي عليها – أسرار خطيرة وراء استقالة الوزارة الليبية– الملك إدريس يكتشف خطة مدبرة لعزل البلاد عن مصر– بريطانيا تكافئ بن حليم بنصف مليون جنيه لتعاونه معها في حملة القناة، ويضيف بن حليم بقوله: " **فقد أشاعوا وأذاعوا عبر أبواقهم الناعقة أن الحكومة الليبية سنة 1956م تواطأت مع بريطانيا في غزو مصر!! قالوا هذا دون خجل ....**".

وبعد مضي سنة من أزمة السويس يقول بن حليم أن الحقيقة ظهرت على لسان الرئيس جمال عبدالناصر في خطابه في مدينة بورسعيد يوم 23 ديسمبر 1957م، يقول حرفياً: " **كان قائد العدوان ... يريد أن يهاجم مصر من ليبيا وقال أيضاً أن الملك إدريس هدد إذا استخدمت بريطانيا قواعدها العسكرية في ليبيا للعدوان على مصر ربما بقطع العلاقة معها وبهذا لم يتمكنوا من استخدامها... وهذا موقف مشرف للملك إدريس السنوسي ملك ليبيا...**" ونشر هذا الخطاب في صحيفة الأهرام في عددها الصادر 24 ديسمبر 1957م[49].

وفي خاتمة البحث الذي لا تسعه هذه الصفحات يمكن الإشارة إلى أن أزمة السويس مهما سببت من تداعيات سياسية وإعلامية فإنها لن تؤثر على روابط العلاقات الليبية المصرية ويبقى موقف ليبيا قومياً مشرفاً وداعماً لمصر معنوياً وسياسياً ومادياً، ونأمل المزيد من السادة الباحثين كشف الحقائق التاريخية المدعومة بالوثائق لا عن طريق المقالات والخواطر عبر الصحف والمواقع الإلكترونية، التي لا تدعمها المصادر وإن دور المؤرخ أو الباحث التاريخي إظهار الحقيقة فقط.

الهوامش:

(1) هيثم الأيوبي، ميزان القوى العربي– الإسرائيلي، مجلة قضايا عربية، بيروت، ع7–8، يوليو، أغسطس،1981م، ص:13.

(2) محمد حسنين هيكل، قصة السويس، ط5، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، 1985م، ص:7 ومابعدها.

(3) جلال يحيى، نصر مهنا، المواني ومشكلاتها في العلاقات الدولية، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ص: 177 – 178.

(4) تيودو رتشين، تاريخ المسألةالمصرية، 1875 – 1910، ترجمة عبدالحميد العبادي، محمد بدران، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936م، ص: 400 – 401، جلال يحيى، مرجع سابق، ص: 182–183، على سلطان، تاريخ العرب الحديث، 1516 – 1918، مكتبة طرابلس العالمية، ليبيا، (د.ت)، ص: 177، عبدالعزيز سليمان، الأهمية الاستراتيجية لبوغاز باب المندب ومضيق تيران، المجلة العسكرية، مصر، ع 176، سبتمبر 1974م، ص: 124 – 125.

(5) سامي حكيم، معاهدات ليبيا مع بريطانيا وفرنسا، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1964م، ص: 22، محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا الحديث، ط1، طوب الاستثمار، الرباط، 1960م، ص: 84– 85.

(6) هنرى أنيس ميخائيل، العلاقات الإنجليزية الليبية، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1970م، ص: 245 – 247، ن.أ، بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية ق19، 1969م، ط2، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م، 361، الصيد، مصدر سابق،ص:88.

(7) مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي،ط5، لنـــدن، 1992م، ص:168.

(8) ميخائيل، مرجع سابق، ص: 5-6.

(9) سامي حكيم، مرجع سابق، ص:5-7.

(10) أمين النفوري، القواعد العسكرية الأجنبية في المنطقة ودورها، مجلة قضـــايا عربية، بيروت، ع 7-8، 1981م، ص:51.

(11) سامي حكيم، مرجع سابق، ص18، مخائيل،مرجع سابق،ص311

(12) نجيب صالح، تاريخ العرب السياسي 1856-1956،ط1، دار اقرا ، بيروت 1985م،ص21 ومابعدها.

(13) المرجع السابق، ص50.

(14) انور السادات، مذكرات الرئيس انور السادات ،مكتبـــة العرفـــان ،بنغـــازي ،(د.ت)،ص159، علي سلطان، مرجع سابق،171.

(15) يوميات الثورة 1952-1962، فتحي فهمي (اعداد)، مؤسسة الكفاح ،القاهرة (د.ت)، ص30- 32.

(16) السادات مصدر سابق ، 154-157، نجيب صالح، مرجع سابق، ص390.

(17) المرجع السابق،395،سلطان ، مرجع سابق ،ص171.

(18) بن حليم ،مصدر سابق ،ص178

(19) الصيد،مصدر سابق ،86.

(20) بن حليم ،مصدر سابق ،ص179- 404.

(21) السادات، مصدر سابق، ص 176

(22) يوميات الثورة 1952 - 1962م، مصدر سابق، ص42،40،36.

(23) جمال عبدالناصر ،فلسفة الثورة ، مطابع الثورة ،بنغازي ،(د.ت)،ص 104.

(24) السادات، مصدر سابق، ص 172-173.

(25) المصدر والصفحة نفسها ،نجيب صالح ،مرجع سابق ،ص395.

(26) الصيد، مصدر سابق ،ص311.

(27) بن حليم ،مصدر سابق ،ص180.

(28) المصدر السابق، ص415.

(29) المصدر نفسه ،ص421.

(30) المصدر نفسه ،ص421 ومابعدها .

(31) السادات، مصدر سابق ، 154–157، سلطان، مرجع سابق، ص171.

(32) يوميات الثورة1952–1962 ، مصدر سابق، ص42.

(33) المصدر السابق، ص44، هيكل ،مصدر سابق، ص149،جلال يحي، مرجع سابق ،ص 206–207.

(34) يوميات الثورة1952–1962 ، مصدر سابق،ص48 ،السادات ،مصدر سابق،ص176، انظر كذلك نجيب صالح ،العصر الاسرائيلي من قناة السويس إلى باب المندب، دار اقرا،بيروت ،1983م، ص31– 32،محمود شيت خطاب، اهداف اسرائيل التوسعية في البلاد العربية ،ط3، القاهرة ،1970م،ص34.

(35) هيكل ، مصدر سابق،ص150.

(36) محمد عوض محمد، الإستعمار والمذاهب الإستعمارية، القاهرة، دار المعارف، 1957م، ص 151.

(37) يوميات الثورة1952–1962 ، مصدر سابق، ص50،السادات ،مصدر سابق،ص 174–191، جلال يحي، مرجع سابق ،ص206–207.

(38) السادات، مصدر سابق ، ص183، يوميات الثورة1952–1962، مصدر سابق، ص52، سلطان ، مرجع سابق ،ص 171.

(39) السادات، مصدر سابق ، ص185–186.

(40) بن حليم ،مصدر سابق ،ص427 ومابعدها.

(41) بروشين، مرجع سابق ،ص 369-443 .

(42) مقابلة شفوية اجرها الباحث مع السيد: أحمد حامد محجوب الزوي، الزاوية، بتاريخ 2017/3/5م .

(43) مخائيل، ص335 ،سامي حكيم ،مرجع سابق ،ص5

(44) بن حليم ،مصدر سابق ،ص445-446،السادات ،مصدر سابق ص183-185.

(45) مخائيل، مرجع سابق،ص 334.

(46) بن حليم ،مصدر سابق ،ص452-453.

(47) المصدر السابق، ص448، الصيد، مصدر سابق، ص114-115.

(48) بن حليم ،مصدر سابق ،ص458.

(49) المصدر السابق، ص459-461-463.

الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور، الأحزاب، المجادلة، التحريم

أ. آمال الصادق عبد الله البشتي
كلية التربية الزاوية – جامعة الزاوية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه ربه رحمة للناس أجمعين

أما بعد:

فقد أكرم الله – تعالى – الأمة الإسلامية بأن جعلها خاتمة الأمم، وأرسل رسوله الكريم سيد المرسلين وخاتم الأنبياء نبينا محمداً ﷺ وأنزل عليها خير الكتب وخاتمها ليبني مجتمعاً كريماً صالحاً لكل زمان ومكان، وكان من أعظم الأسس التي تساعد على أهلية المجتمع لهذه الخيرية الكريمة توفير الكرامة لأفراد المجتمع رجالاً ونساءً.

من أجل هذا اعتنى القرآن الكريم عناية كريمة بالمرأة، وحفظ لها حقوقها المالية والعلمية والاجتماعية، وأقر لها بحق الكرامة الإنسانية، وبنى فيها القدرة على اتخاذ القرار الصائب والتعبير عنه بكل حرية، خصوصاً أن تاريخ المرأة في الجاهلية كان ركاماً من المعاملة القاسية والقتل والإهانة.

وقد جاء التطبيق الفعلي لهذه المفاهيم من خلال واقع السيرة النبوية المطهرة التي كانت مثالاً رائداً في تكريم المرأة بوصفها إنساناً له مقوماته الحضارية في المعاملة الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، سواء أكانت عضواً في أسرتها، أم كانت عضواً في مجال عملها التنموي الاجتماعي المتعدد المجالات.

ونظراً للدورة التنموية الحديثة وسرعة المتغيرات العصرية، ومع غياب بعض المفاهيم القرآنية الكريمة عن مجريات الواقع في المجتمع المسلم عامة، والمجتمع

الليبي خاصة كان لتغييب ثقافة الخطاب عن تربية المرأة الدور الكبير في انتقاص حقوق المرأة، وتعطيل قدراتها ومهاراتها التنموية، وأحياناً بسبب قصور بعض أنواع التربية الاجتماعية التي تسهم في كبت المهارات اللفظية، ومهاجمة الخطاب لدى المرأة.

وكان لابد من التركيز على بناء مفهوم الخطاب مع المرأة سواء في مجتمع الرجال أم في مجتمع النساء، لعلاج كثير من السلبيات الناشئة عن عدم نشر ثقافة الخطاب في المجتمع، وذلك بالرجوع إلى النبع الصافي من القرآن الكريم والسنة المطهرة في توضيح مفهوم الخطاب مع المرأة، والآثار الإيجابية المترتبة على التعامل بالخطاب على الفرد والمجتمع.

إن هذه الإشكالية أساسها قائم على (إن المرأة ملزمة في التعاليم الدينية الإسلامية بضوابط تنظم حركتها، وتكون تلك الضوابط محددة لحريتها – في الظاهر – والخطاب القرآني يكرم المرأة في تأصيل حقوقها الاجتماعية ويلزمها بمسؤوليات مقابل تلك الحقوق)، وتحت هذه العبارة تندرج مجموعة من التساؤلات من بينها:

- ثقافة الخطاب هل يمكن اكتسابها ؟
- هل اعتمد القرآن خطاب المرأة وسيلة للإقناع؟.
- هل يمكن استنباط الأحكام من خلال خطاب المرأة الذي ورد في القرآن الكريم؟.
- هل هناك علاقة بين ثقافة الخطاب مع المرأة وبين سلامة وصحة الأسرة والمجتمع المسلم؟.

كل ذلك يمثل إشكالية استوجبت التعرض لهذا الجانب بما يكشف الغطاء ويميط اللثام ويزيل الإبهام ويرسم الصورة الكاملة للمرأة من خلال(الخطاب التربوي للمرأة في القرآن الكريم)، وحتى نصل إلى الإجابة عن هذه الأسئلة ، سلكت المنهج الإستقرائي التحليلي، بذكر آيات من خطاب المرأة في القرآن الكريم، سواء

أكان بطريق مباشر أم غير مباشر، واستنباط بعض الفوائد الجليلة والآثار الجميلة لترسيخ أسلوب الخطاب في الأسرة والمجتمع. من هنا جاء هذا البحث متضمناً: مفهوم الخطاب لغةً واصطلاحاً ومفهوم التربية لغةً و اصطلاحاً، ومفهوم الخطاب التربوي، ثم تركزت الدراسة على الخطاب التربوي للمرأة في سورة النور – الخطاب التربوي للمرأة في سورة الأحزاب – الخطاب التربوي للمرأة في سورة المجادلة – الخطاب التربوي للمرأة في سورة التحريم. ثم أنهيت البحث بخاتمة رصدت فيها أهم نتائج البحث وتوصياته .

مفهوم الخطاب لغة: الخطاب مصدر رباعي على وزن (فِعال) مشتق من الفعل الرباعي (خاطب) فهو عند ابن منظور: " الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان"[1].

وعند ابن فارس: " كل كلام بينك وبين آخر، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً"[2].

وقد ورد لفظ الخطاب في القرآن بصيغة المصدر، وصيغة الفعل. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطَابِ**﴾ [ص : 20] ، يقول الطبري: " الخطاب المخاطبة"[3]، وقال الزمخشري " فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه"[4].

وقوله تعالى: ﴿**ولا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾ [هود : 37 و المؤمنون: 27]، يقول الطبري: "ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك فأكسبوها تعدياً منهم عليها بكفرهم بالله – الهلاك والغرق– ، إنهم مغرقون بالطوفان[5].

مفهوم الخطاب اصطلاحاً: إن أكثر ما تردد الحديث عن معنى الخطاب عند علماء الأصول لدى بحثهم لمعنى الحكم الشرعي؛ لأن في معرفة معنى الخطاب فائدة في معرفة معنى الأحكام الشرعية ، فيذهب المرجاني إلى أنه: " المبحوث عنه في علم الأصول مما يقع به التخاطب ويصح فيه التساؤل والتجاوب، ويمكن توجيهه للإفهام وبيان المقصد والإفهام، وذلك إنما هو خطابات الله تعالى التي تضمنها كتابه الكريم، وحديث نبيه – الشريف وخطاب النبي – لمن بلغه من الموجودين وقت النزول وورود الوحي ومن يوجد بعده بلا فرق"[6].

وعرفه طه عبد الرحمن تعريفاً جامعاً لمعاني المتقدمين والمعاصرين فقال:"إن المنطوق به – أي الخطاب – الذي يصلح أن يكون كلاماً، هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطاباً، إذ حدّد الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً"[7].

مفهوم التربية لغة: يرجع أصل كلمة التربية إلى أصول ثلاثة هي:

الأول: ربا، يربوا، ربوّا، ورباء أي نمى وزاد، وأربيته نميته[8]، وفي القرآن الكريم ﴿**وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِنْدَ اللهِ**﴾[الروم: 39]؛ أي فلا يزداد، وقوله تعالى: ﴿**وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾[البقرة: 226]، " أي ينميها في الدنيا، ويضاعف أجرها في الآخرة"[9]، وقوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[الحج:5].

الثاني: ربى يربى بمعنى نشأ وترعرع، وربوت ربوّا وربواً وربت رِباء ،ورُبيّا؛ أي نشأت فيهم، وربييتُ فلانا أربيه تربية؛ أي غدوته[10].

الثالث: ربَّ يربُّ، أي رباه وأصلحه، ومتنه وحضنه، وربَّ زيد الأمر إذا ساسه وقام بتدريبه، وربَّاه؛ أي أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولة، ومنه قيل للحاضنة رابَّة وربيبةٌ؛ لأنها تصلح الشيء، وتقوم به، وربيت الأمر أربّه ربّاً أي أصلحته ومتّنته وأجبرته وطيّبته"[11].

من هذه التعريفات اللغوية يتضح أن لفظ التربية في معاجم اللغة يدور حول الإصلاح والرعاية، والقيام بأمر المتربي، و الزيادة، والنمو، والتنشأة الملازمة، وأن المفهوم التربوي مرتبط بجميع تلك المعاني.

مفهوم التربية اصطلاحاً: وضع علماء التربية الحديثة تعريفاتهم المختلفة للتربية بناء على الأصل اللغوي لكلمة التربية، "فقد اختلفت تعريفاتهم باختلاف نظرة المربّين وفلسفتهم في الحياة ومعتقداتهم التي يدينون بها"[12]، قال البيضاوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الفاتحة:1]. " الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وُصف به تعالى للمبالغة"[13].

وقال الأصفهاني: " الرب في الأصل التربية ، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام"[14].

ونظر الإسلام إلى التربية على أنها "عملية تفاعل بين الفرد والبيئة الاجتماعية المحيطة به، مستضيئة بنور الشريعة الإسلامية بهدف بناء الشخصية الإنسانية المسلمة المتكاملة في جوانبها كلها، وبطريقة متوازنة"[15].

مفهوم الخطاب التربوي: حددّه بعض الباحثين بأنه: " اللغة المعبرة عن جملة من التصورات والمفهومات والاقتراحات حول الواقع التربوي، وصفاً وتحليلاً، ونقداً، واستشرافاً لمستقبله، أو حول علاقة الوجود بين التربية ومجتمعها "[16] .وعرّفه

عبّود بأنه "الكلام الذي يدور حول التربيـــة، وأوضـــاعها وقضـــاياها ومشـــكلاتها وهمومها، سواء أكان هذا الكلام كلاماً شفويا أو كلاماً مكتوبا وســـواء أكـــان هـــذا الكلام تعبيراً عن فكر علمي منظم، أو كلاماً مرسلاً عاماً. فإن هـــذا الكـــلام وذاك إنما يتشكل في عقل صانع القرار التربوي ومتخذه، ليتحول إلى آلية عمل تربـــوي على نحو أو آخر"[17].

وعرفه جابر محمود بأنه " نوع من الاتصال الإنساني عبر وسيلة من الوســـائل لإيجاد أرضية مشتركة من التواصل والتفاعل بين المرسل والمستقبل"[18].

للخطاب التربوي في القرآن الكريم مساحة واسعة تتعلق بالمرأة المسلمة، لأن الإسلام واجه القضايا والمواقف التي تعيشها المرأة في واقعها من خلالـــه، فكـــان الخطاب هو الوسيلة لتقويم الانحراف وإصلاح الذات والتأصـــيل للقـــيم الإنســـانية الجديرة بالخلود، فتعود المرأة إلى إنسانيتها الصافية التي يريدها خالقهـــا، وتنطلـــق في تصرفاتها وأفعالها وأقوالها مما جاء به دينها الإسلامي، ولا تنحرف عنه يمنـــة ولا يَسرة، قال تعالى:﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْـراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَـن يَعْـصِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ ضَـلَّ ضَـلالاً مُّبِيناً**﴾[الأحزاب: 36].

ولذلك لم يخرج خطاب القرآن الكريم للمرأة المسلمة في كثير من المواضع عن ذلك، وقد تعددت الآيات التي تشير إلى ذلك، منها:

أولاً- الخطاب التربوي للمرأة في سورة النور:

قال تعالى:﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَـتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْـرِ**

أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: 31].

فهذه الآية نور للمرأة المسلمة، لأنّ الله عزوجل أراد من خلال هذا الخطاب أن يرسم للمرأة أرقى ألوان الحياة الفاضلة، التي تقوم على الطهر والعفاف والنقاء، فهي تأمرها بغض البصر، كما تأمرها بصيانة عرضها عن كل ما لا يليق.

ومع أن النساء يدخلن في خطاب الرجال على سبيل التغليب، إلا أن الله – تعالى – خصهن بالخطاب هنا بعد الرجال، قال تعالى:﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ...**﴾، لتأكيد الأمر بغض البصر وبالتحلي بالعفاف، ولبيان أنه كما لا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة إلا في الحدود التي أحلها الله – تعالى –، فكذلك لا يحل للمرأة – أيضاً – أن تنظر إلى الرجل إلا في الحدود المشروعة، لأن علاقته بها كعلاقتها به، ومقصده منها كمقصدها منه ونظرة أحدهما إلى الآخر على سبيل الفتنة وسوء النية تؤدي إلى الشرور والآثام.

والمقصود بقوله – سبحانه –:﴿**وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾: أن على كل أنثى بالغة ألا تظهر شيئاً من جسدها أمر الله – تعالى – بستره، إلا ما جرت العادة بإظهاره وهو الوجه واليدان.

وقوله – سبحانه –:﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾، بيان لكيفية إخفاء بعض مواضع الزينة، حتى لا يطلع أحد من الأجانب على شيء من ذلك، فهي أمر للنساء بالحجاب الشرعي لأنه شريعة محكمة وفريضة ثابتة؛ لصيانة كرامة المرأة والمجتمع عامة؛ ولتدعيم مبدأ العفة فتأمن هي الفتنة على نفسها وتأمن عدم فتنة الرجال بها، فالفتنة حاصلة لكل منهما بالآخر، وإن كانت فتنة الرجال بالنساء أعظم.

قال تعالى:﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ**﴾[آل عمران: 14]، فجعلهن من حب الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك[19]، فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن، أن يغطين رؤوسهن وأعناقهن ونحورهن وصدورهن بكل ما فيها من زينة وحلي، على خلاف نساء الجاهلية.

والمراد بزينتهن في قوله تعالى:﴿**وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ**﴾: الزينة الخفية، وهي ما عدا الوجه والكفين، كشعر الرأس والذراعين والساقين، فقد نهى – سبحانه – النساء المؤمنات من إبداء مواضع الزينة الخفية إلا لمن استثناهم سبحانه – بعد ذلك، وهم اثنا عشر نوعاً منهم: الأزواج، والآباء، وآباء الأزواج، والأبناء، وأبناء الأزواج، والإخوة، وأبناء الإخوة، ويلحق بهؤلاء المحارم: الأعمام، والأخوال، كما يلحق بهم النساء والخدم والرجال الذين تقدمت بهم السن والذين لا رغبة لهم في النساء إلا من حيث العون والمساعدة، وكذلك الأطفال.

والمقصود بقوله – سبحانه –:﴿**وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾: نهي المرأة المسلمة عن استعمال أي حركة أو فعل من شأنهما إثارة الشهوة أو الفتنة، "كانت المرأة تضرب الأرض برجليها إذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فنهين عن ذلك إذ سماع صوت الزينة كإظهارها[20].

ثم ختم – سبحانه – هذه الآية الجامعة لأنواع من الآداب السامية، بقوله – تعالى –:﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾، فوصى المؤمنين جميعاً بالتوبة وبتأمل الفلاح.

إن الغرض من الخطاب يتضمن تقرير المضمون الذي جاءت الآية لتقريره، وهو حفظ الأخلاق والعفاف، فجمع سبحانه وتعالى في هذه الآية بين الغاية وهو حفظ الفروج والوسيلة لذلك وهو غض البصر، وستر الزينة، ونهى عن إبدائها ولو

بالحركة التي تدل عليها، وفي هذه الآداب التي اشتملت عليها هذه الآية[21] صيانة لكرامة المرأة، وسدٌ لذرائع الفساد في المجتمع ليكون المجتمع المسلم طاهراً، وسالماً من فشوّ الرذيلة فيه، كما قال تعالى:﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[الأحزاب:33].

لقد قدم هذا الخطاب أصول تربية المرأة المسلمة، قدمه بشكل يقيني، فأوصد الباب أمام الزنا وشيوع الفاحشة، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بغض البصر وحفظ الفرج وسد منافذ الفتنة، وأخذ الطريق على الأسباب الدافعة إلى الزنا، توقياً للوقوع فيه ليحفظ الجماعة الإسلامية من التردي والانحلال.

فتنطلق المرأة من خلال هذا الخطاب إلى العمل بوصايا ربها، وتتوب من كل ما يخالف ذلك لتفوز بالصلاح والفلاح قال تعالى:﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾، وذلك لا يتحقق إلا بثياب الحشمة وهو الساتر لجميع بدنها.

ومن المصائب التي حلت بالمجتمعات الإسلامية السفور والتبرج الذي هو مطلب للكفار والمنافقين وفسّاق المسلمين، ولأن ذلك مفتاح لما يريده الكفار بالمسلمين من الانحلال وفساد الأحوال وهو طريق الفاسقين لنيل شهواتهم المحرمة، قال تعالى في بيان مراد الكافرين والفاسقين:﴿**وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**﴾[النساء:27]، والميل العظيم لا يتحقق إلا بشيوع الفاحشة، ودواعيها مما يفضي إلى استحلالها.

وقد سلك الكفار وتلاميذهم للوصول إلى غاياتهم طريق التدرج، فبدءوا بمحاربة الحجاب وشوهوا عباءات الحشمة، والإغراءات بعباءات الفتنة من مخصّرة وقصيرة، ولن يقف أولئك عند ذلك.

ثانياً : الخطاب التربوي للمرأة في سورة الأحزاب:

قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً، وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً، وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً، إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً، وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً**﴾[الأحزاب: 28-36].

وقال تعالى:﴿**لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً**﴾[الأحزاب: 55].

وقال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾[الأحزاب: 59].

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي – صلى الله عليه وسلم – جالساً، حوله نساؤه واجماً ساكتاً، قال: فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت[22]، عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال:" هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر – رضي الله عنه إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟ فقلن: والله! لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية:﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً، وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيما**﴾، قال فبدأ بعائشة فقال:" يا عائشة! إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك" قالت: وما هو يا رسول الله؟! فتلا عليها الآية، قالت: أفيك، يا رسول الله! أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت: قال:" لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنِّتا ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً"[23].

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره:" هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن جميعهن – رضي الله عنهن

وأرضاهن – الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة"[24].

لقد اختار النبي ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، لا عجزاً عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض، وكثرت غنائمها وعم فيؤها، واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد! ومع هذا فقد كان الشهر يمضي ولا توقد في بيوته نار، مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا، ولكن ذلك كان اختياراً للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله، رغبة الذي يملك ولكنه يعف ويستعلي.

فكان الخطاب في سورة الأحزاب نبراساً ومنهاجاً للمرأة المسلمة الغرض منه إذهابُ الرجس عن المرأة، وطهارتُها، ويتلخص هذا النبراس الحبير[25]، والسراج المنير فيما يلي:

- إعطاء المرأة درسا بأنها لن تبلغ منزلة الإحسان إلا بإرادة وجه الله، واتباع رسوله، وإيثار الدار الآخرة على دار الدنيا، والمرأة التي تريد الحياة الدنيا وزينتها لا فائدة في صحبتها.

فالمرأة بحكم بشريتها قد تتطلع إلى حب الزينة والتمتع بنعم الحياة الدنيا وزينتها حتى وإن كانت زوجة المصطفى ﷺ ولكنها سرعان ما تعود إلى صوابها بعد خطاب الله لها، وتحذيره إياها.

الأمر الذي يدل على صفاء هذه النفس وحسن منبتها وكمالها، ولاسيما إذ زكتها وأنمتها بالتقوى، قال تعالى:﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[الشمس: 9-10].

- البعد عن الفاحشة لأنها منافية للإحسان؛ لأن الإحسان هو فعل الجميل وترك القبيح؛ ابتغاء وجه الله وثواب الآخرة، ونساء الرسول ﷺ يضاعف لهن العذاب ضعفين "أي ضعفي عذاب غيرهن من النساء لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ " قال تعالى:﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾.
- القنوت – وهو الطاعة لله والرسول، وطاعة من أُمرت بطاعته – وعمل الصالحات، وهذا من باب التحلي والذي قبله من باب التخلي، ونساء الرسول ﷺ يؤتيهن الله عزوجل أجرهن مرتين وأعد لهن رزقاً كريماً وهو الجنة، قال تعالى:﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً**﴾.
- عدم الخضوع بالقول وهو أحد الواجبات السلوكية التي تحدث القرآن الكريم عنها وأمر المرأة باتباعها، فلا تكلم الأجانب كأنها خاضعة لهم منكسرة بكلام لطيف رقيق لين شبيه بكلام المريبات والمومسات، فحينئذٍ يطمع فيها الذي في قلبه مرض الشهوة فيُلين لها القول بكلمات ناعمة تخدش حرمتها وحياءها.

كما أمرها – تعالى– بمخاطبة الرجال بالقول الحسن الجاد، وفي المواضيع المتعارف عليها – بالخير بين الناس، ولا تنكرها الشريعة لبعدها عن محل الطمع، وذلك لأن موضوع الحديث قد يُطْمِعُ القلب المريض مثل لهجة الحديث.

وإذا كان الخطاب موجهاً لنساء النبي ﷺ وهن مضرب المثل للنساء في العفة ورفعة القدر، والسمو فوق الشبهات، فمن باب أولى أن يوجه هذا النهي لسائر النساء وخصوصاً في العصر الحالي، حيث زادت فيه ميوعة أصوات بعض النساء، فالخضوع بالقول إنما يكون للزوج لا للأجنبي، والعجيب في أمرهن عكس ذلك؛ يخضعن للأجنبي ويخشُن على الزوج.

وفضلاً عن هذا فإن القول الخاضع يوهم الذين في قلوبهم مرض من الرجال، أن المرأة تفعل ذلك تقرباً وتوداً إليهم، فتتجرأ أنفسهم على مغازلتها، وربما تتطور الأمور بينهما، ويصبح هذا القول بداية إلى قول الفواحش أو فعلها.

ومما سبق يلاحظ أن صوت المرأة في حد ذاته لا حرمة فيه، ولكن الحرمة تكمن في طريقة كلام المرأة، أو في محتوى الكلام نفسه، كأن يكون كلاماً هازلاً، أو مثيراً، أو مريباً، أو في رفع صوت المرأة بالكلام، حتى وإن كان بقراءة قرآن[26].

أما ما زعمه بعضهم من أن صوت المرأة عورة، وأن حديثها مع الرجل يثير الفتنة حتى وإن لم يكن في حديثهما ما يشكك أو يريب؛ لأن خائنة القلوب تجعل الصوت رخيماً، واللهجة مشوقة، والحديث عذباً وإن لم يكن كذلك[27]، فلاشك أن هذا الزعم زعم باطل، فالله – تعالى – لم ينه المرأة عن التحدث إلى الرجال، ولكنه نهاها عن الخضوع بالقول، وإذا راعت المرأة الآداب الإسلامية في أثناء حديثها مع الرجال، فلا حرج عليها من التحدث أمامهم أو معهم كأن تعلمهم، أو تتعلم منهم وتفصح عن رأيها، أو تباشر معهم البيع والشراء، وسائر المعاملات الأخرى.

هذا وقد أجمع الفقهاء الأربعة على أن "صوت المرأة ليس بعورة لأن نساء النبي ﷺ كن يكلمن الصحابة وكانوا يستمعون منهن أحكام الدين، ولكن يحرم سماع صوتها إن خيفت الفتنة ولو بتلاوة القرآن[28].

ويؤيد هذا الإجماع أن النساء على عهد الرسول ﷺ كن يتحدثن إلى النبي ﷺ ويسألنه في بعض أمورهن وأمور دينهن، كما بايع النبي ﷺ المؤمنات المهاجرات، حيث حفظت لنا كتب الصحاح أحاديث عديدة تفيد أن بعض النساء في عصر النبوة كن يروين الأحاديث، ويأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، ويلقين التحية

الإسلامية على الرجال، إلى غير ذلك من الأمور الحسنة ، قال تعالى:﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً**﴾.

- القرار في البيوت وعدم الخروج إلا لحاجة، فإذا احتاجت إلى الخروج فلا تتبرج بإظهار زينتها، قال تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾.

يقول ابن كثير:" أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة"[29]، وجعل الإسلام صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد، وهذا لتقليل خروجها حتى لا يراها الرجال ويكون ذلك فتنة، فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ :" لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن"[30].

وهذا لا يعني أن تظل المرأة حبيسة الدار، وأن لا تخرج أبداً، فلها أن تخرج للعلم وقضاء الحوائج أو تذهب لعملها، أو لزيارة أهلها وأقاربها وصديقاتها ممن تؤمن زيارتهن، أو لمراجعة الطبيب، أو لأداء الشهادة أمام القضاء، وما أكثر الصور التي يمكن أن تسردها الباحثة لخروج المرأة الخروج المشروع والذي له ما يبرره من الضرورات.

ولكن بقدر الحاجة والحجاب وبدون الاختلاط الذي يهدم حياتها أو يضيع حياءها بقدر الطاقة، فإذا ما اضطرت إلى محادثة الرجال والاختلاط بهم فليكن في غير خلوة، ولسبب ضروري، أو لقضاء مصلحة، ولا تنس أنها امرأة قد يطمع فيها ذوو النفوس الضعيفة، فلتحافظ على نفسها حتى لا تصل إلى درجة من الضياع تجعلها تندم في الدنيا والآخرة!!.

- إقامة الصلاة التي فيها الإخلاص للمعبود وإيتاء الزكاة التي فيها الإحسان إلى العبيد، وهاتان العبادتان – بالخصوص– تدعوان إلى غيرهما من العبادات؛ فلأجل ذلك خصهما الله بالذكر، قال تعالى:﴿**وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ**﴾، أي: نص الله – تعالى– على تكليف النساء بالصلاة، والزكاة، مع أنهن مكلفات بجميع فروع الشريعة كالرجال؛ لأن هاتين العبادتين هما أصل الطاعات التي تطهر قلب المسلم وتزكيه، وتوثق صلته بالله، ومن أقامهما على خير وجه جرتاه إلى ما وراءهما من عبادات وطاعات لله ورسوله.

فالصلاة: صلة تربط المسلمين والمسلمات بالله وهي:﴿**تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾[العنكبوت:45]، ومن يهمل في تأديتها يفقد عماد دينه، ومن يؤدها متكاسلاً يكن على صفة من النفاق، وذلك لقوله تعالى في وصف المنافقين:﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ**﴾[النساء:142]، وإلى جانب هذا فإن في إقامة الصلاة وتأدية الزكاة علاجاً لما في جبلة الإنسان من الهلع والخوف المانعين له من الدفاع عن الحق، ونصرة الله – تعالى – لذا كان المنافقون أجبن الناس وأبخلهم، ويؤكد ذلك قوله تعالى:﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً، إِلاَّ المُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾[المعارج:19–26].

والزكاة كذلك: وسيلة من أعظم وسائل التراحم، والتكافل الاجتماعي؛ لذا أشاد الله – تعالى– بالمتصدقين والمتصدقات في غير آية، وأجزل لهم الثواب يوم القيامة.

وحتى لا يظن بعضهم أن التكاليف الشرعية منحصرة في إقامة الصلاة، وتأدية الزكاة أمر الله – تعالى – المؤمنات بطاعة الله ورسوله، أي: إتيان كل ما أمرا به، والانتهاء عن كل ما نهي عنه للفوز برحمته.

ولم يستثن المولى – تعالى– من هذه التكاليف حتى نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – بل شدد عليهن في هذه الأوامر والنواهي[31]، حتى لا يقارف أهل بيت الرسول – صلى الله عليه وسلم – إثماً، وأن يتصونوا عنه بالتقوى؛ وهذا لا يحدث إلا بالعبادة والطاعة.

فهذا هو سبيل الطهارة وإذهاب رجس الشيطان الذي لا هَمَّ له إلا إيقاع العبد في المعاصي ولذلك قال تعالى:﴿**وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾.

- ثم ذكر – سبحانه وتعالى – أن السبيل الأعظم والطريق الأقوم إلى القيام بهذه الأمور هو العلم والتذكير بها، فقال تعالى:﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾.

وهذه الآيات وإن كانت في نساء النبي ﷺ فالمقصود منها نساء الأمة أيضاً؛ لأنهن تَبعٌ لهن في ذلك، والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

- ذكر الله تعالى المرأة إلى جانب الرجل في تعدد الصفات الشخصية للمسلمين والمسلمات رفعاً لقيمتها ومكانتها بجانب الرجل في علاقتهما بالله تعالى، وكان ذلك بناء على رغبة بعض النساء اللاتي ظنن أنهن في خيبة وخسار؛ لأنهن لا يذكرن بالخير كما يذكر الرجال[32]، قال تعالى:﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب:35].

فالآية الكريمة صريحة في أن النساء يتساوين مع الرجال في التكاليف الشرعية التي كلف – سبحانه – بها الرجال، وإذا كانت شريعة الإسلام قد أسقطت عن النساء بعض التكاليف الشرعية في حالات الحيض أو النفاس، فذلك من باب الرحمة بهن، والتخفيف عنهن، ومراعاة أحوالهن الجسمية والنفسية.

فهذه الآية قد اشتملت على عشر فضائل، جمع الله – تعالى – فيها بين الرجال والنساء، وأخبر أن الثواب العظيم كائن لمن يتحلى بها، سواء أكان من الذكور أم من الإناث، وهي: الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والصدقة، والصوم، وحفظ الفرج، وذكر الله كثيراً.

وفي إطار عدم التفرقة بين النساء والرجال في التكاليف الشرعية أمر الله – تعالى – أنبياءه بالاستغفار للمؤمنات كالمؤمنين اهتماماً بشأنهن، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[محمد:19].

ولاشك أن هذا الاستغفار من الرسول الكريم يطمئن المؤمنين والمؤمنات برضا الله – وفي ظل عدم التفرقة بينهما كذلك توعد المولى – تعالى – من يعذب المؤمنين والمؤمنات؛ ليفتنهم عن دينهم، ويصرفهم عن الإيمان بالعذاب الأليم:﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ**﴾[البروج:10].

– عن ابن عباس، قوله:﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً**﴾[الأحزاب:36]، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: "فانكحيه"، فقلت: يا رسول الله أُؤَامِرُ في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله:﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ**﴾، إلى قوله

تعالى:﴿**ضَلالاً مُّبِيناً**﴾[الأحزاب:36]، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ قال: نعم، قالت: إذن لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي[33].

فلا يصح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً من الأمور أن يختار من أمره ما شاء، بل من حقه أن يجعل رأيه تبعاً لرأيهما واختياره تلواً لاختيارهما.

– ذكر سبحانه وتعالى أيضاً مخاطبة المرأة من وراء حجاب فإنه سبيل الطهارة، فكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر؛ كان بذلك أسلم له وأطهر لقلبه، قال تعالى:﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾[الأحزاب:53]، واستثنى الله تعالى المحارم من ذلك، فلا مانع أن تظهر عليهم بزينتها، قال تعالى:﴿**لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً**﴾[الأحزاب:55].

فلا جناح على المرأة في الظهور على المحارم وعدم الاحتجاب عنهم، وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأبناؤهم، وأبناء الأخت، وملك اليمين والنساء، ولم يذكر – سبحانه وتعالى – العم والخال في هذه الآية لأنهن إذا لم يحتجبن عن أبناء الإخوة وأبناء الأخوات، أي: وهن عمات أو خالات لهم – مع رفعتهن عليهم؛ فعدم احتجابهن عن أعمامهن وأخوالهن من باب أولى.

– وذكر سبحانه وتعالى الحجاب الشرعي، فقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[الأحزاب : 59].

فالحجاب حصنٌ أساسيٌ من الحصون التي تحافظ على العفة والستر والاحتشام، ويمنع إشاعة الفاحشة، كما أنه مظهر من مظاهر الاعتزاز بالشعائر الشرعية،

المحققة لعفاف الرجل والمرأة والمجتمع، وهو ليس نافلة، فضلاً عن أن يكون مجرد رمز يسع المسلمة التحلي به أو تركه، بل هو فريضة من الله على النساء؛ صوناً لهن؛ وإعلاناً لعفافهن، كقدواتهن من أمهات المؤمنين، فلا يطمع فيهن أهل الأهواء والشهوات، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال – صلى الله عليه وسلم –:" صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات[34]، مميلات مائلات[35]، رؤوسهن كأسمنة البخت المائلة[36]، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[37].

بين النبي ﷺ في هذا الحديث أن تبرج المرأة وخروجها عارية سافرة سبب في دخولها النار.

وعن عائشة – رضي الله عنها – :" أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال:" يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه[38].

فعند إدراك أهمية الحجاب والقيمة المرتبطة به، يزول العجب من شراسة الحرب ضده، فالغرب – مثلاً – أصبح يضيق بالحجاب ذرعاً، ما لم يَضِقْ بأي لباس آخر لأي طائفة دينية، والشواهد على مضايقة المحجبات قانونياً وعملياً واضحة لكل متابع، سواء أكان ذلك في العالم الغربي – الذي يزعم أن من أسسه حماية الحقوق الشخصية، أو في بعض دول العالم الإسلامي العربي المتبني للعلمانية.

لقد دارت رحى الحرب على الحجاب مكشوفة صريحة، من قبل أعداء هذا الدين، ومن قبل متبعي الشهوات من المسلمين والمتاجرين بها، وربما استترت أحياناً، فأعلنت قبول الحجاب ولكن مع مسخ حقيقته، وتحويله إلى مجرد تقليد، وتراث يمكن أن يدخله التطوير والاختزال، بما يلغي مقصده وغايته[39].

وفي نهاية حديثي عن الخطاب التربوي للمرأة في سورة الأحزاب أجد أن تربية المرأة من خلال هذا الخطاب جاءت متوازنة، فلا ترتكز على جانب واحد من جوانب التربية بل استملت على معظم الجوانب الإنسانية بغرض الوصول إلى نتيجة واحدة، أن تلتزم المرأة هذا المنهج الرباني في كل سلوكها، لأن تكريم الإسلام للمرأة كما جاء في القرآن الكريم يمثل منظومة متكاملة من الحقوق الشاملة، ليست من اجتهاد البشر أو موروثاً ثقافياً جاهلياً ممتداً في التاريخ.

ثالثاً –الخطاب التربوي للمرأة في سورة المجادلة:

لقد عرض القرآن الكريم صورة من صور الخطاب بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وامرأة تسمى خولة بنت ثعلبة التي جاءت لتجادل رسول الله عن أمر زوجها، بعد أن ظاهر منها، وذلك في قوله تعالى:﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ القَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ، وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[المجادلة 1–4].

هنيئاً لهذه السيدة الفاضلة هذا المقام الكريم، لقد سمعها ربها واستجاب لها وكرمت بالقرآن الكريم صوتها صوت الحق عندما تردد في أرجاء السماء فسمعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، إنها سيدة جليلة فاضلة من نساء الأنصار (خولة بنت ثعلبة بن أحرم الخزرجية)، تزوجها أوس بن الصامت، وانتظمت حياة الأسرة في حياة سعيدة هادئة، وعندما دعى الداعي إلى الإسلام كانت خولة من أوائل المبايعات المسلمات – بايعت رسول الله ﷺ على الإسلام وأركانه، وكذلك فعل زوجها أوس بن الصامت، كانت دارهم في المدينة إحدى الدور التي هللت لمقدم محمد ﷺ، تضايق أوس بن الصامت من زوجته خوله بنت ثعلبة ذات يوم إذ غاضبته فغاضبها وحرمها على نفسه كما حرمت عليه أمه قائلاً:" أنت علي كظهر أمي".

كان الظهار في الجاهلية أمراً شائعاً، من الأمور التي ابتدعها أهل الجاهلية ودرجوا عليها وألفوها حتى صارت عندهم شرعاً، فكان الرجل منهم إذا كره زوجته أو غضب عليها قال لها أنت علي كظهر أمي، فتصير محرمة عليه.

وكان ظهار أوس أول ظهار في الإسلام، فأفاق من حدته وسكن عنه غضبه لكن ليحل مكانه في نفسه الألم والندم، إذ صارت زوجته امرأة غريبة عنه ولا تحل له، وإنه لحيائه مما فعل لم يستطع أن يحدِّث رسول الله ﷺ.

أما زوجته خولة، فإنها لشعورها بهول ما حدث لجأت إلى رسول الله ﷺ، وقالت له: يا رَسُولَ اللهِ ... أوسُ بن الصامت أبو وَلَدِي وأحَبُّ النَّاس إليَّ، وَقَدْ تَزَوَّجَنِي وَأَنَا أحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ، شَابَّةً مَرْغُوبَةً ذَاتَ مَالٍ وَأَهْلٍ، دَخَلَ عَلَيَّ يَوْماً فَرَاجَعْتُهُ بِشَيء فَغَضِبَ وَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، بَعْدَ أَنْ أَكَلَ مَالِي وَأَفْنَى شَبَابِي، وَتَفَرَّقَ أَهْلِي وَكَبُرَت سِنِّي وَنَثَرَتْ مِنْهُ بَطْني صبِيَّةً صِغَاراً، إِنْ تَرَكْتُهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا، وَإِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا، فَهَلْ تَجِدُ لِي يَا رسُول اللهِ رُخْصَةً تُنْعِشُنِي وَإِيَّاه؟.

ولكن رسول الله يقول:" مَا أَرَاكِ إِلاَّ قَدْ حُرِّمْت عَلَيْه"، وتجادل المرأة الملتاعة رسول الله ﷺ: لا تَقُلْ ذلك يا رسول الله، والذي أُنْزِلَ عليك ما ذَكَرَ طلاقاً.

لكن الرسول ﷺ يقول مرة ثانية:" مَا أَرَاكِ إِلاَّ قَدْ حُرِّمْت عَلَيْه"، ثم يستطرد قائلاً:" وإِنْ أُمِرتُ بشيء لاَ أُغَمِّمُهُ عَلَيْكِ".

فرفعت بصرها إلى السماء وبسطت يديها وراحت تناجي ربها باكية، فسمع الله تعالى صوتها من فوق سبع سموات، وإذا بوجه رسول الله ﷺ يتربد من الوحي، ويقول:"أَبْشِرِي يَا خَوْلَةُ"، فقالت: خَيْراً ... وتلى عليها رسول الله ﷺ ما تنزل من السماء؛ إنها الكفّارة بأنواعها الثلاثة: الأولى:﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾ [المجادلة:3]، وتقول خوله: واللهِ ما يجد غير رقبتي... والثانية:﴿**فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**﴾[المجادلة:4]، قالت: واللهِ لولا أنه يأكل، ويشرب في اليوم ثلاثاً لذهب بصره... والثالثة:﴿**فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً**﴾[المجادلة:4]، فسألت: من أين؟ فأرسل رسول الله ﷺ إلى أوس وسأله:" أَتستطيع تحرير رقبة"؟.

قال أوس: واللهِ إني إذا أخطأني الأكل كل يوم مراراً كَلَّ بصري.

قال – صلى الله عليه وسلم –:﴿**فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً**﴾.

فقال أوس: إلاّ أن تعينني.

فأعانه رسول الله ﷺ على إطعام الستين مسكيناً... وخرج الزوجان بعد أن فرّج الله تعالى كربتهما[40]، ومرت العاصفة بسلام، ويكون ما قاله أوس – رضي الله عنه – سبيلاً إلى تقرير حكم هام وهو حكم الظهار.

هذا الخطاب الذي يعرضه القرآن الكريم يدل على اهتمام الإسلام بشخصية المرأة، مع اعترافه الكامل بحقها في مناقشة قضاياها ولو كان من تخاطبه رسولها، فعرضت خولة قضيتها ولم يكن عند رسول الله ﷺ تشريع يتعلق بهذه القضية، وكان من عادة العرب المتبعة أن يعتبر الظهار طلاقاً فأخبرها الرسول ﷺ بذلك،

فنزل التشريع ليحطم العادات السابقة، ويضع تشريعاً جديداً بخطاب هذه المرأة مع رسول الله ﷺ.

لقد أراد الله عز وجل أن يضع من خلال هذا الخطاب قاعدة عامة، تتمثل في أن الغرض من الخطاب أن يصل الإنسان إلى الحق ويقصد منه إلى التمييز بين الحق والباطل، فالغرض هو الإقناع والإرشاد، بصورة يتمثل فيها الرفق والهدوء، بحيث لا تنقلب إلى عداء بين الطرفين، فقد كانت حرية الخطاب قائمة بين الطرفين.

فمن حق المرأة أن تسأل، ورسول الله ﷺ يجيب عن هذا الأمر، فأخبر الله سبحانه وتعالى رسوله بأنه يسمع الخطاب، لأنه سميع مجيب، فهذا تكريم للمرأة لم تنله بتشريعات البشر، فرسول الله يخاطب والله يسمع الخطاب ويشرع لها، ويهتم بقضية من قضاياها، أفبعد هذا تبتغي المرأة المسلمة خروجاً عن منهج الله الذي اعترف بها مخاطبة مع رسوله دون مصادرة لرأيها؟.

الخطاب بين الرسول ﷺ وهذه المرأة كان خطاباً جاداً يتمشى مع منهج الخطاب الذي لا يصادر أحد الطرفين طلب المعرفة من الآخر، بحيث تكون نهاية الخطاب الخضوع لمنهج الحق الذي يجب أن يسلم به كل طرف من المتخاطبين، فإذا رفض أحد الطرفين قضية الخطاب فعلى الطرف الآخر أن يأتي له بالحجج التي تزيل هذا الرفض، بأسلوب يبعد عن التعصب.

لقد أراد الله لخلقه أسلوب الخطاب، ليشعرهم بمكانتهم عنده، فيدعوهم إلى اعتناق الحق واجتناب الباطل، فيربي فيهم جانباً من جوانب التربية، فيؤدي ذلك إلى تعديل سلوكهم، لذا لم يكن حديث القرآن الكريم عن الخطاب حديثاً عرضياً، بل اهتم به اهتماماً كبيراً، من حيث المنهج والقواعد التي ينبغي أن يسير عليها[41].

وأعطى الرسول ﷺ درساً تربوياً في خطابه مع خولة بنت ثعلبة مضمونه أن الداعي إلى الله لا يستطيع أن يحدث الأثر المنشود في المجال الفكري والوجداني والأخلاقي والحضاري إلا إذا كان الدعاة والممارسون للعمل التربوي والقائمون على نشر الفكر الإسلامي عالمين بأسلوب القول وأساس التبليغ وأصول الخطاب، بحيث يملكون القدرة العلمية والمنهجية التي تتيح لهم فهم الآخرين وتقديم البراهين التي تقنع غير المقتنع، فتدفع المعارض إلى تغيير موقفه وتصحيح فهمه.

الخطاب يشمل في موضوعه كل القضايا التي تتعلق بالإنسان بما فيها من الظواهر الكونية، فيطرحها للبحث و الخطاب، ويطرح التشريعات التي جاءت في أحداث القصة، فيعلق على العادات السابقة وينشئ من خلال الخطاب تصورات جديدة طبقاً للتشريع الإسلامي، وليس هناك من القضايا ما يحظر فيها الخطاب، طالما يستطيع العقل البشري أن يدرك أسرارها[42].

ولا يمكن أن يصل إلى هدفه إلا إذا امتلك أطراف الخطاب حريتهم للوصول إلى هدفه، فهو مظهر من مظاهر الرقي في الخطاب، فيديرون الخطاب تحت مظلة الثوابت المعروفة للجميع، فيتم الاتفاق قبل البدء على مرجعيات مسلّم بها عند الاختلاف، فتناقش الآراء علناً، فتصحح المواقف، وتزال الشبه[43].

لقد كان الخطاب مع رسول الله ﷺ والمرأة المخاطبة يعتبر وسيلة من وسائل التفاهم في المجتمع الإسلامي، فمن خلاله تطرح القضايا المهمة التي يجب أن يلتزم بها المخاطب، فيشتمل على الأسلوب التطبيقي للخطاب، ويوجه عقول المخاطبين إلى جانب الصواب في موضوع الخطاب، أو يحذر من سلوك منحرف من أجل أن يتركه المخاطب.

وأسلوب الخطاب يهدف إلى توصيل الدعوة الإسلامية إلى الناس مع تناسبها مع العصر الذي يعيشونه، حيث يلزم كل مسلم بأن يعيش عصره بما هو مطلوب

ومناسب له، وأن يتخذ من أسلوب الخطاب ما ينطبق مع القواعد الشرعية، فهو يستظل تحت ظلها بما يؤدي إلى إقناع الناس بأساليب التربية الإسلامية من أجل تحقيق إقامة المجتمع المسلم، ومن أجل الوصول إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة، والتعرف على الرأي والرأي الآخر ومناقشة الحجة بالحجة.

رابعاً : الخطاب التربوي للمرأة في سورة التحريم:

قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ، وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ، إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ، عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً**﴾[التحريم:1-5].

هذه الآيات الكريمة التي استهلت بها سورة التحريم نزلت تعقيباً على ما حدث في بيت النبوة، حيث حرم رسول الله ﷺ على نفسه شيئاً أحله الله له وَأَسَرَّ بذلك إلى إحدى زوجاته وهي حفصة فنبأت به عائشة فنزل القرآن الكريم بآيات بينات فيها عتاب لرسول الله ﷺ وتوجيه لأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –.

كانت حفصة – رضي الله عنها – تُكثِر مداعباتها حين تلتقي بعائشة – رضي الله عنها – إذ اتفقتا ذات يوم على الادعاء بأن رسول الله ﷺ تنبعث منه رائحة غير زكية إذا خرج من عند أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – فأيهما اتجه إليها رسول الله ﷺ تقول له ذلك، والذي حدث أنه اتجه إلى بيت حفصة

فادَّعت ذلك، فأخبرها أنه شرب عسلاً عند زينب وما دام قد سببّ رائحة كريهة فلن يشربه، وطلب منها أيضاً ألا تخبر غيرها من زوجاته ﷺ، لكنها فعلت[44].

وذات يوم خرجت حفصة – رضي الله عنها – تزور أباها، وحين رجعت وجدت الرسول ﷺ ومعه جاريته مارية في حجرتها، وأراد ﷺ أن يرضيها، فقال: إنه سيُحَرِّم مارية على نفسه منذ اليوم، وطلب منها ألاّ تخبر غيرها من نسائه، ولكن حفصة أخبرت عائشة، وشاع الخبر بين بقية الزوجات حتى إن عائشة طالبت ألا تبقى مارية في مدينة الرسول.

وغضب رسول الله ﷺ مما حدث، وحلف ألا يقرب نساءه شهراً، وقال بعض الناس إن الرسول ﷺ طلق زوجاته، ولكن عمر بن الخطاب خرج للمسلمين ليعلن أن النبي لم يطلق نساءه بعد إخبار الرسول ﷺ له بذلك ولكن هجرهن شهراً أدباً لهن[45].

وروى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أَنَّ أَيَّتَنَا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني لأجد منك ريح مغافير(46)، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال " لا بأس شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ولن أعود فنزلت:﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾[التحريم:1] إلى:﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ [التحريم:4]، لعائشة وحفصة:﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً**﴾ [التحريم:3]، لقوله: بل شربت عسلا"[47].

وأخرج النسائي في السنن والحاكم في المستدرك بسنديهما عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ كانت له أمة[48] يطؤها، فلم تزل به عائشة

وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً فأنزل الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ...**﴾[49].

يقول الإمام الشوكاني – رحمه الله– بعد أن أورد قصة تحريم العسل وقصة تحريم السيدة مارية القبطية:" فهذان السببان صحيحان لنزول الآية، والجمع ممكن بوقوع القضيتين قصة العسل وقصة مارية وأن القرآن نزل فيهما جميعاً وفي كل واحد منهما أنه أَسَرَّ إلى بعض أزواجه..."[50].

ويقول الإمام ابن حجر – رحمه الله – بعد أن أورد الروايات التي وردت في تحريم مارية:" وهذه طرق يقوي بضعها بعضاً فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً"[51].

وقال الإمام الطبري بعد أن ذكر الروايات الواردة في تحريم العسل، وفي تحريم مارية "والصواب أن يقال كان الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك جاريته، وجائز أن يكون ذلك شراباً من الأشربة، وجائز أن يكون غير ذلك، غير أنه أي ذلك كان فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً وعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وَبَيَّنَ له تحلة يمينه"[52].

ويرى الصابوني أن سبب نزول هذه الآيات في قصة تحريم الرسول ﷺ أم إبراهيم "مارية القبطية" عدة أمور وهي:

1–تحريم بعض النساء مما يبتغي به مرضاة بعض الأزواج، لا شرب العسل أو عدمه.

2-الاهتمام بنزول سورة فيها الوعيد والتهديد لأزواج رسول الله ﷺ بالطلاق واستبدال نساء خير منهن بهن، وأن الله وملائكته والمؤمنين سند وعون لرسول الله ﷺ يدل على وجود تنافس بينهن وغيرة، وذلك إنما يكون في تحريم بعض النساء عليه لا في شرب العسل ونحوه.

3-هذه الحادثة من إفشاء السر، كادت تؤدي إلى طلاق زوجات الرسول ﷺ حتى اعتزلهن شهراً، نظراً لدقة الموضوع وشدة حساسيته مما أغضب الرسول ﷺ حتى حلف عليهن، وذلك إنما يكون في أمر مهم، مثل تحريمه لبعض النساء، وحلفه ألا يقرب "مارية القبطية" إرضاء لأزواجه واستكتم البعض منهن في هذا الأمر، فأفشت السر فهذا ما يرجح الرواية الواردة في تحريم مارية[53].

وترى الباحثة أن الراجح في سبب نزول هذه الآيات هو ما ورد عن تحريم مارية – رضي الله عنها – وذلك لموافقة هذه القصة لسياق الآيات الكريمة، وأما قضية تحريم العسل، وقول بعض السلف نزلت فيه فالمراد منه أن الآيات تشمل قضية بعمومها على ما عُرف من عادة السلف في قولهم نزلت في كذا، يقول الإمام الرزكشي" وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب لاسيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها"[54].

تبدأ الآية الأولى من سورة التحريم بتوجيه العتاب إلى النبي ﷺ على تحريمه شرب العسل أو مارية، فما كان له ﷺ أن يفعل ذلك ابتغاء مرضات أزواجه فهن أحق بالسعي والجد في ابتغاء رضاه ﷺ:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثم تتحدث الآية الثانية من سورة التحريم عن مظهر من مظاهر رحمة الله سبحانه ومغفرته وهو تشريع كفارة اليمين، وفي ذلك ما فيه من التخفيف والتيسير بالأمة الإسلامية، والله سبحانه هو العليم بما يصلح العباد في عاجلهم وآجلهم، وهو الحكيم فيما يشرع لهم:﴿**قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾.

ثم تتحدث الآية الثالثة: عن ذلك الأمر الذي حدث في بيت النبوة وذلك أن رسول الله ﷺ حين حرم على نفسه ما حرم أسرَّ بذلك إلى حفصة فنقلت – رضي الله عنها – هذا الخبر إلى عائشة – رضي الله عنها – فأطلع الله رسوله الكريم على ما حدث من حفصة فعاتبها عتاباً لطيفاً وأخبرها ببعض ما نقلته عائشة – رضي الله عنها – ولم يخبرها بالكل، وذلك من طبيعة الكرام ألا يستقصوا، فتعجبت حفصة كيف علم الرسول ﷺ بصنيعها هل أخبرته عائشة؟ أم جاء الخبر عن طريق الوحي؟.

قال تعالى:﴿**فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ**﴾[التحريم:3].

ثم يتوجه الخطاب في الآية الرابعة: إلى حفصة وعائشة بدعوة إلى التوبة إلى الله تعالى؛ فقد مالت قلوبهما إلى خلاف ما يحب ﷺ بسبب الغيرة المفرطة، ويحذرهما المولى عزوجل من التظاهر على رسول الله ﷺ أي الاجتماع والاتفاق على خلاف ما يحبه:﴿**وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ فالمولَى عزوجل ناصره ومؤيده، وجبريل – عليه السلام – والمؤمنون الصالحون والملائكة الكرام كلهم في نصرة رسول الله ﷺ وفي صفه.

وتحمل الآية الخامسة تهديداً شديداً إلى أمهات المؤمنين جميعهن:﴿**عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً**﴾[التحريم:5]، وهي الصفات التي يدعوهن إليها عن طريق

الإيحاء والتلميح، الإسلام الذي تدل عليه الطاعة والقيام بأوامر الدين، والإيمان الذي يعمر القلب، وعنه ينبثق الإسلام حين يصح ويكتمل والقنوت وهو الطاعة القلبية، والتوبة هي الندم على ما وقع من معصية والاتجاه إلى الطاعة والعبادة وهي أداة الاتصال بالله والتعبير عن العبودية له. والسياحة وهي التأمل والتدبر والتفكر في إبداع الله والسياحة بالقلب في ملكوته وهن – مع هذه الصفات – من الثيبات ومن الأبكار، كما أن نساءه الحاضرات كان فيهن الثيب وفيهن البكر، وهو تهديد لهن لابد كان له ما يقتضيه من تأثير مكايداتهن في قلب رسول الله ﷺ وما كان ليغضب من قليل! وقد رضيت نفس النبي ﷺ بعد نزول هذه الآيات، وخطاب ربه له ولأهل بيته، واطمأن هذا البيت الكريم بعد هذه الزلزلة، وعاد إليه هدوؤه بتوجيه الله سبحانه، وهو تكريم لهذا البيت ورعاية تناسب دوره في إنشاء منهج الله في الأرض وتثبيت أركانه[55].

صور الخطاب في الآيات الكريمة صفحة من الحياة البيتية لرسول البشرية ﷺ وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه، وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته ﷺ حيث حرم الرسول ﷺ على نفسه ما حرم ابتغاء مرضاة زوجاته وأسر بذلك إلى حفصة – رضي الله عنها – فأخبرت عائشة، وكان بالإمكان أن يمر هذا الموقف الذي حدث في بيت النبوة مروراً عابراً ولكن الله أنزل فيه قرآناً يتلى؛ وذلك لتقويم الموقف وبيان عظم منزلته ﷺ ورفعة مكانته وتوجيه العتاب له، كيف يحرم على نفسه ما أباح الله له، وكيف يفعل ذلك ابتغاء مرضات أزواجه وكان عليهن أن ينشغلن ويجتهدن في ابتغاء مرضاته ﷺ، وإذا كان الله تعالى يعاتب رسوله الكريم بسبب أنه حرم على نفسه ما أحل الله له ابتغاء مرضات أزواجه، فما بالك بأولئك الذين يسعون إلى إرضاء زوجاتهم بارتكاب المحرمات وفعل المنكرات، فمنهم من يعق والديه ويقطع

أرحامه ليرضي زوجته، ومنهم من يمد يديه إلى الحرام ليلبي مطالب الزوجة التي لا تنقطع، فأين هذا من أخلاق الزوجات الصالحات اللاتي قال عنهن المولى عزوجل:﴿**مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً**﴾، وقال في سورة النساء:﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾[34].

فهذا الخطاب درسٌ تربويٌ لكل مرأة مسلمة لتكون صالحة خاشعة خاضعة لله رب العالمين تطيع زوجها وتأخذ بيده إلى مرضاة الله لا تذيع له سراً ولا تفشي له أمراً، فهي ستر لزوجها وزوجها ستر لها، قال تعالى:﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾[البقرة:187]، فهي حافظة له في حضوره وغيابه، فلا تكلفه ما لا يطيق ولا تعيره بفقره إن كان فقيراً، بل ترضى بما قسم الله، وتقر عينها بما قضى الله، وتوصي زوجها بتقوى الله، وتنصحه بتحري الكسب الحلال الطيب، متمثلة في ذلك مقولة نساء السلف الصالح لأزواجهن إذا خرج أحدهم إلى عمله: اتق الله فينا ولا تطعمنا حراماً فإننا نصبر على الجوع ولكننا لا نصبر على نار جهنم.

إن الأهداف التربوية للخطاب تقصد إلى تربية المرأة المسلمة التي تقوم ببناء عقلية واعية مستنيرة، مؤمنة بالله، مخلصة في عملها، فتدرك رسالتها الإنسانية التي خلقت من أجلها، فتتمسك بالحق وتستهدف بناء المثل الأعلى الإنساني في سلوكها الفردي والجماعي، فتملك بذلك أسباب القوة والعمل الإيجابي فتتسلح بالعلم لتستطيع تنمية القدرات العقلية التي يتطلبها الفرد ويحتاج إليها المجتمع في مواجهة تحديات العصر وتلبية المطالب من القدرات البشرية.

والإسلام ربى المرأة في كل جوانب حياتها بما يجعلها تتسم بالوعي الموضوعي لحقيقة مشكلات الأمة الاجتماعية، مع النظر إلى القضايا الكلية التي تحتاج إلى تطبيق عملي في حياتها، والبعد عن النظرة السطحية للأمور، بما يجعلها صاحبة عمق عقلي ينظر في الأشياء بنظرة إسلامية، تحدد من خلالها معالم الأشياء والحلول الممكنة لكافة المشكلات، وبذلك تصبح المرأة عاملاً فعالاً في المجتمع في كل قضاياه.

وفي هذه السورة أيضاً ذكر – سبحانه وتعالى – مثلين: مثلاً للذين كفروا: امرأة نوح، وامرأة لوط، ومثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، والغرض منهما بيان أن مجرد اتصال الكافر بالمؤمن وقربه منه لا يفيد شيئاً، وأن مجرد اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً مع قيامه بالواجب عليه، فكأن في ذلك إشارة وتحذيراً لزوجات النبي ﷺ عن المعصية، وأن اتصالهن به ﷺ لا ينفعهن شيئاً مع الإساءة، وكذلك بقية النساء.

فقطعت الآية طمع من ركب المعصية وخالف أمره ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي، ولو كان بينهما في الدنيا أشد الاتصال؛ فلا اتصال فوق اتصال البنوة، والأبوة والزوجية، ومع ذلك فلم يغن نوح عن ابنه، ولا إبراهيم عن أبيه، ولا نوح ولا لوط عن امرأتيهما من الله شيئاً كما قال تعالى:﴿**لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ**﴾[الممتحنة: 3]، وقال تعالى:﴿**يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً**﴾[الانفطار:19].

وقد لفت نظري أن في قوله تعالى:﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ**﴾[التحريم:10]، درساً عظيماً للنساء فأردت تناولها بشيء من التفصيل على الرغم من عدم وجود خطاب بها ولكنها تعرض نموذجاً للمرأة الكافرة التي وجدت نفسي لابد من دراستها وتحليلها.

الكفر يمثل التحدي الكبير لحركة الرسالات في المجتمع، باعتباره العقبة التي تقف حاجزاً بين الرسالات وبين الامتداد التشريعي في حياة الناس؛ لأن العقيدة التي ينطلق من خلالها المنهج السماوي، فيقضي على كل فكر للشرك، وكل سلوك عملي ينطلق منه.

لقد تحدث القرآن الكريم عن الشخصية الكافرة فحدد بعض سماتها، بأنها تحسد وتحقد وتخدع وتمكر وتسخر، وبذلك تحدد شخصيتها، ويتوقع تصرفها، فالعداء قائم في كل تصرف لها نحو المؤمنين؛ لأنها تسمع كلام الله وآياته ولكن بكفرها وإعراضها عن الحق عطلت حواسها من أعظم وظائفها، وهي الاهتداء إلى الإيمان

بالله واتباع الحق، فصلتها بالله مقطوعة، لأن الكفر والضلال عازل يعزل صاحبه عن الهداية والرشاد.

إن الصورة التي يرسمها القرآن الكريم لشخصية المرأة الكافرة، أنها لا تؤمن بالله ولا بعقيدة التوحيد، فقد ضرب الله امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً للشخصية الكافرة.

لقد تجمد تفكير الشخصية الكافرة المضروبة للمثل وعجزت عن إدراك حقيقة التوحيد التي يدعو إليها الإسلام، فهي شخصية تعد مصدر فساد في الأرض، وما يتبع هذا الفساد من شر في حياة الناس، فيمثل أرضية تفسد كل شيء، لتبقي اعتقادها الباطل، فتفسد أخلاق الناس وأفكارهم وما يتبع ذلك من فساد مصالحهم، فهي شخصية مفسدة لذاتها ولغيرها.

إن مسيرة البشرية تكشف عن نماذج الشخصية الكافرة التي كانت أقرب الناس من دعوة الحق، ومنها امرأة نوح وامرأة لوط، فهما تمثلان نموذجاً للشخصية الكافرة، التي كانت دعوة الحق قريبة منها، فكل واحدة منهما امرأة نبي، فدعوة الأهل إلى الإيمان بالله التي قام بها نوح ولوط كانت من أصعب وأخطر ما يواجه الداعي، لأن تكذيب الزوجة لرسالة زوجها تفتح مجالاً للاعتراض على رسالته، لذلك كانت من الصعوبات التي واجهت الرسل في تاريخ البشرية، اعتراض الأهل والعشيرة على دعوة الإيمان[56].

لقد جاءت دعوة الإيمان إلى امرأة نوح ولوط وقد رأت كل واحدة أدلة الإيمان في الواقع مع زوجها من خلال المعجزات التي أيد الله بها كل نبي منهما، ولمسوها وعرضوها حيث لم تبق حجة للبقاء على الكفر، ولكن طبيعة الشخصية الكافرة تجحد الحق وتظهر المرض، وتأبى الحق لأنها عقلية ضالة تأبى التصديق والاستقامة حتى يأخذها العذاب وفي هذه اللحظة لا ينفع الإيمان.

تكشف هذه الحالة السابقة في التمسك بالكفر في تاريخ الأمم الخالية، وتكشف عن حالات من الحالات النفسية التي عاشتها كل شخصية منهما، ومازال يعيش هذه الحالات كثير من النساء في الوقت المعاصر فتقبل دعوات الكفر والتمسك بالعادات والتقاليد التي يبثها أعداء الإسلام في شخصية المرأة المسلمة بقصد إفسادها وإخراجها عن التمسك بالإيمان.

وتتمثل شخصية المرأة الكافرة في زوجة أبي لهب التي أنزل الله تعالى في شأنها قوله تعالى:﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾[المسد:1-5].

يعرض القرآن الكريم نموذجاً للمرأة الكافرة التي جمعت بين الحقد والحرص والأنانية، وكانت امرأة عوراء تركت تلك العاهة في نفسها حقداً على البشر أجمعين، فهي لا تكف عن السعي بين الناس بالنميمة والوقيعة، فتجد سعادتها الغامرة حيث ينشب الشر بين الناس، لأنها ألغت تميزها الذي ميزها الله به عن البهائم، المتمثل في القدرة على الإدراك والتعقل والوعي والتدبر، الذي يقود صاحبه إلى الإيمان بالله والاهتداء إلى الطريق القويم(57).

إن تجمد الفكر عند الشخصية الكافرة جعلها لا تؤمن باليوم الآخر، فهي لا تدرك أن الآخرة ضرورة من ضرورات النظام الكوني، يتم فيها تحقيق القسط والعدل فهي تنظر نظرة قاصرة تتوقف عند الحياة الدنيا، بما فيها من نقص وهبوط، فلا تدرك الشخصية الكافرة أن الدنيا لا تصلح أن تكون نهاية البشر، فهي تقف عند حدود الدنيا، فلا تتطلع إلى الكمال الإنساني في الآخرة لكل من آمن.

فهي لم تحقق الهدف الذي خلقت من أجله، فاستحقت الهلاك والتحقير، لأن أفكارها تتسم بعدم الترابط في المعايير التي تكون وسيلة للحكم على الأشياء، فلا تستطيع أن توفق بين معايير الحكم في سلوكها، وبذلك يختلف السلوك ويتناقض؛

لأنها شخصية ليس لها مرجع صحيح يحكم السلوك أو يقومه، وبذلك يحدث الصراع النفسي في الشخصية الكافرة[58].

لقد كانت سنة الله ثابتة في هلاك الشخصية الكافرة في الوقت الذي قدره الله لها، سواء في الدنيا أو الآخرة، فهذا الهلاك مرتب على سلوكها، وأعمالها، ومن خلال هذا الهلاك لا يغر الشخصية الكافرة أن تبقى في الكون فترة من الزمن تؤذي المؤمنين، وتسعى في الأرض فساداً لأنها ليس لها ضوابط تحكم هذه الشخصية في كل أفعالها، فهي تنقاد بحسب ما يريد لها الشيطان ويخطط لها.

هذه الشخصية هي مصدر الشرور والمفاسد ومنبع الرذائل والنقائص، وهي المدمر لشخصية الإنسان، لأنها تقضي على كل خصائصه كخليفة لله في الأرض، ورسم القرآن الكريم صورتها السيئة التي تدعو إلى التحقير، حيث يصفها بأنها تأكل كما تأكل البهائم، لأنها ليست لها رسالة نبيلة ولا هدف يحقق لها إنسانيتها[59].

السخرية التي يوجهها القرآن الكريم إلى المرأة الكافرة في امرأة أبي لهب، تمثل نوعاً من التحقير والاستخفاف، وهذا التحقير يستمر في الدنيا والآخرة، فيحفظ القرآن الكريم لها جانب السخرية لتتوارثها الأجيال ذكراً حتى يرث الله عزوجل الأرض ومن عليها، وبهذا تتحطم القوة المعنوية لهذه الشخصية لأنها صارت في موقع الكفر مثلاً للأجيال، فهي صورة مزرية متنوعة التحقير تنصب على كل شخصية تسلك مسلك الكفر، فينصب الاستهزاء على عقولهم وأفكارهم، فهم ليسوا على مستوى الحوار باعتبارهم أعداء؛ لأن الله سبحانه وتعالى حاور عن طريق الرسل أعداءهم ولكن هؤلاء الذي سخر الله تعالى منهم لم يجعل لهم مكاناً في الحوار ولو كان باعتبارهم أعداء.

وخلاصة القول: أن الشخصية الكافرة شخصية تتمسك بالباطل على الرغم من معرفتها للحق، مع بيان أدلته الواضحة، ولكن الكفر يعمي عن رؤية الحق، فقد

عرض التاريخ كثيراً من الشخصيات التي أعماها الباطل عن الحق، فأغفلت حقيقة التوحيد وتمسكت بالتقاليد التي ورثتها عن الآباء فكانت العاقبة خسرانها في الدنيا والآخرة.

فلا يليق بالمرأة المسلمة أن تقلد هذه الشخصية وأن تؤثر فيها، لأن جاهلية هذا القرن جاءت في صور متعددة، فوأدت المرأة وأداً معنوياً، أشد خطراً من وأد الجاهلية، فإن الموءودة في الجنة، أما موءودة هذا القرن فهي التي وأدت نفسها، وباعت عفَّتها، وأهدرت حياءها، لا تدخل الجنة ولا تجد ريحها لأنها أصغت بأذنها إلى الدعاة على أبواب جهنم، فقذفوها فيها، فشقيت وخسرت دنياها وأخراها.

جاءت هذه الجاهلية في صورة المشفق عن طريق مجلة، أو عن طريق صفحة جريدة، أو أغنية أو تمثيلية، أو جهاز استقبال، يريدون أن تكون المرأة المسلمة بهيمة في مِسْلاخِ بشر.

فتحصين المرأة المسلمة ضد الغزو الفكري أمر واجب، لأن الإسلام مستهدف من أعدائه، وأن كل الأعداء يتآمرون للتمكن من بلاد الإسلام والسيطرة عليها فكرياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً، ولقد ركز الأعداء في خططهم كثيراً على المرأة لما لها من تأثير في المجتمع لتكون كل امرأة معولاً يهدم أسرتها فيضيع المجتمع بتفكك أسره، ومن هنا فوجود المرأة المسلمة التقية من الأهمية بمكان لتقوم بدورها في المجتمع، وتلفت أنظار النساء لما يراد بهن من المكائد ليكن على حذر حتى لا يتأثرن بها، وحتى يؤهلن أولادهن للنهوض بالمجتمع، وصد تلك الهجمات الشرسة، ورد هذا الزحف الماكر.

الخاتمة:

بعد أن تدبرت في آيات من كتاب الله الكريم في نماذج من الخطاب التربوي للمرأة، جمعت ما توصلت إليه من معانٍ جميلة وحكم جليلة في خاتمة أوجزها فيما يأتي :

- التفات القرآن الكريم إلى قضية الخطاب مع المرأة لأهميته في بناء المجتمع المسلم، والدعوة إليه ليكون أسلوب التعامل الأمثل في المجتمع المسلم.
- إن القصص القرآني للمرأة جاء ليخرج عقلها من الأزمة التي كانت تعيشها قبل نزول القرآن، وينتقل بها إلى مرحلة الرؤية السليمة التي تعطي لها الفرصة للفكر والاستجابة لمتطلبات الحياة، مع إعادة بناء المنظومة الفكرية والثقافية لكل حياتها بوعي وفهم دقيق، ونظر إسلامي قادر على ملاحظة جميع المؤثرات التي تعوق حركتها في الحياة، فحدد لها المقاصد والغايات وأشار إلى الكليات التي تجعل المرأة تحيا حياة إنسانية مع الواقع، فتكشف التناقضات الداخلية في المجتمعات قبل الإسلام.
- إن المرأة تمتعت بمزايا كثيرة في عصر المصطفى ﷺ منها مخاطبة الرسول ﷺ ومناقشتها له في القضايا التي تعنّ لها وتظهر في حياتها، وتصرّ على المخاطبة والنقاش حتى تصل إلى نتيجة مقبولة ومرضية تعود بالنفع عليها وعلى أسرتها.
- إن الخطابات التربوية لها أهمية بالغة بالنسبة إلى تربية الفرد والمجتمع، وهذا ما تعمل التربية الإسلامية على تحقيقه، فالخطابات التي تم استخلاصها من القصص القرآني تتعامل مع الإنسان من جوانبه المختلفة في واقعية كاملة؛ لأنها تنبع من داخل الإنسان، وبذلك يمكن حل المشاكل التي تصادف المجتمع في قضية المرأة من خلال تطبيق هذه الخطابات.
- إن الإسلام وحده هو المنهج الوحيد الذي يحمل للبشرية سر سعادتها وللمرأة على وجه الخصوص الذي قدم لها كافة الضمانات لحمايتها إنسانة ورعايتها طفلة، وقبول الأعمال الصالحة منها.
- إن أعداء الإسلام قدموا المرأة لتكون أعظم فتنة يفسدون من خلالها المجتمع الإسلامي، ومن ثم كانت أول الأهداف لإطلاق عنان الغرائز والشهوات والتمسك بالمظاهر والتقليد الأعمى ونشر الرذيلة، فيجب على المرأة أن تنظر

في فكر هؤلاء الأعداء، ثم تقرأ تربية الإسلام فتتضح لها الحقيقة، بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي كرم المرأة وأحاطها بثياب الطهر والعفاف والصيانة والتكريم والاحترام.

- إن المرأة حمَّلها الإسلام كافة أنواع المسئوليات التي تتوافق مع طبيعتها وتتناسب مع مواهبها.
- معالجة الخطاب مع المرأة في القرآن الكريم لتفادي كثير من الأخطاء الاجتماعية التي يقع فيها الناس في هذا العصر، مثل: العنف الأسري، وعدم مشاورة النساء، وحرمانها من ميراثها الشرعي، وحقوقها الربانية، وتقليص حرياتها بسبب الخوف من الخطأ.
- تعزيز الأمن الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي عن طريق الخطاب مع المرأة، والإفادة من الطبيعة الأنثوية والمواهب الربانية التي وهبتها المرأة في أصل خلقتها الكريمة، وتهذيب القرآن الكريم لها بالتشريعات الحكيمة والأخلاقيات الكريمة.
- تفضيل أسلوب الخطاب مع المرأة في القرآن الكريم على غيره من أساليب البيان القرآنية، دلالة على جمال هذا الأسلوب وأهميته للمجتمع المسلم، لمعالجة الانحراف العقدي والاجتماعي والنفسي لدى كثير من الناس.

التوصيات والمقترحات:

1- دراسة موضوعات الخطاب في القرآن الكريم لتكون دليلاً وهادياً ومرشداً لفتح نوافذ الخطاب في مجالات المجتمع بأكمله.

2- تأصيل ثقافة الخطاب مع المرأة، لمواجهة التحديات الكبيرة التي تزعم بانتقاص حقوق المرأة في المجتمعات، إما بالجري وراء دعاوى المنظمات المدنية، وإما بالتحرر من الأحكام الشرعية بسبب سوء الفهم لأحكام المرأة في الشريعة الربانية الحكيمة.

3- تنقية كتب التراث من الشوائب التي علقت بها حتى يتسنّى فهم المعلومة على الوجه الصحيح، وإلا فالخوف على الإسلام وأهله من أمثال هذه الشوائب.

4- الفهم الدقيق والعميق لما جاء في كتب تراثنا من أحكام وقضايا حتى نعرف أحكام شريعتنا كما بيّنها الشارع الحكيم، للرد على ما ظهر في عصرنا الحاضر من قضايا تمسّ جوهر الدين وثوابته، ولاسيما قضية المرأة.

5- دراسة تتعلق بمواجهة التحديات التي تعاني منها المرأة المسلمة في الدول غير المسلمة مع بيان كيفية إعدادها إعداداً يحافظ على عقيدتها مع تأديتها لمطلوب الإسلام.

6- القيام بدراسة علمية تتناول الجوانب التاريخية في تربية المرأة المسلمة منذ عصر صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، وتتبعها تتبعاً تحليلياً دقيقاً يُمَكّن من معرفة مسار هذا الفكر ومكوناته، والعوامل المؤثرة فيه، ورصد الإيجابيات والسلبيات، وذلك من أجل الإفادة منه وإغناء الرؤية المعاصرة به، والبناء عليه وتجاوز سلبياته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ... والصلاة والسلام على الحبيب الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث:

1. لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، تنسيق وتعليق: علي شيري، ط:2، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1412 هـ - 1992 م، باب: خ . ط . ب، 1 / 360.
2. مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن، ط: 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 م، 1 / 295 .
3. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، ط:2 ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ،بدون تاريخ النشر، 21 / 173 .
4. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط : 1، مكتبة العبيكان- الرياض، 1418هـ - 1998 م، 4 / 82 .
5. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 15 / 309 .
6. سلم الوصول لشرح نهاية السول، محمد نجيب المطيعي حاشية بنهاية السول في شرح منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، للشيخ جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الآسنوي الشافعي، عالم الكتب، بدون تاريخ النشر، 1 / 48 .
7. اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي- البيضاء، 1998م، ص : 215 .
8. لسان العرب، ابن منظور، 14 / 306، باب: ر. ب . ا .
9. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط : 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1965 م، 3 / 362 .
10. لسان العرب ، ابن منظور، 14 / 307، باب: ر. ب . ا .

11.العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: المخزومي والسامرائي، مكتبة الهلال ،بدون تاريخ النشر، 8 / 257، باب: ربّ .
12.مقدّمة في التربية، ابراهيم ناصر، مكتبة الغول، عمان – الاردن، 1978م ، ص:11 .
13.أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبد الله ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن مرعشلي، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء الترات العربي – بيروت، 1998 م، 1/ 28 .
14.المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت ،بدون تاريخ النشر، ص : 148 .
15.المدخل إلى أصول التربية الإسلامية، عبد العزيز المعايطة، ط:1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2006 م، ص : 14 .
16.الخطاب التربوي الإسلامي، سعيد إسماعيل علي، سلسلة كتب الأمة، عدد (100)، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م، ص:26 .
17.طبيعة الخطاب التربوي السائد ومشكلاته، عبد الغني عبود، إسلامية المعرفة ، العدد (29)، بيروت، 2002م، ص : 48 .
18.التوجهات الفكرية في الخطاب التربوي لمجلة التربية المعاصرة، جابر محمود طلبه ، المؤتمر السنوي الحادي عشر لقسم أصول التربية، جامعة المنصورة، 1994م، ص:18.
19.فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق: عبد العزيز عبد الله بن باز، ط: بلا، دار الفكر، بدون تاريخ النشر.138/9.
20.تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ط : بلا، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1402هـ–1982م، 141/3.

21.لمعرفة المزيد عن تفسير الآية السابقة، ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط: 3، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1978م، 18 / 120–121، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 214/12–220، وينظر: تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط: بلا، دار الفكر، بدون تاريخ النشر، 293/3، 294، وينظر : في ظلال القرآن، سيد قطب، ط: 11، دار الشروق، بيروت، 1405 هـ، 2513/4، 2514.

22.وجأ : ضرب، وجأت: ضربت، لسان العرب، ابن منظور، باب و.ج . أ، 190/1.

23.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير الرجل امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، ح (1478)، ط : بلا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ النشر، 1103/2.

24.تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 480/3.

25.الحبير: كل شيء زين وحسن، الحَبْرَةُ: المبالغة فيما وصف بجميل، لسان العرب، ابن منظور، باب حبر، 157/4.

26.تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، 301/3.

27.ولهذا لم يشرع للمرأة الأذان لأنه يتطلب رفع الصوت، ولم يشرع لها رفع الصوت، ينظر: في ذلك المغني والشرح الكبير على متن المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، للإمامين: موفق الدين وشمس الدين ابني قدامة، ط: بلا، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1414هـ–1994م، 468/1، وينظر: كذلك المجموع شرح المهذب، للنووي، ط: بلا، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ النشر، 100/1.

28.ينظر: الحجاب، لأبي الأعلى المودودي، ط: بلا، دار التراث العربي، بدون تاريخ النشر، ص 132 – 133.

29.ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، ت :1360هـ، ط : 2، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، 192/1، 193.

30.تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 482/3.

31.سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، ح(567)، ط : بلا، طبعة جمعية المكنز الإسلامي، 1421هـ، 2000م ، 100/1.

32.وفي ذلك لفتة جميلة، وهي أن "المقربين والصالحين لا ترتفع درجاتهم عند الله تعالى عن حق توجه التكليف عليهم، وفي هذا مقمع لبعض المتصوفين الزاعمين أن الأولياء إذا بلغوا المراتب العليا من الولاية سقطت عنهم التكاليف الشرعية"، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط : 1، بيروت – لبنان، 1420هـ–2000م، 13/22.

33.ينظر: أسباب نزول القرآن، للواحدي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1411هـ–1991م، ص: 370، 371، وينظر كذلك: أسباب النزول للسيوطي، تحقيق: قرني أبو عميرة، ط: بلا، مكتبة نصير، القاهرة، 1403هـ–1983م، ص: 219 ، 220 .

34.جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، 11/22.

35.كاسيات عاريات: أي تستر بعض بدنها وتكشف بعضه، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 223/15، مادة (كسا).

36.مائلات: أي عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، ومميلات: أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، ت : 676هـ ، ط :2 ، دار احياء التراث العربي – بيروت ، بدون تاريخ النشر110/14 (بتصرف).

37. البخت: هي الإبل الخرسانية، والسنام: كتل من الشحم محدبة على ظهر البعير، والسنام من كل شيء أعلاه، ينظر: المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، ط : بلا ، مجمع اللغة العربية ، 1989 م، ص: 324، والمراد أنهن يصنعن برءوسهن من الزينة من قص الشعر أو لفه بلفافه وما شابه ذلك حتى يصير زينة كالزينة التي توضع على رؤوس الإبل.
38. صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، ح(5704)، 929/2.
39. سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب فيما تبدي المرأة من زينتها، ح(4106)، 686/2، وقال أبو داود هذا مرسل خالد بن دريك لم يدرك عائشة.
40. المرأة في الإسلام، كوثر محمود أبو عين، ط:1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 1427هـ–2006م، ص: 48.
41. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 17/ 270، وينظر : مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ –2000م، 217/29.
42. الطفولة ورعايتها قراءات بمنظور إسلامي، محمد وجيه الصاوي، ط: بلا، كلية التربية، جامعة الأزهر، 2005م، ص: 133.
43. الحوار في القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله، ط:5، دار التعارف للمطبوعات، دمشق،1987م، ص:80.
44. الطفولة ورعايتها قراءات بمنظور إسلامي، محمد وجيه الصاوي، ص: 138.
45. رجال ونساء نزل فيهم قرآن، محمد إسماعيل الجاويش، ط:1، دار الغد الجديد، المنصورة – مصر، 1426هـ–2005م، ص: 150.
46. ينظر: قصص النساء في القرآن الكريم، جابر الشال، ط: بلا، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1987م، ص: 115، 116.

47.مغافير: صمغ يسيل من شجر (العرفط) طعمه حلو غير أن رائحته ليست بطيبة، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 3276/5، مادة (غ ف ر).

48.رواه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب الطلاق، باب﴿**لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾، ح(5267)، 287/9، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، ح(1474)، 73/10.

49.السيدة مارية القبطية – رضي الله عنها – أم إبراهيم.

50.رواه النسائي في السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، ت: 303هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب الطلاق، باب تأويل قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾،ح(3959)، ط:2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ –1986م، 151/6.

ورواه الحاكم في المستدرك، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: 405هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مع تعليقات الذهبي، كتاب التفسير، باب تفسير سورة التحريم، ح(3824)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1411هـ–1990م، 535/2. فتح القدير، الشوكاني، تحقيق : عبد الرحمن عميرة، ط : 1، دار الوفاء، 1415هـ –1994 م، 252/5.

51.فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 525/8.

52.جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، 102/12.

53.قبس من نور القرآن، محمد بن علي الصابوني، ط: بلا، طبعة دار القلم، دمشق، بدون تاريخ النشر، 158/14.

54.البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، حققه: محمد أبو الفضل، ط: 1، دار إحياء الكتب العربية، 1378هـ – 1959م، 32/1.

55.في ظلال القرآن، سيد قطب، 3616/6.

56.في رحاب الأنبياء والرسل، عبد الحليم محمود، منشورات كتاب اليوم، القاهرة، 1977م، ص: 72.
57.قصص النساء في القرآن الكريم، جابر الشال، ط: بلا، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1987م، ص: 19.
58.مقدمة في فلسفة التربية، محمد لبيب النجيحي، ط: 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967م، ص: 181.
59.إسلامنا، السيد سابق، ط:2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1967م، ص: 32.

تعدد الأوجه الإعرابية في بعض التراكيب اللغوية.

أ. مصطفى علي مسعود شاماكه

كلية التربية بالعجيلات– جامعة الزاوية

تقديم:

هذا بحث يتناول اختلاف أوجه الإعراب في بعض التراكيب اللغوية؛ لأن نظام التركيب أهم ما يميّز اللغة، واللغة تتطور في تراكيبها ومفرداتها ودلالة ألفاظها، ومهمة الباحث اللغوي أمام خصائص تركيب الجملة، هي تصنيفها وشرح طريقة بنائها وإيضاح العلاقات بين عناصر هذا البناء، وقد تختلف العلامات الإعرابية أو الموقع الإعرابي للكلمة أو الجملة لسبب من الأسباب كطبيعة التركيب، أو التوسع في المعنى، أو الاتباع، أو الاستئناف، وقد يشتمل التركيب على كلمتين تصلح كلّ منهما لأن تكون متبوعاً ولكل منهما إعراب، فيؤدي هذا إلى اختلاف إعراب التابع.

هدف البحث:

إنَّ الهدف من هذا البحث التعرف على تعدد العلامات الإعرابية في بعض التراكيب اللغوية، وأسباب جلب العلامة الإعرابية الواحدة أو المتعددة بحسب ما يقتضيه المعنى.

معنى وَجَّه في اللغة: جعل الشيء على جهة واحدة، وقال بعضهم: (وَجَّه الحجر وَجْهَةً وجِهَةً مَّاله ووجْهاَ مّاله، يريد وجه الأَمر وجهه: يضرب مثلاً للأمر إذا لم يستقم من أَن يوَّجه له تدبيراً من جهة أخرى، واسم ذلك الفعل توجيه) [1].

معنى وجه عند النحاة:

أمّا معنى: وجه وتوجيه بالمصطلح النحوي فهي دليل، أو مسوغ، أو مخرج، أو حالة أو علامة إعرابية مع ذكر السبب والتحليل، وإيجاد الوجوه المناسبة للقراءات المختلفة [2].

1 ــ أوجه العطف على اسم ((لا)) النافية للجنس [3].

اعلم أن (لا) تعمل في الاسم النصب، وفي الخبر الرفع (كإنَّ)، فإذا عُطِف على (لا) واسمها اسم مفرد نكرة، فإمَّا أن تتكرر لا أو لا تتكرر، فإن تكررت لا نحو: ((لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله)) وأشبه ذلك من تركيب جازت فيه خمسة أوجه:

أحدُها: بناؤهما على الفتح، أي فتح ما بعد (لا) الأولى وما بعد (لا) الثانية وهو الأصل، نحو : (لا حَوْلَ ولا قوُّةَ إلاّ بالله) ،

الثاني: رفعهما إمَّا بالابتداء، أو على عمل (لا) عمل ليس، مثل : (لا حَوْلٌ ولا قوُّةٌ إلاّ بالله)

الثالث: فتح الأول ورفع الثاني، فنقول: (لا حَوْلَ ولا قُوَّةٌ).

الرابع: عكس الثالث وهو رفع الأول وفتح الثاني، فنقول: (لا حَوْلٌ ولا قُوَّةَ).

الخامس: فتح الأول ونصب الثاني، فنقول: (لا حَوْلَ ولا قُوَّةً).

وهذه الأوجه الخمسة لكل منها توجيه يخصّها، أمَّا بناؤهما على الفتح فوجهه أن تجعل (لا) فيهما مركبة مع اسمها تركيب خمسة عشر، كما لو انفردت، مثل: (لا رجلَ ولا امرأةَ في الدار) ــ بفتح المعطوف ــ بتقدير: لا رجلَ موجودٌ ولا امرأةَ موجودةٌ ، فيكون من باب عطف جملة على جملة .

وأمَّا رفعهما فوجهه أن تجعل (لا) الأولى ملغاة لتكرارها، فما بعدها مرفوع بالابتداء، أو عاملة عمل ليس فيكون ما بعدها مرفوعاً بها ، مثل : (لا رجلٌ ولا امرأةٌ في الدار).

أمَّا فتح الأول ورفع الثاني، فوجهه: أن (لا) الأولى عملت عمل إنَّ، و (لا) الثانية زائدة وما بعدها معطوف على محل (لا) الأولى مع اسمها؛ لأنهما في موضع رفع بالابتداء، مثل: (لا رجلَ ولا امرأةٌ في الدار).

أمَّا رفع الأول وفتح الثاني فوجهه: أن (لا) الأولى ملغاة، أو عاملة عمل ليس، و (لا) الثانية نافية للجنس، مثل: (لا رجلٌ ولا امرأةَ في الدار).

أمَّا فتح الأول ونصب الثاني، فوجهه: أن (لا) الأولى عاملة عمل إنَّ، و(لا) الثانية زائدة، وما بعدها منصوب بالعطف على محل اسم (لا)، مثل: (لا رجلَ ولا امرأةً في الدار).

وتجويز النحاة الأوجه المذكورة يكون بحسب قصد المتكلم واحتمال التركيب لذلك، وإلاَّ فالظاهر إذا قُصد نفي الجنس وجب فتح الأول والثاني وإذا أُريد نفي الوحدة لم يجز الفتح.

2 – أوجه إعراب قولهم: (هذا زيدٌ قائمٌ)[4]:

يكون العامل في الحال فعلٌ ومعنى الفعل، فإذا كان العامل فعلاً فيجوز تقديم الحال على العامل، لأن الفعل متصرف، وإذا كان العامل في الحال المعنى، فلا يجوز تقديم الحال على العامل إذا كان معنى؛ لأنه لا يتصرف تقول: هذا زيدٌ قائماً، وزيدٌ في الدار واقفاً، فالعامل في الحال: ها التنبيه، أو (ذا) التي للإشارة، وإذا قلت: هذا زيدٌ قائمٌ، فرفع لفظة (قائمٌ) يكون من أربعة أوجه:

أحدُها: أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف.

والثاني: أن يكون خبراً بعد خبرٍ، كقولهم: هذا حُلْوٌ حامِضٌ، أي: قد جمع الطعمين.

والثالث: أن يكون (زيدٌ) بدلاً من هذا.

والرابع: أن يكون (قائمٌ) بدلاً من زيد، ففي حالة الرفع في هذه الوجوه الأربعة، والنصب على الحال لا غير، فإذا قلت: زيدٌ في الدار قائماً، جاز في (قائم) الرفع والنصب، فالنصب على الحال، والرفع على وجهين: إمَّا على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وإمَّا على أنه خبر بعد خبر.

3 ــ أوجه العطف على خبر إنَّ وأخواتها[5].

إذا عطفت بعد خبر إنَّ وأخواتها، ففي المعطوف وجهان: الرفع والنصب، تقول: إنَّ زيدًا منطلق وعمراً، وإن شئت، وعمرو، فأمَّا الرفع فمن وجهين، والنصب من وجه واحد: وهو أن تعطفه على الاسم المنصوب، وأحدُ وجهي الرفع ــ وهو الأجود منهما ــ: أن تحمله على موضع (إنَّ) لأنَّ موضعها الابتداء، فإذا قلت : إنَّ

زيداً منطلق، فمعناه: زيدٌ منطلق، و(إنَّ) دخلت توكيداً، كأنَّه قال: زيدٌ منطلق، و(إنَّ) دخلت توكيداً، كأنَّه قال: زيدٌ منطلق وعمرو، والوجه الآخر في الرفع أن يكون محمولاً على المضمر في منطلق، وهذا الوجه ضعيف، والأجود أن تؤكدِّه فيكون وجهاً جيّداً مختاراً فتقول: إنَّ زيداً منطلقٌ هو وعمرو.

4 ــ أوجه إعراب (سلامٌ قولاً)[6] في قوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ(57) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ(58)** ﴾[7] .

أ – في رفع (سلام) أوجه:

أحدُها أن يكون بدلاً من قوله (وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ)، تقديره: (وَلَهُم سَلَامٌ).

الثاني: مبتدأ خبره محذوف، أي: سلام عليكم، أو جملة: يُقال قولاً، ويجوز أن يكون الخبر (مِّن رَّبٍّ) وجاز الابتداء بالنكرة لأن لفظه يدل على العموم.

الثالث: أن يكون مرتفعاً على معنى: هو سلامٌ، تفسيراً لما يدعونه.

الرابع: أن يكون مرتفعاً على معنى: يقال لهم سلامٌ استئنافاً، أو حالاً من الضمير في (يدّعون)، أي مقولاً لهم سلامٌ.

ب ــ في نصب (قولاً).

(قَوْلاً) يجوز أن يكون مفعولاً لقول محذوف لفعل مضمر محذوف تقديره: أعنى، أو أمدح قولاً، ويجوز أن يكون منصوباً بفعل آخر مقدّر له على الاستئناف، تقديره: يقال لهم قولاً.

5 ــ أوجه إعراب قولهم : (خرجت فإذا السبع)[8]

يجوز أن تكون إذا الفجائية على ضربين: اسماً (ظرف زمان أو ظرف مكان)، أو تكون حرفاً من حروف المعاني الدالة على المفاجأة، فإذا كانت اسماً لم يكن ثَمَّ حذف، وكان السبع مبتدأ مؤخر، وإذا خبر مقدّم، كما تقول: عندي زيدٌ، فإذا كانت ظرف زمان فالتقدير: خرجتُ فالزمانُ حُضُور السبع، فإذا كانت ظرف مكان، فالتقدير: خرجت فبحضرتي السبع، فإن ذكرت اسماً منصوباً على الحال نحو: فإذا

السبع واقفاً، والعامل في الحال الظرف، وإن شئت رفعته على الخبر، وجعلت الظرف من صلته.

أمَّا إذا جعلتها حرفاً ، فيكون ما بعدها مبتدأ، و الخبر محذوف لا محالةُ، ويكون التقدير: خرجت فإذا السبعُ واقفٌ، أو موجودٌ؛ لأن المبتدأ لا بدله من خبر.

6 ــ أوجه (إعراب ضمير الفصل) [9]

يتعدد التوجيه النحوي لموقع الضمير حسب التركيب الذي يكون فيه، وهو أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة، ليؤذن من أول أمره بأن ما بعده خبر لا نعت وليفيد ضرباً من التوكيد، وما يتحمل من الأوجه كقوله تعالى:**﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾**[10] وقوله:**﴿ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾** [11] يتحمل الضمير أن يكون للفصل أو للتوكيد، ولا يصح أن يكون مبتدأ، لأن ما بعده منصوب.

وفي قوله تعالى: **﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**[12]**﴾** ونحو قولك: زيدٌ هو القائم، وإنَّ زيداً هو الفاضلُ، يتحمل الضمير: الفصل والابتداء دون التوكيد، وذلك لدخول (اللام) في الأولى، ولكون ما قبله ظاهراً في الثانية والثالثة؛ لأنه لا يؤكد الظاهر بالمضمر؛ لأنه ضعيف، والظاهر قوي، ويتحمل الأوجه الثلاثة في قولنـــــــا:أَنت أنت الفـــــاضلُ، وفي قوله تعالى:**﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾**[13].

ويجوز رفع ما بعد ضمير الفصل سواء أكان قبلها معرفة، أم بعدها أو لم يكن، نحو قولك: ما ظننت أحداً هو خيرٌ منك، فـــ(أحدا) مفعول أوّل وجملة (هو خيرٌ منك) من المبتدأ وخبره، في محل نصب المفعول الثاني؛ لأن ضمير الفصل إذا كان مبتدأ فإنه يُغير إعراب ما بعده فيرفعه الْبتَّة، بأنه خبر للمبتدأ، وإذا كان فصلاً لا يُغيّر الإعراب عمّا كان عليه، بل يبقى على حاله.

أمَّا الضمير في قوله تعالى: **﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ** [14]**﴾**، فالضمير (هِيَ): مبتدأ، لأن ما قبله اسم ظاهر فمّتنع التوكيد، ونكرة فمّتنع الفصل.

7 ــ أوجه إعراب (سَوَاءٌ)[15] في قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [16].

– الوجه الأول (سَوَاءٌ) خبر مقدّم، والمصدر المؤول من الهمزة والفعل في محل رفع مبتدأ مؤخر، أي: سواءٌ عليهم إنذارك لهم، أو عدم إنذارك.

– الوجه الثاني (سَوَاءٌ):مبتدأ،وجملة (أَأَنذَرْتَهُمْ) في تأويل مفرد هي الخبر، والتقدير: سواءٌ عليهم الإنذار وعدمه، ولم تحتج هنا إلى رابط، لأنها نفسها المبتدأ في المعنى.

– الوجه الثالث: (سَوَاءٌ) اسم بمعنى الاستواء وصف به كما وصف بالمصادر، وارتفاعه على أنه خبر لــ(إنَّ) وجملة ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ في تأويل مفرد فاعل (سَوَاءٌ)، والتقدير: إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه.

– الوجه الرابع (سَوَاءٌ) مبتدأ، وجملة ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾، في تأويل مفرد فاعل، سدت مسدّ الخبر، والتقدير: يستوى عندهم الإنذار وتركه، وهو كلام محمول على المعنى.

– الوجه الخامس: (سَوَاءٌ) مبتدأ في اللفظ دون المعنى، ومعناه: (لا أبالي)، وجملة (أَأَنذَرْتَهُمْ) في موضع المفعول، بــ(أبالي).

8 ــ أوجه "ذا" من قولك: (ما صنعت ومن ذا قابلت) [17] .

يكون هذا التركيب على وجهين:

أحدُها: أن تكون (ما ومن) استفهاميتين وتكون كل منهما في محل رفع المبتدأ، و(ذا) الخبر، وهي بمعنى الذي، وما بعده من الفعل والفاعل صلتهما والعائد محذوف، والتقدير:صنعته، وقابلته.

الوجه الثاني: أن تجعل ما، وذا جميعاً بمنزلة كلمة واحدة قد ركبت من كلمتين نحو: إنَّما وحيثما، وتكون ما مع ذا في محل نصب مفعول به للفعل الواقع بعدها، ويكون الجواب في الوجه الأول مرفوعاً، وفي الوجه الثاني منصوباً، لأن الجواب بدل من السؤال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** ﴾ [18]،

قرئ[19] برفع (الْعَفْوَ) ونصبه، فالرفع على جعل ما مبتدأ، و(ذا) بمعنى الذي، وينفقون صلته، أي: ما الذي ينفقونه، فجاء الجواب (الْعَفْوُ)أي: هو العفو، ومن نصب (الْعَفْوَ) جعل ما وذا كالشيء الواحد في موضع نصب بـــ(ينفقون) والتقدير: قل ينفقون العفو، لأن العفو جواب، وإعراب الجواب كإعراب السؤال.

9 – أوجه إعراب(أَيُّهُمْ) [20] في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا** ﴾ .[21]

الوجه الأول (أَيُّهُمْ) اسم موصول بمعنى الذي مبني على الضم في محل نصب المفعول به، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل في محل جرّ بالإضافة، وأَشدُّ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو، وجملة المبتدأ والخبر صلة الموصول والعائد محذوف، تقديره: أي الذي هو أشدُّ، وهو رأي سيبويه والجمهور [22].

الوجه الثاني: أن يكون (أَيُّهُمْ) استفهاماً وحركته حركة إعراب، والفعل مُعلّق ولم يعمل في لفظ (أَيّ) كما تقول: علمت أيُّهم في الدار، ومعنى (لَنَنزِعَنَّ): لنَستخرجنّ حتى يصح تعليقه، وأيُّهم: مبتدأ وأشدُّ خبره والجملة في موضع نصب، لقوله: لننزعــن، والنزع بمعني التبين، فهو قريب من العلم، ولذلك جاز تعليقه، وهو رأي يونس [23].

–الوجه الثالث: أن يكون رفعاً على الحكاية، والمعنى ثُمَّ لننزعن من كُلّ فريق تشايعوا الذي يقال فيه: أيُّهم أَشدُّ على الرحمن عِتِياً ، وهو رأي الخليل [24].

10 ــ أوجه (عسى واخلولق وأوشك) [25]

إذا تقدم على هذه الأفعال اسم، وتأخر عنها (أن والفعل) نحو: زيد عسى أنْ يقومُ) يجوز في هذا التركيب وجهان:

أحدها: أن ترفع ضميراً يعود على الاسم السابق.

والثاني: أن تجرد من الضمير، وتسند إلى (أنْ والفعل)، ويظهر أثر الاستعمالين في حالة التثنية والجمع والتأنيث، فنقول على الاستعمال الثاني: الزيدان عسى أن يفعلا، والزيدون عسى أن يفعلوا، والهندات عسى أن يَفْعَلْنَ، وهند عسى أن يفعل،

وعلى الاستعمال الأول: الزيدان عسيا أَنْ يفعلا، والزيدون عســوا أن يفعلوا، والهندات عَسَين أن يفعلن، وهند عست أن تفعل.

فإذا خلت عسى من ضمير مستتر فيها أو بارز، فتكون تامة، وفاعلها هو المصدر المؤوّل من أن والفعل، والجملة من عسى وفاعلها في محل رفع خبر المبتدأ زيد، على أن تلزم عسى في هذا الوجه صورة واحدة أي: لا تلحقها علامة التثنية أو الجمع أو التأنيث، وكذا اخلولق وأَوشك، وتكون (عسى) ناقصة إذا اشتملت على ضمير مستتر أو بارز يكون هو اسمها، ويعود على المبتدأ المقدم عليها، ويطابقه في النوع والعدد ويكون خبر عسى المصدر المؤوّل من أن والفعل، والجملة من عسى واسمها وخبرها، في محل رفع الخبر المبتدأ قبلها، ويتصل بعسى في هذا الوجه الضمير العائد على المبتدأ كما أشرنا إلى ذلك في الاستعمال الأول لــ(عسى)

– وهذان الوجهان يصحان إذا تقدّم الاسم نحو: زيدٌ عسى أن يقوم، أو تأخر، نحو: عسى أَن يقوم زيدٌ.

أمَّا غير الثلاثة الأفعال السابقة، فلا يسند لــ(أنْ والفعل)، وحق (عسى) إذا اتصل بها ضمير أن لا يكون إلاَّ مرفوعاً، وهذا هو المشهور في كلام العرب وبه نزل القرآن، ومن العرب، مَن يأت به بصورة المنصوب المتصل، فيقال: عساني وعساك [26].

11 – أوجه إعراب (مررتُ برجلين مسلمٍ وكافرٍ، ومسلمٌ وكافرٌ [27] وجه الجرّ إمَّا على البدل وإما على الصفة.

وأمَّا وجه الرفع فعلى القطع من الأول، كأَنَّك قلت: أحدُهُما مسلمٌ، والآخر كافرٌ.

12 – أوجه إعراب (ما) [27] في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ** ﴾ [28]

(إِنَّمَا) تأتي في الكلام لإثبات المذكور ونفي ما عداه، فإذا قلت: إنَّما زيدٌ قائم، فالتقدير: ما زيدٌ إلاَّ قائمٌ، كذلك في هذه الآية الكريمة أي: ما حرَّم عليكم إلا الميتة،

يجوز في هذه الآية أن تكون (ما)، وتكون (الميتةَ) مفعول به لحرَّم، ويجوز أن تكون موصولة، فتكون في محل نصب اسم إنَّ وجملة (حرّم) صلتها، والميتة: خبر إن فترفع، وقراءة[29] الرفع لأبي عبلة، والتقدير: على قراءة الرفع: إنَّ الذي حرَّمه الله المَيْتَةُ، أمَّا قوله تعالى: (وَمَا أُهل بِهِ) ، فيجوز أن تكون (مَا) اسم موصول مبني في محل نصب معطوف علي الميتة، وجملة (أُهل بِهِ) لا محل لها صلة الموصول، ويجوز أن تكون (مَا) نكرة موصوفة، والجملة بعدها نعت لها.

13 – أوجه إعراب (فَتَكُونَا)[30] في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [31] يجوز أن تكون (الفاء) فاء السببيّة، وتكونا مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببيّة، والألف ضمير متصل في محل رفع اسم كان، وعلامة نصبه حذف النون، وتكون جواباً للنهي المتقدم، ويصبح كونهما من الظالمين نتيجة وجزاء لقربهم من الشجرة، وجواب الأمر والنهي والنفي والتمني والعرض والاستفهام إذا كان بالفاء كان منصوباً.

ويجوز أن تكون (الفاء) عاطفة، فتعطف تكونا على تقربا، فيكون الفعل مجزوماً وعلامة جزمه حذف النون، ويكون النهي عن القرب من الشجرة، وعن الظلم.

14 – أوجه قراءة (غَيْرُ)[32] بالرفع والنصب والجر في قوله تعالى﴿ **لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ** ﴾ [33]

قُرئت[34] (غَيْرُ) بالرفع والنصب والجر، وتضاربت الأقوال في إعراب (غَيْرُ) على أوجه:

الوجه الأول قراءة الرفع، على أنها صفة للقاعدين أول بدل منه.

الوجه الثاني: قراءة النصب، على أن (غَيْرُ) استثناء من القاعدين، أو من المؤمنين، أو حالاً.

الوجه الثالث: قراءة الجرّ: على أن (غَيْرُ) صفة للمؤمنين.

15 ــ أوجه إعراب (وَالرَّاسِخُونَ)[35] في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [36].

الواو في قوله تعالى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ حرف عطف يعطف المفردات كما يعطف الجمل، فإذا أخذنا بأنها لعطف المفردات، فالراسخون يكون معطوفاً على الله، وجملة ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ في موضع نصب على الحال من الراسخين، ويكون المعنى وفق هذا الوجه أن الراسخين في العلم مشتركون مع الله – سبحانه وتعالى– في العلم بتأويله في حال قولهم: آمنّا به.

وإذا اعتبرنا الواو استئنافيّه لعطف الجمل، فـ (الرَّاسِخُونَ): مبتدأ، وجملة (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) خبره، ويكون المعنى: أنَّ الراسخين لا يعلمون تأويله، بل يؤمنون به.

16 – أوجه إعراب (رُسُلًا) [37] في قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [38]

كلمة (رُسُلًا) في الآية الكريمة، يجوز في إعرابها أربعة أوجه:

– أحدُها: يجوز أن تكون بدلاً من (رُسُلًا) التي سبقتها في الآية السابقة وهي قوله تعالى: **﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾** .

– الثاني: مفعول به لفعل محذوف تقديره: أرسلنا رسلاً.

– الثالث: يجوز أن تعرب حالاً موطئه لما بعدها كما تقول: مررت بزيد رجلاً صالحاً، فهو لفظ جامد موصوف.

– الرابع: أن تعرب مفعولاً به لفعل محذوف على المدح، أي: أَعنى رسلاً.

17 ــ أوجه إعراب (ما، ومودة) [39] في قوله تعالى: **﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتم مِن دُونِ اللهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنَكُم﴾** [40]

قرئت [41] (مودة) بالرفع والنصب ، فعلى قراءة النصب، تكون (ما)، في (إنما) كافّة، و(أوثاناً) مفعول اتخذتم، ومودة: مفعول ثان، أي: إنَّما اتخذتموها مودةً بينكم في الحياة الدنيا.

أمَّا قراءة الرفع فتكون (ما) بمعنى:الذي، اسم إنَّ، وفي اتخذتم ضمير محذوف يعود إليه، أي: إنَّ الذين اتخذتموهم أوثاناً مودة بينكم، فيكون (أوثاناً) مفعولاً ثانياً و(مودة) خبر إن.

ويجوز أن تكون (ما) مصدرية، و(مودة)–بالرفع– الخبر، والتقدير: إنَّ سبب اتخاذكم مودة.

الخلاصة:

من خلال هذا البحث، يمكن أن نوجز أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يأتي:

– أثبت البحث أن التعدد في أوجه الإعراب يؤدي إلى التعدد في المعنى ، وكذلك ما يترتب على التراكيب اللغوية من التقديم والتأخير والحذف، فالتراكيب اللغوية تتعدد أوجه إعرابها لكي تتعدد معانيها.

– يعد اختلاف اللهجات ومنها اختلاف القراءات القرآنية؛ لأن كثيراً من القراءات تبني على لهجات العرب وهو من أسباب تعدد الأوجه الإعرابية.

– مواضع تعدد الأوجه الإعرابية كثيرة جداً، لا تكاد تحصى في كتب النحو والقراءات والشواهد وإعراب القرآن الكريم، وما أوردته منها بعض المسائل فقط.

ـــ قد تتعدد الوظيفة النحوية للكلمة في بعض التراكيب اللغوية ؛ بسبب وجود قرائن قد ترشح الكلمة لوظيفتين أو أكثر ، ولكن تظل العلامة الإعرابية واحدة وهي الضمة أو ما ينوب عنها ، فيجوز مثلا إعراب الكلمة الواحدة ، مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو تابعا مرفوعا .

الهوامش

(1) لسان العرب لابن منظور، مادة (وجه)، م / 14 / 577 .

(2) ينظر الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية 1408هـ- 1988م، 40/2، ومعاني القرآن للفرّاء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور- بيروت لبنان، 100/2 وشرح اللمع في النحو للواسطي الضرير، تحقيق الدكتور رجب عثمان محمد، مكتبة الخاجي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1420هـ- 2000م ص82، وأمالي ابن الحاجب دراسة وتحقيق فخر صالح سليمان قداره، دار الجبل بيروت، 1409هـ- 1989م، 472/1، والمحتسب لابن جنى، تحقيق علي النجدي ناصيف والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1415هـ- 1994م، 285/1.

(3) ينظر شرح الكافية للرضيّ، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية 199/2، وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري، دار إحياء الكتب العربية 240/1.

(4) ينظر شرح اللمع للواسطي الضرير ص71،72. والمقتضب للمبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، الطبعة الثانية 1399هـ- 1979م، 308,307/1.

(5) ينظر الكتاب لسيبويه 144/2 و 112,111/1، وشرح اللمع للواسطي الضرير ص49.

(6) ينظر أمالي ابن الحاجب 132/1، وينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي، دار الرشيد، بيروت ج(24/12)، ومعاني القرآن للفرّاء 380/2، والكشاف للزمخشري، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ

علي محمد معوّض، مكتبة العبيكات، الطبعة الأولى 1399هـ- 1979م 184/5 .

(7) سورة يسن 58,57/36 .

(8) ينظر شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبي- القاهرة، 95,94/1 ، وارتشاف الضرب لأبي حيّان الأندلسي، تحقيق: رحب عثمان محمد، مكتبة الخانجي. القاهرة، الطبعة الأولى 1418هـ- 1998م 1413,1412/3 ، وهَمْعُ الهوامع للسيوطي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي المكتبة التوفيقية- القاهرة، 183/2 .

(9) ينظر المقتضب للمبرد 103/4 ، وشرح المفصل لابن يعيش 109/3 ، وارتشاف الضرب لأبي حيّان 958/2 .

(10) سورة المائدة 117/5 .

(11) سورة الأعراف 113/7 .

(12) سورة الصافات 165/37 .

(13) سورة المائدة 109/5 .

(14) سورة النحل 92/16 .

(15) ينظر إملاء ما مَنّ به الرحمن للعكبري 14/1 ، والكشاف للزمخشري 162/1 والهمع للسيوطي 388/1 ، وشرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختون هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1410هـ- 1990م، 301/1 وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري 155/1 ، وشرح المفصل لابن يعيش 93/1 .

(16) سورة البقرة 6/2 .

(17) ينظر شرح المفصل لابن يعيش 3/149، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري 1/93.

(18) سورة البقرة 2 / 219 .

(19)(العـــفــو) بالرفع قراءة أبي عمرو، وبالنصب قراءة باقي السبعة، ينظر البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي دار الفكر – 1410هـ– 1990م، 2/407.

(20) ينظر شرح المفصل لاين يعيش 3/145 وما بعدها، وشرح التسهيل لابن مالك 1/208 ، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري 2/115 .

(21) سورة مريم 19/69 .

(22) ينظر رأي سيبويه في الكتاب 2/400 ، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري 2/115.

(23) ينظر رأي يونس في شرح المفصل لابن يعيش 3/146 ، وشرح اللمع للواسطي الضرير ص233.

(24) ينظر رأي الخليل في شرح المفصل لابن يعيش 3/146 ، و شرح اللمع للواسطي الضرير ص234.

(25) ينظر شرح المفصل لابن يعيش 7/115 وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري 1/208 . و همع الهوامع للسيوطي 1/481 .

(26) ينظر الكتاب لسيبويه 2/8، وشرح اللمع للواسطي الضرير ص114.

(27) ينظر معاني القرآن للفرّاء 1/100,101، والجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي 1/343 .

(28) سورة البقرة 2/173 .

(29) ينظر البحر المحيط لأبي حيان 2/110 .

(30) ينظر معاني القرآن للفرّاء 1/26 ، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري 1/31 ، والكتاب لسيبويه 3/28 ، والكشاف للزمخشري 1/254 والبحر المحيط لأبي حيان 1/256,257 .

(31) سورة البقرة 2/35 .

(32) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري 1/191 ، ومعاني القرآن للفرّاء 1/283,284 ، وشرح اللمع للواسطي الضرير ص85 والكشاف 2/132 .

(33) سورة النساء 4/95 .

(34) ينظر السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: د/ شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية ص237، والبحر المحيط 4/35 .

(35) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري 1/124 ، ومعاني القرآن للفرّاء 1/191 ، وكشف المشكلات وإيضاح المُعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات للباقوي، الملقب بـــ جامع العلوم النحوية، تحقيق الدكتور: عبد

القادر عبد الرحمن السعدي دار عمار، الطبعة الأولى 1421هـ- 2001م، 1/321,320.

(36) سورة آل عمران 3/7.

(37) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري 1/203 ، والكشاف للزمخشري 2/179.

(38) سورة النساء 4/165.

(39) ينظر إعراب القرآن وعلل القراءات للباقوي 2/206 ، ومعاني القرآن للفرّاء 2/316,315 ، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري 2/182.

(40) سورة العنكبوت 29/25.

(41) ينظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص498- 499 ومعاني القرآن للفرّاء 2/315.

طبيعة المعرفة الإنسانية عند الفلاسفة المسلمين

د. ميلود القمودي
كلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية

المقدمة

المعرفة من الموضوعات التي شغلت الفكر الفلسفي منذ القدم، فلكل فيلسوف وجهة نظر في تحديد طبيعة المعرفة الإنسانية.

وكان لمفكري وفلاسفة الإسلام دور بارز ومتميز في تحديد المعرفة الإنسانية، والذي غالباً ما يستند إلى النصوص القرآنية والشريعة الإسلامية بوجه عام، فنجد لكل فلسوف من فلاسفة الإسلام وجهة نظر في كيفية حصول المعرفة الإنسانية بداية من الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم، لكل واحد منهم وجهة نظر في كيفية حصول المعرفة الإنسانية.

وسوف أتناول في هذا البحث كلاً من الفيلسوف الكندي والفيلسوف الفارابي بغرض التعرف على كيفية حصول المعرفة الإنسانية عندهم، وتناولها من جوانبها المتعددة، وسوف يستخدم المنهج المقارن في هذا البحث.

والهدف من هذا البحث هو الاطلاع على وجهة كل من الفيلسوف الكندي والفيلسوف الفارابي، ومعرفة كيفية تحقق المعرفة الإنسانية عندهما، ودورهما في تطوير الفكر الفلسفي عند المسلمين، ويتكون هذا البحث من الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: الكندي.

المبحث الثاني: الفارابي.

بالإضافة الخاتمة وقائمة المراجع.

المعرفة عند الكندي:

بما أن كل فيلسوف يتميز بأسلوب محدد ومنهج معين فإنه من ضمن هذا الإطار لابد وأن يكون له من مذهب معرفة يتضح من خلال مذهبه العام واتجاهه الفلسفي، فالمفكر الذي يقتصر بحثه على الوجود فقط يعتبر صاحب مذهب مادي، عندها تكون طبيعة المعرفة حسية لا غير؛ لأن ما يدرك بالحس هو المادة، أما الذي يرى أن وراء الوجود المادي وجود آخر هو الوجود الصوري يرى أن المعرفة الملائمة لهذا النوع هي المعرفة العقلية، إذا فالوجود المادي تقابله المعرفة الحسية والوجود الصوري تقابله المعرفة العقلية.

الكندي ممن يقول بأثنينيه الوجود المادي والصوري، أو الحسي والعقلي، وعلى هذا فهو أثيني المعرفة مؤكداً بقوله: "ويحق ما كان الوجود وجودين وجوداً حسياً ووجوداً عقلياً فالأشياء جزئية وكلية، أعني بالكلي الأجناس للأنواع والأنواع للأشخاص، وأعني بالجزئية الأشخاص للأنواع والأشخاص والهيولانية واقعة تحت الحسي"[1].

لنا أن نتساءل الآن هل اقتصر مذهب المعرفة لدى الكندي على هذين المحورين فقط، الواقع أن من اطلع على أصول الكندي يجد أنه اعتمد فعلاً على الناحية الحسية والعقلية وكان أكثر يقيناً.

مصادر المعرفة عند الكندي:

1- القلب: وقد استعمله كمصدر للمعرفة الإيمانية وليس مصدراً للمعارف الفلسفية، غير أنه يثبت ذلك من خلال الحجج والبراهين العقلية، يقول الكندي "ولعمري أن قول الصادق محمد صلوات الله عليه وما أدى عن الله عز وجل الموجود جميعاً بالمقاييس العقلية التي لابد منها إلا من حرم صورة العقل واتخذ بصورة الجهل من جميع الناس"[2].

ويثبت هذا المصدر أيضاً عندما يتحدث عن الكون ويرده الكندي إلى إرادة الله تعالى دون تفسير عقلي كما هو المعتاد قائلاً: إن قوام الأشياء الواقعة تحت الكون والفساد وثبات صورها إلى نهاية المدة التي أراد بادئ الكون للكون جل ثناؤه.

وتحدث أيضاً تحت هذا المصدر عن (كون الكون) والتي أرجعها إلى إرادة الله وليس للعقل الإنساني دخل فيها، فالله إذا أراد للكون أن يكون قال له (كن) (فيكون) فإن إثبات القلب كأساس للمعارف يقوم دلالة على المصدرين الحسي والعقلي من حدود.

هذه هي مصادر المعرفة عند الكندي الأول والثاني خاص بالمعرفة الفلسفية والثالث خاص بالمعرفة الإيمانية.

وإذا تفحصنا ما كتب هنا نجد مصدراً رابعاً المعرفة لدى الكندي وهو الخبر المنزل من عند الله تعالى.

يقول الكندي في هذا الشأن "فأما الرسل صلوات الله عليهم وبركاته فلا شيء من ذلك (أي ليس من أخبار العباد) بإرادة مرسلها جل وتعالى، إذ هو موجود عند عجز البشر بطبعها عن مثله (أي تعجز العقول أن تأتي بمثل ما أتى به الرسل من عند الله) فإن ذلك فوق الطبع فتخضع له بالطاعة والانقياد، وتنعقد فطرها فيه على التصديق بما أتى به الرسل عليه السلام[3].

وبهذا يعترف الكندي بالخبر المنزل من عند الله تعالى كموضوع للمعرفة، وقد نجح الكندي كمفكر مسلم في إبراز موقف العقل البشري من المنزل الذي ليس به ما يعجز العقل عن إدراكه إلا فيما يتعلق بما هو فوق إدراكه مما يتعلق بحقيقة ذاته تعالى وصفاته.

وبهذا استطاع الكندي الخروج من العقل وحدوديته كما كان عند المعلم الأول أرسطو فأدخل موضوعات المعرفة الأرسطية للفكر الإسلامي وقضاياه، والمعرفة عند الكندي تنقسم عند الكندي إلى قوة وملكات وهي:

1- القوة الحسية: (أو الإدراك الحسي) أن هذه القوة مشتركة بين الإنسان والحيوان، وهذه القوة تدرك بالمحسوسات المادية الجزئية وتدرك صورها محمولة هذه الصور في مادتها الجزئية الدائمة التغيير.

2- القوة المصورة: أو قوة التخيل والتوهم، وهي التي تدرك الصور كما هي بدون معرفة مادتها، وكما أن القوى الحسية تدرك الأشياء في حالة اليقظة فإن القوة المصورة تدركها في حال اليقظة وفي حال النوم أيضاً.

ويرى الكندي كذلك أن المعرفة الآتية عن طريق القوة المصورة أثبت وأتقن من المعرفة الآتية عن طريق الحواس؛ ذلك لأن القوة المصورة تدرك ما تدركه عن طريق النفس المجردة بواسطة الدماغ مباشرة أي أنها تدرك الأشياء بالمركز العصبي الذي هو الآلة الأولى على حين أن القوة الحسية تدرك مدركاتها بالآت غير ثابتة وهي الحواس.

لذلك فالمعرفة عن طريق الحواس معرضة دائماً للاختلاف في القوة والضعف في الخارج والداخل معاً أي من الحواس والدماغ، أما القوة المصورة فلا يعرض لها الضعف إلا من طريق واحد وهي القوة الداخلة فقط وهي الدماغ.

القوة العاقلة: وهي تدرك الأمور الكلية من الأنواع والأجناس، بمعنى أنها تدرك الصور العقلية التي لا تحتاج إلى مادة أصلاً، وهي أقرب إلى طبيعة الأشياء، وهي معقولات صرفة لا تتمثل لها صورة في المخيلة وهي شبيهة بالبديهيات[4].

ونصل مما سبق إلى أن الكندي يرى أن المعرفة العقلية تتم بطريقتين:

الطريقة الأولى: المبادئ الفطرية الموجودة في العقل وهي التي تستمدها النفس الناطقة من طبيعة العقل ذاته لا من الخارج، وهي مثل البديهيات والمسلمات وسائر القضايا التي لا تحتاج إلى برهنة واستدلال أو قياس.

والطريق الثاني لإتمام المعرفة العقلية هو المعقولات الكلية التي تأتي عن طريق الاكتساب والتعليم والنظر أي من الخارج والذي يكتسب من الخارج هو الأنواع والأجناس أي المفهومات الكلية التي تحصل بواسطة التجريد للمعاني والصفات

المشتركة بين سائر أشخاص وأفراد الجنس أو النوع الواحد، وهذا لا يتأتى إلا بعد نظر واستقراء وقياس واستنتاج ثم تجريد، وهذه المراحل كلها تدل على المعرفة الكسبية لا الضرورية أو الفطرية.

ومن هنا تكون الصور المعقولة أي المعاني أو الجواهر الكلية موجودة في الأشياء الطبيعية من خلال أشخاصها لذلك يكون الوجود العقلي أقرب من الطبيعة وأبعد من الإنسان؛ لأنه يعتمد على عمليات عقلية أخرى كثيرة فلا تكون مباشرة[5].

المعرفة عند الفارابي:

يقسم الفارابي المعرفة الإنسانية إلى أنواع متعددة، كما وضع عدة طرق ووسائل والتي بواسطتها تتم اكتساب المعارف،وهي كالآتي:

المعرفة الأولى: هي المعرفة الحسية، أ إدراك الجزئيات بصورها المادية التي تخضع للمعقولات كالوضح والكم والكيف والفعل والانفعال، والإدراك هنا يتم بالقوى الحيوانية المدركة وهي مشتركة بين الإنسان والحيوان، ولكل منها وظيفة معينة في كيانه.

المعرفة الثانية: هي المعرفة بالحواس الخمس الظاهرة، وهي تحصل بالمحسوسات، فتدرك بها الملموس كالحرارة والبرودة والمشموم كالروائح والمسموع كالأصوات ، والمرئي كالألوان.

ولا تنتهي وظيفة القوى المدركة عند هذا الحد بل يبدأ دور القوى الباطنة، وأول الأمر هو دراسة الحس المشترك الذي يعمل بين الحواس الظاهرة والقوى الباطنة، يتلقى معلومات الحواس الخمس، فإذا به كل ملك الذي يجمع أخبار رعيته كل حاسة موكلة بنوع من الأخبار وعندما تحصل عنده هذه المعلومات يؤديها بدوره إلى المخيلة فتحصل عند ذاك في اليقظة أو في النوم، ما يجعل المحسوسات تبدو كما لو كانت حقيقة على الرغم من أنها أحياناً تكون بالحلم لا بالواقع، والمعرفة المتخيلة التي تحفظ صور المحسوسات التي يؤديها الحس المشترك، فتبقى هناك

محفوظة على رغم غياب بعض الصور المحفوظة عندها، وهذا ما يولد المنامات والأحلام، مثلاً إذا حس جسم النائم بالرطوبة، يكون الحكم عن المياه والسباحة، إذا كان الإحساس شيء آخر يحاكي القوة المتخيلة وسيطرت على الواقع، فتصبح الأشياء المتخيلة أكثر من الواقعية، فيصبح الذي يحدث معه ذلك من المجانين أو ما يشابه ذلك.

ونصل إلى أدوات المعرفة الباطنة الأخرى كالوهم الذي يدرك من المحسوس ما لا يحس.

وفي القوى الباطنة نجد الذاكرة خازنة بالوهم وحافظة الصورة، دورها كدور المتخيلة للحس المشترك هي مثل الوهم تحتفظ برسوم الأشياء[6].

والنوع الآخر من المعرفة هي المعرفة العقلية التي تصدر عن العقل، وذلك باعتباره عقلاً بالقوة، أو بالفعل، أو متأثراً بالعقل الفعال، ومعنى هذا أن للإنسان استعداداً وعقلاً بالقوة، وهو ينتقل إلى الفعل بواسطة المعرفة المكتسبة من إدراك الأشياء، ويصل إلى معرفة اللامادي الذي فوق الحس والذي يسبق كل إدراك ويحدث الإدراك نفسه .

وهناك تقابل بين درجات العقل وأطوار المعرفة العقلية وبين درجات الموجودات، الأدنى من الموجودات ينزع به الشوق إلى ما فوقه، الأعلى منها يرفع الأدنى إليه[7].

فمسألة العقل هي ما يثير البحث، والأشياء المادية إذا صار لها في العقل ضرب من الوجود أعلى لا تنطبق عليه المقولات التي تنطبق على المادية، والعقل في نفس الطفل بالقوة، وهو إنما ينتقل إلى الفعل بعد إدراك صور الأجسام بواسطة الحواس والقوة المتخيلة، على أن هذا الانتقال من القوة إلى الفعل، أعني حصول المعرفة الحسية، ليس فعلاً للإنسان، بل للعقل الذي هو أعلى من العقل الإنساني في المرتبة، وهو عقل الفلك الأخير، فلك القمر.

فالمعرفة الإنسانية لا يحصلها العقل باجتهاده، بل حتى تتجلى في صورة حية من العلم الأعلى، وفي ضوء العقل الفعال يستطيع عقلنا إدراك الصور الكلية للأجسام، وبذلك تتسع حدود التجربة الحسية وتصير معرفة عقلية.

والتجربة الحسية لا تقبل إلا الصور المنتزعة من عالم المادة، ولكن توجد صور أو معاني كلية أشرف من الأشياء المادية وسابقة عليها، وذلك في العقول الخالصة التي للأفلاك.

والإنسان يتلقى المعرفة عن هذه العقول أو الصور المفارقة وهو لا يدرك ما يدركه في الحقيقة إلا بمساعدتها، يؤثر كلاً منها في الذي يليه مباشرة.

بمعنى أن كلاً منها يقبل فعلاً فوقه، ويؤثر فيما دونه ويسري هذا التأثير من العقل الأعلى، وهو الله، حتى ينتهي إلى العقل الإنساني.

والعقل الفعال، وهو عقل الفلك الأدنى يسمى: فعالاً، بالإضافة إلى العقل الإنساني الذي يفعل به، والذي يسمى من أجل ذلك، بالعقل المستفاد غير أن هذا العقل الفعال ليس فعالاً دائماً؛ لأن المادة تفيد فعله، أما العقل الذي هو فعال دائماً والمتحقق تحققاً تاماً فهو الله[8].

المعرفة الثالثة: هي المعرفة الإشرافية، بعد أن يستكمل عقل الإنسان بالمعقولات كلها حتى لا يخفي عنه شيء، يصبح عقلاً مستفاداً يدرك الصورة من المادة، ولا يعود بينه وبين العقل الفعال مسافة فاصلة، بل يحل هذا الفعل فيه ويتحدد به، وإذا كان قبل ذلك استطاع بقوته المتخيلة أن يبلغ الكمال في تلقي المحسوسات الخارجية دون أن يكتفي عن ذاك يكون قد أصبح صاحب قوة تتلقى بالطبع من العقل الفعال الجزئيات بنفسها أو بما يحاكيها، كما يتلقى المعقولات بما يحاكيها إذا حصل الإنسان ما في قوتيه الناطقة والمتخيلة، كان هذا الإنسان هو الذي يوحي إليه بواسطة العقل الفعال، بمعنى أن الذي يفيض من الله إلى العقل الفعال يعد العقل الفعال ويفيضه إلى العقل المنفعل الفردي لهذا الإنسان بواسطة العقل المستفاد، ومن العقل يفيض إلى المتخيلة عندئذ يصبح هذا الإنسان ، ذلك بما يفيضه العقل الفعال

إلى عقله المنفعل، حكيماً فيلسوفاً ومتعقلاً على التمام وبما يفيض متن العقل المستفاد إلى متخيلية، يصبح بيناً مقداراً بما سيكون مخبراً بما هو الآن من الجزئيات؛ هذا الإنسان هو في أكمل مراتب الإنسانية، وفي أعلى درجات السعادة فنفسه متحدة بالعقل الفعال وهو واقف على حقائق الأشياء، ويدرك المعقولات من المادة يحاكيها، الراقية والشريفة كما يراها دون حجاب أوفاصل[9].

فالمعرفة لا تكون بالإحساس وحده؛ لأن الإحساس لا يدرك المعاني المجردة، بل يمزجها باللواحق الحسية والعلائق المادية من كم وكيف، فالحس لا يدرك الكليات بل يدرك الجزئيات، وكما أنه ليس من شأن المعقول من حيث هو معقول أن يحس.

أما الخيال فإنه يبرئ الصور المتنوعة من المادة تبرئة أشد، ولكنه لا يجردها من لواحق المادة تجريداً تماماً.

وأما الوهم فإنه يجاوز هذه الرتبة في التجريد، ولكنه مع ذلك لا يجرد الصورة من لواحق المادة تجريداً تاماً؛ لأنه يأخذها جزئية، ويحسب مادة، وبالمقياس المادة، وقد يأخذها بمشاركة الخيال[10].

الخاتمة

مما سبق رأينا مكانة المعرفة عند المفكرين المسلمين، ومدى اهتمامهم بالعلم والمعرفة إلى الحد الذي لا نكاد نجد مفكر إسلامياً إلا وتحدث عن نظرية المعرفة باعتبارها الأساس لنيل كل المعارف والحقائق.

إن ما قدمه الفلاسفة المسلمون لا يمكن نكرانه في محاولتهم كيفية الحصول على المعرفة وتوصلهم إلى أن المعرفة منها الفطري الذي يولد مع الإنسان ومنها المكتسب الذي يكتسبه الإنسان من خلال التدريب والممارسة.

وأيضاً ما توصلوا إليه من مصادر معرفية منها ما هو عقلي عن طريق العقل ومن ما هو حسي عن طريق الحس وغيره مما تناوله الفلاسفة المسلمون عن المعرفة ومحاولة الوصول إليها وإلى مصادرها، فنجد الكندي ركز على العقل

وجعله أساس المعرفة، فكذلك الفارابي الذي منح الأولوية للعقل على النقل،مضافاً إليهما حيث قال بتدرج العقول، أما الكندي فإنه يرى المعرفة بنوعيها اضطرارية وإرادية،وهي شيء طبيعي في الإنسان، وعلى ذلك يدعو الكندي إلى التسامي على العصبية والشهوانية والتأكيد على النظر والتأمل في الحقائق.

والملاحظ تأثير الفكر اليونان في الفكر الإسلامي وكذلك تأثر الفلاسفة ببعضهم البعض تأثر الفارابي بالكندي، حيث نجد مسألة الاتصال عند الفارابي كمصدر وشروط للمعرفة، يمكن أن تعبر عن المعرفة الصوفية أو عن الإنجاب الصوفي العقلي عندهما.

وكما جمع الفارابي بين كل من المعرفة الإشراقية التي تفيض مع العقل الفعال.

رغم هذه التأثيرات التي تم ملاحظتها خلال هذا البحث على الفكر الإسلامي والآراء التي قيلت ضدهم سواء أكانت من المستشرقين أو العرب، إلا أن هذا الفكر والتراث لا يخلو من الإبداع والأصالة والابتكار في مذهبهم.

وليس عيباً أو نقداً أن يتأثر الفكر بما قبله؛ لأنه من البديهي أن كل فكر يؤثر ويتأثر أي كل حضارة تؤثر فيما بعد وتتأثر بما قبلها وكل عالم أو باحث يجعل ما قبله نقطة انطلاق له أي يجعلها مقدمة ينطلق من خلالها وهذا مفعله الفلاسفة المسلمون.

إن المعرفة احتلت مكاناً لا بأس به في الفكر الإسلامي وبلغت درجة متقدمة من الرقي والازدهار منذ أن انبلج نور الإسلام حتى وقتنا الحاضر فالمعرفة تعبر عن العلاقة الذهنية التي تتكون لدى الإنسان بين عقله والموضوع الخارجي،كما هي بين إدراكنا والأشياء التي ندركها.

كانت نظرية المعرفة محور دراسة كثير من العلماء والفلاسفة، ومن بينهم الفلاسفة المسلمون وقد أخذت مكاناً مرموقاً في فلسفتهم عامة، فنجد مثلاً المدرسة السلفية والتي من بينها ابن تيمية الذي أقر بإمكانية المعرفة واعتمد فيها على

التجريب، وكذلك مكانة المعرفة لدى الأشاعرة والإمام فخر الدين الرازي الذي يقر بإمكانية هذه المعارف.

ونجد نظرية المعرفة الكندية والفارابية أحدى محاور الدراسة المعرفية المبتكرة التي حاولت أن توضح لنا هذه النظرية وتضيف لها الجديد وهي محور دراستنا في هذا البحث.

الهوامش

[1] د. محمد محمد الحاج الكمالي: محاضرات في فلسفة الإسلامية، (مؤسسة الفاو للنشر: صنعاء، 1993)، ص59-61.

[2] د. محمد محمد الحاج الكمالي،مرجع سبق ذكره، ص59-61.

[3] د. سامي نصر: نماذج من الفلاسفة الإسلاميين، (مكتبة سعيد رأفت: القاهرة، 1977)، ص85-86.

[4] د. سامي نصر: نماذج من الفلاسفة الإسلاميين، مرجع سبق ذكره، ص150.

[5] د. رمزي النجار: الفلسفة العربية عبر التاريخ، ط2، (دار الأفاق الجديدة: بيروت، 1979)، ص61.

[6] د.ت.ج- دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: د. محمد عبدالهادي أبوريدة، ط5، (دار النهضة العربية: بيروت، 1981)، ص216.

[7] د. رمزي النجار: الفلسفة العربية عبر التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص94.

[8].د. جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية، (دار الكتاب اللبناني: بيروت، 1970)، ص258.

[9]د. يحيى هويدي: علم الكلام والفلسفة الإسلامية (دار النهضة المصرية: القاهرة، 1973).

[10] د. جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية، مرجع سبق ذكره، ص259.

النفس الإنسانية ودورها في الفعل الأخلاقي عند توما الإكويني

د. سمية الطيب الطاهر عمران
كلية الآداب الزاوية– جامعة الزاوية

مقدمة:

تحتل فلسفة الأخلاق مكانة مهمة في الفكر الفلسفي والديني، فالأخلاق تهتم بدراسة السلوك الإنساني لتحديد الطريق الأمثل الذي ينبغي أن يتخذه الإنسان منهجاً له حتى يحيى حياة سعيدة في الدنيا والآخرة.

ولا شك أن الأخلاق بطبيعتها أقرب الموضوعات إلى الدين بل هي جزء من التكاليف الدينية. إن القيم والفضائل الأخلاقية وإن كانت تأمر بها التعاليم الدينية – سواء أكانت وضعية أم سماوية – إلا أنها دائماً ما تعبر عن الحضارة التي يعيشها الإنسان.

وإذا كان الفلاسفة المسلمون قد أدركوا أهمية علم الأخلاق، فقدموا دراسات ذات قيمة حاولوا فيها المزج بين التراث اليوناني والإسلامي كتعبير عن أصالتهم الإسلامية، فمن هنا برزت لي أهداف هذه الدراسة والتي تبلورت في عدة تساؤلات هي:

هل استطاع مفكرو المسيحية أن يقدموا لنا مذاهب أخلاقية تعبر عن روح العقيدة المسيحية؟ وهل النفس الإنسانية تلعب دوراً في الفعل الأخلاقي؟

هذا ما حاولت أن أجيب عنه من خلال دراسة النفس الإنسانية عند القديس توما الإكويني(*)، كنموذج لأنضج مراحل الفكر المسيحي في العصر الوسيط، إضافة إلى أنه لم يتطرق الباحثون إلى هذه الجوانب الأخلاقية في النفس عند القديس توما الإكويني بشيء من التفصيل.

كما أن ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو مدى شعوري بقيمته وأهميته في التأكيد على دور النفس الإنسانية في الفعل الأخلاقي، ولقد انتهجت في هذا البحث المنهج التحليلي المقارن ، وذلك بتحليل نصوص القديس توما، وعقد المقارنات بين

آرائه وآراء مفكري اليونان والمسحية والإسلام، بالقدر الذي يسمح بـه موضـوع الدراسة.

لقد اهتم القديس توما كمفكر صاحب عقيدة دينية بالإنسـان وبأفعالـه ، فـأبرز مكانة الإنسان بين المخلوقات وكيف أنعم الله عليه بنعمة العقل والفكر ليعلـو علـى سائر المخلوقات.

وبهذا التمييز أصبح الإنسان مسؤولاً، فصدرت أفعاله عن إلزام يقتضي مسئولية ويستوجب الجزاء، وهذه هي شروط الفعل الأخلاقي، ولهذا ينقسـم البحـث علـى أربعة محاور، المحور الأول: تعريف الـنفس، والمحـور الثـاني: قـوى الـنفس الإنسانية، المحور الثالث: علاقة النفس وصلتها بالأخلاق، أمـا المحـور الرابـع: موقف توما من قضية العقل الفعال، وتأتي بعد ذلك الخاتمة لتحاول أن توضح مدى إسهامات وإضافات القديس توما كمفكر مسيحي ومحاولة الإجابة عـن التسـاؤلات التي طرحتاها في المقدمة.

النفس الإنسانية ودورها في الفعل الأخلاقي:

اهتم القديس توما الإكويني بدراسة النفس الإنسانية من كافة جوانبها وأبعادهـا، ولن يتسع المقام هنا لدراسة النفس من حيث إثبات وجودها وخلودها بشـيء مـن التفصيل ، وإنما نكتفي ببيان الجوانب التي توضح علاقتها بالأخلاق.

المحور الأول: تعريف النفس:

يعرف القديس توما النفس بأنها "المبدأ الأول للحياة؛ لأننا نقول حي لما له نفـس وأخص مظهر للحياة فعلان الإدراك والحركة، فإذاً النفس التي هـي مبـدأ للحيـاة الأولى ليست جسماً بل فعلاً لجسم"[1].

ويضيف توما إلى هذا التعريف توضيحاً آخر يطابق فيه بـين المبـدأ العقلـي والنفس الإنسانية من حيث هو أخص خصائصها، يقول توما: "إن ما هو مبدأ للفعل العقلي وهو ما نسميه بالنفس الإنسانية هو مبدأ مجرد قائم بنفسه، فإذا المبدأ العقلـي الذي يسمى عقلاً له فعل بذاته إذ ليس يفعل إلا الموجود بالفعل"[2].

لاحظنا في التعريف السابق للنفس أن القديس توما يتفق مع أرسطو(**) في أن النفس هي صورة للجسم وأنها هي التي تجعل الجسم إنسان، وهي مبدأ كل الوظائف والإحساس[3]. بعبارة أخرى إن النفس هي الصورة الجوهرية للإنسان، وتقوم هذه الصورة على الإدراك العقلي، لكن هل معنى ذلك أن الإنسان صورة فقط ؟ أم مادة "جسم فقط" أم كليهما معاً؟

إن الإنسان عند القديس توما هو النفس والجسد معاً، ولكن هذا الاتحاد لا يصل إلى حد الاختلاط، فقد قرر في التعريف السابق أنها "مبدأ مجرد قائم بنفسه"[4] ولا يعني ذلك أيضاً إن ماهية الإنسان الحقيقية تتمثل في النفس كمبدأ مستقل خارجياً، كما ذهب أفلاطون، فهذا ما يرفضه توما. إن ماهية الإنسان عنده تتحقق في المركب من النفس والجسم أي أن اتحاد النفس بالبدن هو اتحاد الصورة جوهري، فالنفس هي التي تعطي للكائن الإنساني الوجود الذي يتمتع به؛ لأنها صورته الجوهرية، والصورة هي الفعل والكمال، وهو يقصد بالنفس هنا النفس العاقلة التي تميز الإنسان بطبيعة عملها عن غيره يقول توما: "إن طبيعة كل شيء تظهر من فعله والعقل الخاص بالإنسان بما هو إنسان هو التعقل، فإنه به يفضل جميع الحيوانات الأخرى. فإذا يجب أن يستفيد الإنسان نوعه من مبدأ هذا الفعل، وكل شيء فإنما يستفيد نوعه من صورته فيلزم إذن أن يكون المبدأ العقلي صورة الإنسان الخاصة"[5].

ويتضح مما سبق مدى تأثر توما بآراء أرسطو في النفس والتي كان هدفه فيها الدفاع عن وحدة الإنسان، ولكنه كان في نفس الوقت ينكر جوهرية النفس، ومن ثم ينكر خلودها طالما أن هذا التعريف الأرسطي والذي سار معه توما يعني أن يظل الإنسان موجوداً طالما استمرت وحدة النفس والبدن، أما إذا انفصلت هذه الوحدة فإن جوهر الإنسان يختفي ويتلاشى.

ويبدو أن القديس كان مدركاً لما يترتب على انسياقه وراء أرسطو في أن النفس صورة جوهرية للبدن، أي أن علاقتها به أساسية، مما يجيز القول إنه إذا فسد

الإنسان فسدت النفس التي هي صورته الجوهرية[6]، ولهذا حاول القديس توما أن يميز بين طبيعة النفس– أي عندما يكون في حالة صورة جوهرية أي مرتبطة بالبدن– وبين حقيقة النفس في ذاتها، فهي صورة مطلقة لا هيولي مادية ولا هيولي روحانية قادرة على البقاء بدون البدن خالداً، يقول توما: "فمن حيث حقيقة النفس الإنسانية بالخصوص من حيث هي عاقلة . هي صورة مطلقة لا شيء مركب من هيولي وصورة"[7]، وكأننا هنا أمام نظرة مزدوجة[8]، قد تبدو متناقضة للنفس، فالنفس هي صورة الجسم، وهو في هذا يتفق مع أرسطو، ولكن يرى من جهة أخرى أن النفس جوهر عاقل قائم بذاته خالد، وهو ما ذهب إليه أفلاطون ولهذا أتفق مع الدكتورة زينب الخضيرى في تقييمها لموقف القديس توما عندما قالت: "إن توما كان يستكمل الأرسطية باستعارات من الأفلاطونية، فإن الحرص الدائم على عدم المساس بالعقيدة المسيحية هو الذي جعل القديس توما يلجأ إلى التلفيق في نظرية النفس حتى يضمن للنفس الفردية الخلود وهو ما يعد ركنا هاماً من العقيدة المسيحية ، بل من أي عقيدة منزلة"[9].

نعم إن الدافع الأكيد لهذا التوفيق عند القديس توما هو حرصه الديني للدفاع عن فكرة الخلود الفردي للنفس الإنسانية، ولهذا يقول توما: "إن النفوس البشرية قد أوتيت من الجودة الإلهية كونها عقلية وذات حياة جوهرية غير فانية"[10].

وكان طبيعياً من القديس توما كفيلسوف مسيحي أن يؤكد على أن – وهذا هو في رأيي أساس المشكلة والتي لم يستطع أرسطو أن يدركها أو يتناولها بالدراسة– النفس ليست من جوهر الله بل من خلقه، وذلك لأن النفس الناطقة صورة قائمة بنفسها يقول توما: "فإذا يقال عليها الوجود والصنع حقيقيةً ولأنها لا يمكن أن تُصنَع من مادةٍ سابقة لا جسمانية وإلا لكانت ذات طبيعة جسمية ولا روحانية وإلا لاستحال كل من الجواهر الروحانية إلى الآخر تعيَّن القول بأنها لا تصنَع إلا بالخالق"[11]ن تتمثل في كون الله فضل الإنسان ووهبه نفساً عقلية[12].

المحور الثاني: قوى النفس الإنسانية:

وقد تابع القديس توما الإكويني تقسيم أفلاطون وأرسطو للنفس إلى الغادية والحاسة والعاقلة، ثم تناول بالدراسة والتحليل قوى النفس الناطقة من حواس ظاهرة "الحواس الخمس" والباطنة "كالحس المشترك والواهمة والمخيلة والحافظة"[13].

ولكن على الرغم من تعدد قوى النفس يؤكد توما ويدافع عن وحدة النفس، فهو يثبت أن للإنسان نفساً واحدة محيية للبدن باتصالها به، ومدبرة لذاتها بعقلها، فالنفس هي التي تحوي البدن وتوحده، ولهذا انتقد توما أفلاطون – متفقاً مع أرسطو– الذي قال بنفوس مختلفة لكل منها آلة مخصوصة فجعل محل القوة الغاذية الكبد والشهوية القلب ومحل القوة المدركة الدماغ ولهذا يقول القديس توما: "فإذا يجب أن يقال أن النفس الحاستة والعاقلة الغاذية واحد بالعدد في الإنسان . ليس سقراط إنساناً بنفس وحيواناً بنفس أخرى بل هو إنساناً وحيوان بنفس واحدة بعينها"[14].

وبالانتقال للحديث عن القوى العاقلة وصلتها بالأخلاق موضوع البحث فالعقل هو ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات وهو قبس إلهي وضعه الله في الإنسان ليكون لديه القدرة على الترقي والوصول به إلى أعلى درجات الرقي الأخلاقي والروحاني.

وقد اتفق القديس توما مع أرسطو في تقسيمه للعقل إلى العقل النظري والعملي وهما ليسا قوتين متغايرتين بل إن العقل النظري يصير بالامتداد عملياً يقول القديس توما: "فالعقل النظري يختص بملاحظة الحق والخير، أما العقل العملي فهو الذي يوجه ما يدركه إلى العمل أى أن يوجه الحق المدرك نحو العمل"[15].

فكان توما كما أراد أن يقول إن العقل معيار للتمييز بين الخير والشر، بل ويؤكد توما على أن العقل العملي تؤيده ملكة طبيعية هي الذوق العقلي من حيث أنها تأمر بالخير وتنفر من الشر.

وبذلك أصبح الإنسان بنشاطه العقلي المزدوج النظري والعملي قادراً على التمييز بين الحق والباطل بين الخير والشر، وبذلك يقرر مصيره ويتحمل مسئولية قراره، بمعنى آخر أصبح كائناً أخلاقياً[16].

المحور الثالث: علاقة النفس بالبدن وصلتها بالأخلاق:

يتفق القديس توما مع أرسطو في إن قوى النفس التي تعمل بآلات جسمانية، كالإبصار بالعين والسماع بالأذن، وكذلك أفعال القوة الغاذية والحاسة فهذه الأفعال محلها الإنسان المركب من مادة "جسم" ونفس، ولذلك فإن هذه الأفعال "متى زال المحل زال الغرض بالضرورة أي تفنى بفناء الجسد"[17].

إن جميع قوى النفس تفسد بعد مفارقتها البدن؛ لأنها لا تعمل إلا بآلة جسمية ماعدا العقل يعمل دون آلة جسمانية، ولذا فهو يبقى ضرورة في النفس بعد موت البدن وهذا هو أحد أدلة توما على خلود النفس مع تأكيده بأن جميع القوى النفسانية سواء كان محلها النفس فقط أو المركب صادرة عن ماهية النفس على أنها مبدأ لها، وطالما أن النفس العاقلة هي جزء من الإنسان من حيث يجد من نفسه أن يعقل ويشعر، والشعور لا يكون من دون البدن فيسلم القديس توما متفقاً مع أرسطو بضرورة أتصال العقل بالبدن بنوع من الاتصال[18]. هذا الاتصال هو كالصورة بهويتها أي أن النفس تتصل بالبدن من دون توسط جسم ما بل كالصورة[19]، ولكنها تدبر الجسم وتحركه بقوتها وقدرتها . وطالما أن النفس متصلة بالبدن كالصورة وجب بالضرورة أن تكون فى البدن كله وفى كل جزء منه، إذ ليست صورة عرضية له بل جوهرية ، والصورة الجوهرية ليست كمالاً الكل فقط بل الكل جزء منه أيضاً[20].

وتأكيداً لما سبق حول العلاقة بين النفس والبدن ومتابعة لرأي أرسطو، أكد القديس توما على تأثير حالة البدن المزاجية والانفعالية على البدن وانعكاس ذلك كله على الفعل الأخلاقي يقول توماً: "فوجب أن تتصل النفس العاقلة بجسم صالح لأن كون آلة موافقة للشعور. لذا كلما كانت آلة للمس أعدل مزاجاً كان اللمس أشد

إدراكاً.فوجب من ثمة أن يكون الجسم المتصلة به النفس العاقلة مزاجياً أعدل من جميع ما سواه، ولهذا كان الإنسان أكمل لمساً من سائر الحيوانات، ولأكمل لمساً في الناس أكمل عقلاً بدليل أننا نجد من كان أنعم بدناً أذكى عقلاً"[21].

معنى ذلك أنه كلما كان البدن في حالة اعتدال واتزان كان فعله أخلاقياً طالما أن النفس هي صورة البدن.

وقد قام القديس توما الأكويني بدراسة وافية لأثر الانفعالات على النفس البشرية والأفعال الإنسانية، فقد عدّ الانفعالات حسنة متى كانت معتدلة بالعقل، وقبيحة متى خرجت عن اعتدال العقل.

ولما كان كمال صلاح الإنسان يقتضي أن تكون الانفعالات النفسانية جارية على ترتيب العقل أي أن تكون معتدلة، فيجب أيضاً أن ينقاد الشوق الحسي للعقل، إن صلاح إرادة الإنسان لا تتحرك إلى الصلاح بالإرادة فقط بل الشوق الحسي، حيث أطلق القلب على الشوق العقلي والجسم على الشوق الحسي.

ولا شك أن اهتمام القديس توما الأكويني بأثر الانفعالات على الفعل الأخلاقي دليل على وعيه وتعمقه في دراسة النفس الإنسانية من كافة جوانبها.

المحور الرابع: موقف توما من قضية العقل الفعال:

بقي لنا أن نتاول قضية أخرى مهمة وهي موقف القديس توما من قضية العقل الفعال، وهي قضية إثارت الكثير من المشاكل نظراً لغموضها وارتباطها بفكرة الخلود الفردى الدينية، وقضية الثواب والعقاب.

وربما يعود غموض هذه الفكرة إلى أرسطو[22] حين أثارها فاختلف المفسرون في شرحها، فقد فسر بعض الباحثين من أمثال (روس) في كتابه "أرسطو" إلى أن العقل الفعال عند أرسطو على الرغم من وجوده في النفس الفردية، فإنه يتجاوز الفرد بل ويمكننا افتراض أنه يعتبر واحداً بالنسبة لكل الأفراد[23].

وكذلك كوبكيستون في كتابه "الفلسفة الوسيطة" أن للمذهب الأرسطى كما فسره ابن رشد يعني أن الخلود يختص به فقط العقل الفعال، المنفصل الذي هو واحد في كل الناس[24].

وقد يكون موقف أرسطو مقبولاً لأنه لم يقل بالخلود الفردي للإنسان بل إنه لم يعالج الموضوع أساسا، أما القديس توما الأكويني كمفكر مسيحي- لأن الأديان السماوية تقول باتصال الحياة بعد الموت – كان طبيعياً أن ينكر ويرفض القول بوحدة العقل الفعال؛ لأنه يترتب على إنكار تعدد العقول ألا يتبقى شيء من النفس وبالتالي يتلاشى مفهوم الثواب والعقاب، وأيضاً المطهر والجنة بالنسبة للإنسان ويلغون فوق كل هذا العدالة والقدرة الإلهية[25].

ولقد كان رفض القديس توما واضحاً لفكرة وحدة العقل الفعال يقول: "إنه يستحيل قطعاً أن يكون لجميع الناس عقل واحد؛ لأنه لو كان لسقراط وأفلاطون عقل واحد فقط للزم كونهما إنسانا واحداً وأنها لا يتمايزان إلا بما هو خارج عن ماهيته كليهما.

وهذا مستحيل قطعاً. لأن يكون لكثير لمختلفين عدداً صورة واحدة كاستحالة أن يكون لهم وجود واحد إذ الصورة هي مبدأ الوجود .. فلو كان لجميع الناس عقل واحد لما جاز أن يؤثر اختلاف الخيالات في هذا، أو ذاك اختلافاً في الفعل العقلي عند هذا الإنسان أو ذاك، فإذا يستحيل قطعاً أن يجعل لجميع الناس عقلاً واحد"[26].

و هذا يعني أن توما يرفض فكرة وحدة العقل الفعال ويرى أن العقل الفعال داخل كل نفس فردية، أي أنه يتعدد وبتعدد هذه النفوس وهو ما فهمه كوبليستون وعبر عنه بقوله: "لقد رفض توماً مذهب وحدة العقل الفعال؛ لأنه يسلم أن الحياة العقلية للإنسان تختلف من إنسان لآخر بقدر ما يختلف إحساس إنسان عن إنسان فلكل إنسان عقله الفاعل، لأنه يسلم أن الحياة العقلية للإنسان تختلف من إنسان لآخر بقدر ما يختلف إحساس إنسان عن إنسان، فلكل إنسان عقله الفاعل وأن الخلود هو خلود شخص"[27].

لكن يبدو أن القديس توما الإكويني قد اعتاد محاولة التوفيق والتلفيق بين الفلسفة اليونانية والمسيحية في محاولة للجمع بينهما، فنراه يقول: "لابد أن يكون فوق النفس العاقلة الإنسانية عقل أعلى تستمد منه النفس قوى التعقل . فالنفس الإنسانية إنما يقال لها عاقلة بمشاركتها قوة عقلية .. ولأن ما تفعله يخرج فيه من القوة إلى الفعل فلا بد إذن من عقل أعلى تستعين به على التعقل ..تقوى بها على الإشراق على الصور الخيالية؛ وهذا نعلمه بالتجربة في أدراكنا أن نجرد الصور الكلية عن العلائق الطبيعة، فإن هذا هو إخراج المعقولات إلى الفعل . وقد شبه أرسطو العقل الفعال بالنور الذي هو شيء حال في الهواء، أما أفلاطون فقد شبه العقل المفارق المؤثر فينا بالشمس، على أن العقل المفارق بحسب تعليم ديننا هو الله الذي هو مبدع النفس وبه وحدة تقوم سعادتها، فإذا منه تستمد النفس الإنسانة النور العقلي"[28].

في هذا النص حاول توما أن يوفق بين فكرة أرسطو عن العقل الفعال وفكرة أفلاطون التي تتقارب مع المسيحية، فهو يرى أن العقل الفعال هو الجزء العاقل الذي يظل باقياً بعد فناء الجوهر الإنساني، إذ تنفصل عنه ليصبح مستقلاً ومختلفاً عما كان عليه عندما كان داخلاً في تكوين الجوهر الإنساني الفردي، إذن العقل الفعال هو جزء من العقل الفردي وهو أيضاً جزء من نفس كلية خالدة وأزلية،وهو يشبه هذا العقل "الأزلي" بأنه كالشمس التي تفيض إشعاعاتها على النفوس الفردية بحيث يكون هناك إشعاعات بقدر ما يكون هناك أفراد مع أن المصدر يظل واحداً.

وقد حاول توما أن يؤكد هذا التوفيق بالتعبير عن أصالته كمفكر مسيحي، فيؤكد أن هذا العقل المفارق بحسب تعليم ديننا هو الله مبدع النفس وحده الذي منه وحده تستمد النفس الإنسانية النوع العقلي.

الخاتمة

في الختام نستطيع أن نستخلص بعض النتائج التي أسفر عنها البحث:

استطاع القديس توما الإكويني أن يقدم نظرية في النفس وفق فيها بين النظرة اليونانية والعقيدة المسيحية.

فقد اتفق القديس توما الإكويني مع أرسطو في أن النفس صورة للبدن بمعنى أنها وجدت لتحيي البدن، ولذا فإن اتحادها بالبدن ليس أمراً عارضاً بل هو اتحاد جوهري عنه ينشأ كائن فرد هو الإنسان، فلا وجود له ولا حياة إلا بهذا الاتحاد، ومع ذلك فإن النفس الإنسانية لا تتلاشى بفناء البدن بل هي أزلية، أي من حيث هي جوهر قائم بذاته . تعود إليها عند البعث ليكتمل نعيمها به أو شقائها.

- ثم يؤكد توما كفيلسوف مسيحي على أن النفس من خلق الله بل هي صورة الله في الإنسان بما وهبه النفس العاقلة.
- اتفق القديس توما مع التقسيم الأفلاطوني والأرسطي لقوى النفس الثلاث واعتبر أعلاها العقل بقسمية النظري العملي ، وبذلك أصبح الإنسان بتلك الهبة الإلهية "العقل" وقسميه النظري والعملي كائن يعلو على كل المخلوقات، وأصبح لديه القدرة على التمييز بين الحق والباطل بين الخير والشر، أي كائن أخلاقي يستطيع أن يقرر مصيره ويتحمل مسئولية قراره واختياره.
- لم يغفل توما مدى تأثير الانفعالات على العقل والبدن الذي ينعكس بدوره على الفعل الأخلاقي، فقد أدرك أنه كلما كان البدن في حالة اعتدال واتزان كان فعله أخلاقياً طالما أن النفس هي صورة البدن.
- أما قضية العقل الفعال فقد أنكر توما وحدة العقل الفعال دفاعاً عن فكرة الخلود الشخصي التي تدافع عنها كل الأديان السماوية تحقيقا للعدل الإلهي في الثواب والعقاب، ولكن كمحاولة منه للتوفيق بين ما قاله أرسطو وما تتطلبه عقيدته الدينية رأيناه يذهب إلى أن العقل الفعال خاصة من خواص العقل البشري بما هو قادر على الإدراك، فتنقله من الإدراك بالقوة إلى الفعل.

- أما في نطاق الدين فقد جعل هذا العقل الفعال هو إشراق نـــور الله علـــى قـــوى العقل البشري – مدركة أم متخيلة – بفعل قدرة إلهية تفوق قدرة العقل البشـــري فهي هبة إلهية يخص بها من يشاء.
- وبهذا حاول توما أن يجمع بين الفكرة الأرسطية عن العقـــل الفعـــال والفكـــرة الدينية القائمة على إنكار وحدة العقل الفعال وتفسيرها بأنها إشراق إلهي.

الهوامش

(*) توما الإكويني(1225–1274)من فلاسفة أوروبا في العصور الوسطى ،ولد في دوكاسيكا من بالقرب من أكوينو على الحدود الشمالية لمملكة صقلية القديمة . وينتمي لأسرة نبيلة، درس على يد ألبرت الأكبر بكولونيا وباريس ، حيث تخرج وحاضر بوصفه أستاذاً، ثم عين فيها مستشاراً للبلاط البابوي .وأعلن قديساً عام 1323–توفي فوسانوفا.انظر موسوعة الفلاسفة :فيصل عباس ،بيروت ،ط2، دار الفكر العربي،1996،ص75.

(1) توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، م2، ترجمة الخوري بولس، بيروت، 1887، ص251.

(2) المرجع السابق، ص253.

(**) يعرف أرسطو النفس بأنها "جوهر بمعنى أنها صورة جسم طبعي ذي حياة بالقوة هذا الجوهر كمال أول . لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة ،أنظر أرسطو كتاب النفس نقله إلى العربية أحمد فؤاد الأهوانيأ وراجعه على اليونانية الأب جورج قنواتي، عيسى الحلبي ،ط2، 1962، ص43.

(3) توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، م2، ص370.

(4) المرجع السابق، ص253.

(5) المرجع السابق، ص270.

(6) ولقد استدل اثناجوراس "وهو من أكبر المدافعين عن المسيحية في القرن الثاني عشر، وكان أفلاطون أقرب الفلاسفة إلى نفسه" عن تركيب الإنسان على البعث بالجسد والروح، وهو ما ذهب إليه توما ،فبعد أن بين أن قيامه الأجسام البشرية التي فرقها الموت ليست عملاً مستحيلاً على الله، وملخص استدلاله يقوم على أن الله خلق البشر وجعل غاية الإنسان متحدة مع غاية النفس البشرية، للمزيد

من الاطلاع انظر أتين جلسون: روح الفلسفة في العصر الوسيط، ترجمة إمـــام عبد الفتاح إمام،ط2، دار الثقافة، 1984، ص249، 250.

(7) توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية ، م2، ص259.

(8) نلاحظ أن تعريف النفس بأنها صورة للبدن وفي النفس الوقت جوهر عاقل قائم بذاته قد تأثر به ابن سينا وابن رشد الذي تأثر به إلى حد كبير البرت الأكبر استاذ توما الإكويني ، أما ابن رشد فالنفس عنده جوهر قائم بذاته من حيـــث هي نفس النوع البشري بأكمله، وليس من حيث هي نفس فرديته الأمر الذي رفضه القديس توما.

(9) زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصـــور الوســـطى، بيـــروت، دار التنوير، 1985، ص368.

(10) توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، م2، ص262.

(11) المرجع السابق، ص479.

(12) المرجع السابق، ص505.

(13) المرجع السابق، ص326.

(14) المرجع السابق، ص282.

(15) المرجع السابق، ص353.

(16) اتين جلسون: روح الفلسفة في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمـــام، دار الثقافة، 1974، ص260.

(17) توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، م2، ص207.

(18) يقول أرسطو فى كتابه "النفس" يبدو أن النفس في معظم الحالات لا تفعـــل ولا تنفعل بغير البدن مثل الغضب والشجاعة والشهوة وعلى وجـــه العمـــوم الإحساس وإذا كان هناك فعل تختص به النفس بوجه خاص فهـــو التفكيـــر، ولكن إذا كان هذا الفعل نوعا من التخيل أو لا ينفصل عن التخيل فإن الفكـــر

لا يمكن أن يوجد كذلك بدون البدن، انظر أرسطو: النفس، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة العيسى الحلبي، 1962، ص6.

(19) وهذا هو ما ذهب إليه أرسطو أيضاً في كتاب الأخلاق حين ذهب إلى أن سعادة الإنسان القصوى في هذا العقل على أنه خاص به."فإذا يجب أن يستفيد نوعه من صورته فيلزم إذا أن يكون المبدأ العقلى صورة الإنسان الخاص هبه"انظر أرسطو: الأخلاق ، ترجمة إسحق ابن حنين، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات بالكويت ،1979.

(20) تومالإكويني: الخلاصة اللاهوتية، م2، ص270.

(21) المرجع السابق، ص265.

(22) يقول أرسطو في كتابه النفس "أما فيما يختص بالعقل فيظهر أنه يتولد فينا كأن له وجوداً جوهرياً ولا يخضع للفساد .. فالتفكير وتحصيل المعرفة يضعفان. إذن عندما يفسد عضو باطن ولكن العقل في ذاته لا ينفعل، والتفكير كالحب والبغض أحوال من حيث هي كذلك لا للعقل به لمن توجد فيه ولذلك أيضاً إذا فسد هذا الشخص لم يكن هناك تذكر أو حب، لذلك نقول إنها ليست أحوال العقل بل أحوال المركب الذي فسد، أما العقل فإنه ولا ريب أكثر ألوهية ولا ينفعل" انظر أرسطو: النفس، ص28.

) Ross d aristott–payotparis, 1930, p2.23(

(24) هذا وقد دافع محمود قاسم عن موقف ابن رشد في تأييده لمذهب وحده العقل الفعال في كتابه "نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الإكويني.انظر محمود قاسم :نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الإكوينى ،مكتبة الأنجلو ، بدون سنة نشر .

(25) زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص365.

(26) توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، م2، ص273.

(27) Fredrick – copleston –Mediaval philospophyp. 94.

(28) توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، م2، ص336.

النفايات الطبية بمستشفى الزاوية، تأثيراتها وكيفية إدارتها

(دراسة على معالجة النفايات بمستشفى الزاوية)

أ . مصطفى عاشور القاضى
كليـــة التربيـــة الزاويـــة – جامعة الزاويـــة

ملخص البحث:

تضمن هذا البحث دراسة عن مخاطر النفايات الطبية بمختلف أنواعها، والطرق السليمة للتخلص منها.

وتم تناول مستشفى الزاوية التعليمى كدراسة حالة ، حيث تم تقييم وتقدر كميات مختلف أنواع النفايات الطبية اليومية الناتجة من مختلف أقسام هذا المرفق الحيوى وذلك خلال العام 2010 م.

وقد خلصت الدراسة إلى أن كمية النفايات الطبية الناتجة عن مختلف أقسامه كميات ليست بالقليلة، وأن نسبة الأصناف الخطرة منها تشكل نسبة مهمة.

وفي المقابل وجد أن كفاءة الطرق المتبعة من قبل الأجهزة المشرفة على تجميع النفايات وتخزينها، ونقلها داخل مرافق المستشفى وللمكب النهائى تعد طرقا بدائية وغير سليمة، الأمر الدى من شأنه التسبب في زيادة المخاطر الصحية التي تهدد سلامة العاملين والمقيمين بالمستشفى، وحتى زواره والمترددين عليه.

إضافة إلى المخاطر التى تهدد البيئة والمحيط والمتمثلة فى تلوث التربة والمياه والذي من شأنه المساهمة في زيادة حدة انتشار الأمراض من ناحية، والقضاء على التنوع البيولوجى بالمناطق المحيطة بالمستشفى، وموقع المكب النهائى من ناحية اخرى.

وخلص البحث إلى مجموعة من التوصيات التى ستعود بالفائدة على الصحة العامة، وسلامة البئية والمحيط.

المقدمة:

على الرغم من التطور الهائل الذى شهده مجال الطب في بلادنا، والتوسع الكبير في قطاع الخدمات الصحية بكافة أنواعها الوقائية منها والتشخيصية والعلاجية، والتقدم الحاصل في مستوى التقنيات الحديثة المستخدمة في هذا المجال، وذلك من خلال العقود الخمس الأخيرة من القرن الماضي، والتى لا تزال مستمرةً بإيقاع ووتيرة أكبر حتى وقتنا الحاضر ، حيث كان لها الأثر الإيجابي في المحافظة على صحة الإنسان، ومقاومته للأمراض المختلفة، إلا أن هذا التطور المفيد كان له جانبه السلبي، والذي يتمثل في جعل مستشفياتنا بؤر للأمراض من ناحية، ومصدر لتلوث البيئة بمختلف الملوثات الطبية من ناحية أخري، وهو ما يؤدى إلى أخطار كارثية على الإنسان وبيئته في حال عدم التخلص منها بالطرق السليمة.

وتتنوع النفايات الطبية التى تنتجها المؤسسات الطبية بكافة تخصصاتها بشكل كبير لتشمل الإبر والحقن والقطن والشاش وبقايا العيّنات ، ومخلفات العمليات الجراحية الملوثة بسوائل ودماء المرضى، والمخلفات الصيدلانية، وأنواع شتى من المواد الكيميائية بما فى ذلك الأدوية المنتهية الصلاحية ، وفي بعض الأحيان تحتوى النفايات على مواد مشعة، وغيرها من النفايات الضارة.

والجدير بالذكر أن هذه النفايات ليس بالإمكان إعادة تصنيعها أو الاستفادة منها على الاطلاق، فكان لزاما على الجهات المناط بها التعامل مع تلك النفايات إتباع طرق خاصة في معالجتها تضمن بصورة فعالة القضاء على الجراثيم والفيروسات الخطرة، مع ضرورة مراعاة أنْ لا تسبب تلك الطرق في أية أضرارا للبيئة، أو بمعنى أخر أنه يجب مراعاة التكلفة البيئية لهذه المخلفات قبل تكلفتها الاقتصادية، وهو ما يضمن تحقيق أداء بيئي فعال، والذي سيؤدي بلا شك إلى تحقيق أداء صحي فعال ينعكس على المجتمع بأسره.

مشكلة البحث:

لقد أصبحت مشكلة النفايات الطبية " Medical waste " من أهم المشاكل البيئة في وقتنا الحاضر، وذلك لما تمثله من خطر على الإنسان وبيئته .

ويمكن تعريف النفايات بصورة عامة على أنها "المواد الملقاة أو المهملة والتي لا يمكن الاستفادة منها بصورة مباشرة"[1].

أما النفايات الطبية، فهى نوع من النفايات التى لها خصائص تجعلها تشكل خطراً يهدد صحة الإنسان والبيئة .

وهناك العديد من التعاريف للنفايات الطبيه أورد منها هنا تعريف وكالة حماية البيئة الأمريكية "USEPA" والتى عرفتها على أنها نفاية أو خليط من عدة نفايات تشكل خطراً على صحة الإنسان أو الكائنات الحية الأخرى سواء على المدى القريب أو البعيد، كونها غير قابلة للتحلل وتدوم في الطبيعة، أو إنها قد تسبب آثاراً تراكمية ضارة[2]".

أما المشرع البريطاني، فقد عرفها على أنها "مواد سامة أو ضارة بالصحة العامة أو أنها مواد ملوثة تؤدي إلى إحداث أضرار بالبيئة مما يشكل خطراً على صحة الإنسان والكائنات الحية نتيجة تلوث عناصر البيئة بهذه المواد وبخاصة مصادر المياه السطحية والجوفية[3]".

فيما عُرف المشرع الليبى المخلفات الطبية على أنها"المخلفات الصلبة أو الناشئة عن أنشطة الرعاية الصحية الطبية مثل: تشخيص المرض أو مراقبته أو معالجته أو اصلاح الإعاقة عند البشر أو الحيوانات ، بما قي ذلك البحوث ذات الصلة التى تجرى تحت إشراف طبيب أو جراح بيطرى أو أي شخص آخر مصرح له وفقا لمؤهلاته المهنية"[4].

لقد أصبح موضوع التلوث بالنفايات الطبية من الأمور التي تستأثر باهتمام كبير من قبل الهيئات المحلية والدولية المعنية بحماية البيئة، ويعود ذلك على العديد من الأسباب منها:

1 . ضخامة كميات النفايات الطبية المنتجة ، وذلك بسبب التوسع الذي شهده قطاع الخدمات الصحية.

2 . عدم وجود خطة موضوعه من قبل إدارات المرافق الصحية، أو الجهة التابعة لها للتعامل مع هكذا نوعية من النفايات.

3 . غياب الوعى بخطورة هذه النفايات لدى المتعاملين معها داخل المرافق الصحية وخارجها.

والسؤال الذي سيحاول هذا البحث الإجابة عليه يتمحور حول وجود استراتيجية للتعامل مع هذه النفايات الخطرة، وهل تعد تجربة مستشفى الزاوية التعليمى ناجحة وصحيحة في التعامل والتخلص مع هذه النوعية من النفايات أم لا؟.

منهج البحث:

لقد اتبع الباحث أسلوب الدراسة الميدانية لجمع البيانات وتحليلها، وذلك للوصول إلى نتائج والخروج ببعض التوصيات.

أولاً: أنواع النفايات الطبية:

تقسم النفايات الطبية الناتجة من مؤسسات الرعاية الصحية إلى :

1 . النفايات الخطرة:

وهى جميع النفايات التى تنتـــج من مصادر ملوثة، أو محتمل تلوثها بالعوامل المعدية (البكتيريا،الفيروسات، الطفيليات،أو الفطريات)، أو الكيماوية، أو المشعة[5].

وهذه النوعية من النفايات تشكل النسبة الأقل من إجمالى النفايات الطبية، غير إنها في ذات الوقت تشكل خطراً على الفرد والمجتمع وبالبيئة، أثناء انتاجها أو جمعها أو تداولها، او تخزينها، أو نقلها أو التخلص منها، وتشمل:

أ. نفايات معدية:

– النفايات الباثولوجية "Pathological wastes": وبقصد بها بقايا غرف مرضى الأمراض المعدية والسارية، وغرف العمليات الجراحية[6].

وهى مخلفات في غاية الخطورة وتشمل:

- نفايات العمليات وتشريح الجثث (مثل: الأعضاء البشرية المستأصلة والدم أو سوائل الجسم الأخرى).
- نفايات المرضى المعزولين بأقسام الأمراض السارية مثل: (إفرازات الجسم، وضمادات الجروح، والملابس الملطخة بالدم أو غيرها من سوائل الجسم الأخرى).
- بقايا المختبرات من أوساط زراعية (*Culture* medium)، وسوائل التحليل، وبقايا العيّنات التي تستخدم في التحاليل، إضافة إلى نتائج التفاعلات الكيميائية التي تلقى بعد معرفة نتائج التحاليل.

إضافة إلى أنها تشمل الأدوات الحادة كالإبر والمشارط التى استعملت أثناء العمليات، وملابس المرضى التي عادة ما يتم ارتداؤها في غرف العمليات، وقفازات الأطباء والممرضين التي تم استخدامها، والقساطر، وغيرها من النفايات الملوثة التي تشكل مصدراً للعدوى في حالة تعرض الإنسان العادي إليها بشكل أو بآخر الأمر الذي يستوجب التعامل معها بحرص شديد.

ب . نفايات مشعة "Radioactive waste": وهى المواد والسوائل الكيماوية الخطرة التى عادة ما تستخدم في مجال الطب لأغراض التشخيص، وعلاج الأمراض والأبحاث.

وتنتج النفايات الملوثة اشعاعيا من غرف الأشعة، والمختبرات المتخصصة، والمحاليل المشعة المستخدمة في التحاليل الطبية، وكذلك بول وإفرازات المرضى الذين تعرضوا لجرعات مشعة، أو أولئك الذين أجريت لهم اختبارات تشخيصية باستخدام هذه المواد.

وخطورة هذه المواد تعتمد بالأساس على فترة نصف العمر، فقد تكون ذات نصف العمر الطويل مثل عناصر الكوبالت والراديوم، والتى تستخدم في علاج السرطان، وتكون بالتالى ذات خطورة بالغة على صحة الإنسان، وعلى البيئة المحيطة به.

ولذلك فيجب أن تحفظ هذه المواد الخطرة في مكان معتم حتى انتهاء فعاليتها الإشعاعية، أو لحين التأكد من وصول اشعاعتها إلى المستويات المسموح بها قانونيا ثم يتم حرقها بالمحرقة بعد ذلك.

جـ .المخلفات الدوائية "Pharmaceutical waste": وتشمل المستحضرات الدوائية المنتهية الصلاحية، والمنسكبة، والأدوية واللقاحات، والأمصال التى لم تعد هناك من حاجة إليها، ويتطلب الأمر التخلص منها.

إضافة الى القنانى والأوعية، والصناديق المحتوية على بقايا المواد الدوائية، انظر الشكل1.

الشكل (1) يبين بعض من أصناف النفايات الطبية

المصدر: من تصوير الباحث.

- **النفايات الخطرة الغير معدية:**

وتشمل الكيماويات بمختلف أنواعها السائلة منها، والصلبة، والغازية المستخدمه في عمليات التشخيص والتجارب، وكذلك تلك المستخدمة في عمليات التنظيف والتطهير، مثل: (الفرمالدهايد، ومحاليل التثبيت، والاظهار المستخدمه في أقسام

الأشعة، والكواشف "Reagents" والمذيبات "Solvents" العضوية، وغير العضوية، والبطاريات، والمحاليل المحتوية على معادن ثقيلة).

2 . نفايات غير خطرة " Ordinary wastes":

ويقصد بها النفايات التي لا تشكل أية خطورة على الصحة العامة ، وهى تشكل الجزء الأكبر من النفايات" 85 % [7]، ولعدم خطورتها تعامل هذه النفايات معاملة النفايات البلدية.

وتشمل جميع نفايات المطابخ باستثناء بقايا طعام المرضى المصابون بأمراض معديه، ونفايات سكن واستراحة الاطباء والممرضات، وعلب الزجاج واللدائن الفارغة التى لم تكن تحتوى على مواد خطرة، وبقايا الأقمشة التى ترمى بعد الاستعمال باستثناء الملوثة بدم أو براز أو أية نوع من أنواع الإفرازات ، انظر الشكل2.

شكل (2) يوضح نسب النفايات الطبية بشكل عام

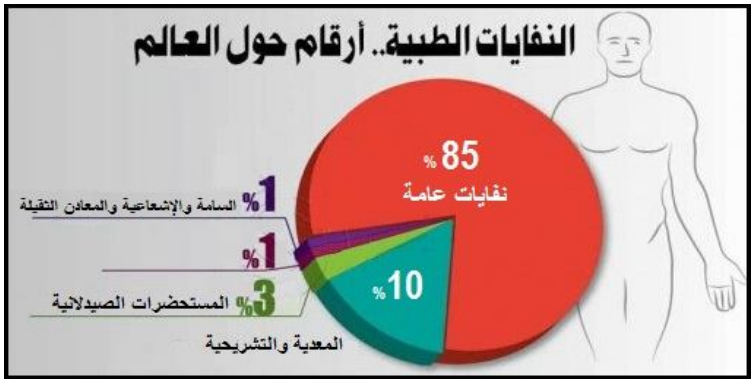

المصدر: تهانى البقمى، النفايات الطبية بالمملكة السعودية، تاريخ النشر2013/5/29م،تاريخ الاطلاع عليه 28 / 8 / 2016م، http://www.alsharq.net.sa/2013/05/29/850981 .

ثانياً: مصادر النفايات الطبية:

تتنوع مصادر النفايات الطبية بشكل عام سواء أكانت خطرة أو غير خطرة، ويمكن تصنيف هذه المصادر إجمالاً إلى نوعين أساسيين، وذلك علي حسب الكميات التي تنتجها كل منها، وهى:

أ . المصادر الرئيسية، وتشمل:

- المستشفيات والمستوصفات، ومراكز الرعاية الصحية الأولية .
- المراكز والعيادات التخصصية العامة والخاصة .
- مصارف الدم .
- مختبرات التحاليل الطبية.
- المؤسسات والمراكز البحثية.
- مراكز أبحاث طب الحيوان، والمعامل البيطرية.

ب : المصادر الثانوية:

وتتمثل فيما يلى:

- عيادات أطباء الأسنان.
- مراكز تأهيل المعاقين ودور العجزة.
- عيادات الطب النفسي.
- مراكز التجميل.
- الصيدليات المنزلية.

ثالثاً: أخطار النفايات الطبية على الإنسان والبيئة:

أ : على الإنسان:

1 . تعد هذه النفايات مصدراً رئيسياً للإصابة بأمراض خطيرة، وبخاصة تلك التى تنقل عن طريق الدم، كمرض نقص المناعة المكتسبة (الايدز)، ومرض التهاب الكبدى الوبائى، وذلك لاحتوائها على كائنات مجهريه ممرضة.

2 . تشكل مكانا مناسباً لتكاثر الحشرات والذباب والقوارض، الأمر الذي يساهم في إمكانية توسيع دائرة انتقال الأمراض لمناطق أوسع.

3 . تناثر المواد الكيماويات الحارقة، والقابلة للاشتعال، وشديدة الانفجار، مثل مركبات الفرمولدهايد "*Formaldehyde*" المستعملة في عمليات التعقيم وحفظ عينات الأنسجة بالمحيط العام الذي تلقى فيه، مما يحولها لمواد خطرة تساهم في حدوث حروق وجروح بالجلد أو العين، أو الأغشية المخاطية للجهاز التنفسي .

- الأشخاص الأكثر عرضة للإصابة:

1. الإطباء والطاقم الطبى المساعد.
2. المرضى والزائرين للمستشفى.
3. العاملين والعاملات فى مجال النظافة داخل المستشفى.
4. عمال المكب المؤقت والنهائى.

ب : على البيئة:

1 . يؤدى حرق المواد البلاستيكية مثل الإبر وزجاجات المحاليل التي تلقي في القمامة إلي انبعاث مواد مسرطنة "Carcinogens" مثل الدايوكسين " Dioxin " والبنزوبايرين "Benzo a pyrene"[8].

2 . يؤدى صرف بقايا الكيماويات (مخلفات الأدويه- المضادات الحيوية – المعادن الثقيلة) في شبكة المجاري العامة لإحداث أضرارٍ بيئية وحيوية، كالقضاء على الأحياء الدقيقة، والتى تشكل جزء هاماً وضرورياً بالنظم البيئية، إضافة إلى قدرتها على إحداث طفرات وتشوهات " Mutations " وذلك بسبب عدم قدرة محطات المعالجة في القضاء والتخلص من تلك المواد.

رابعاً: دراسة حالة عن واقع النفايات الطبية بمستشفى الزاوية:

يعود تاريخ افتتاح مستشفى الزاوية العام إلى سنة 1972 م، وفي العام 2006 م تم تحويله إلى مشفى تعليمى.

وتصل السعة السريرية للمستشفى إلى 200 سرير، وجهاز وظيفى تبلغ قوته 175 فردا يتوزع بين الكادر الطبى، والطبى المساعد والموظفين.

ولغرض تقييم واقع حال إدارة النفايات الطبية بالمرافق الصحية ببلدية الزاوية والتعرف على كمية ونوعية النفايـــات وطرق معالجتها، تم إجراء دراسة علـــى مستشفى الزاوية التعليمى باعتباره أحد أكبر المرافق الصحية بالبلدية.

ويقدم هذا المستشفى خدمات الرعاية الصحية الأولية والثانوية والمتقدمة للمتساكنين، كذلك يقوم بعمليات التدريب، والتعليم لطلبة كليات الطب.

ويوجد بالمستشفى العديد من الأقسام الإيوائية، وأقسام العيادات الخارجية والطوارئ، إضافة إلى مختبرات التحاليل ومصرف الدم، وقسم الأشعة، والتعقيم، والمغسلة والمطبخ ومكاتب الخدمات الإدارية.

وتبلغ السعة السريرية بجميع أقسام المستشفي 200 سرير، وبقوة عمالية تصل الى 175 موظف وطبيب[9].

واقع إدارة النفايات الطبية بمستشفى الزاوية:

في البدء لابد من تعريف مفهوم نظام إدارة النفايات الصلبة " *Waste management*"، حيث يعرف على أنه "كافة الإجراءات المتخذة تجاه تلك النفايات إبتداءًا من مواقع تولدها وحتى معالجتها والتخلص منها"[10].

ويتميز نظام إدارة النفايات الصلبة بمستـــشفي الزاوية التعليمى بالأتي:

1 . تقسم النفايات الى ثلاثة أنواع على النحو الآتي • فايات منزلية • .نفايات طبية • .نفايات باثولوجية.

2 . تتولى عملية جمع النفايات بالمستشفى، شركة خاصة تم التعاقد معها من قبل وزارة الصحة.

3 . تتم عملية جمع النفايات الطبية بشكل يدوي .

4 . لا يوجد نظام لفصل النفايات " *Waste segregation*" بمناطق إنتاجها داخل المستشفى، انظر الشكل 3.

الشكل (3) بين ألوان الحاويات المستخدمة لكل نوع من أنواع النفايات الطبية

المصدر : من تصميم الباحث .

5 . يتم جمع النفايات من جميع أقسام المستشفى مرتين في اليوم .

6 . توضع النفايات بجميع أنواعها في أكياس سوداء يتم التخلص منها بداية بوضعها بالمكب المؤقت بساحة المستشفى، قبل أن يتم نقلها للمكب النهائى .

7 . المحرقة التابعة للمستشفى متوقفة عن العمل منذ فترة ليست بالقصيرة .

8 . يتم التخلص من جميع أنواع نفايات المستشفى بطريقة الطمر بالمكبات العامة التابعة لجهاز النظافة العامة التابع لبلدية الزاوية انظر الشكل رقم 4 .

الشكل (4) المراحل التى تمر بها النفايات الطبية من المصدر وحتى المكب النهائى

المصدر : من تصميم الباحث

الجدول (1) يوضح الكمية التقديرية اليومية للنفايات الناتجة عن مستشفى الزاوية حسب الأقسام .

ت	القسم	كمية النفايات / كحم / يوم			النسبة المئوية %
		الطبية	العادية	المجموع	
.1	الاسعاف	6.10	15.30	21.40	5.22
.2	النساء والولادة	40.12	60.28	100.4	24.51
.3	الجراحة	25.14	49.27	74.41	18.17

.4	الباطنية	7.00	38.58	45.58	11.13
.5	العناية	8.11	25.10	33.21	8.11
.6	المختبر	7.20	9.48	16.68	4.07
.7	الكلى	10.41	9.90	20.31	4.96
.8	المطبخ	-	71.91	71.91	17.56
.9	الاشعة	0.20	3.02	3.22	0.79
.10	المكاتب الإدارية	-	19.8	19.80	4.83
.11	مصرف الدم	0.90	1.75	2.65	0.65
.12	المجموع	105.18	304.39	409.57	%100

المصدر : إعداد الباحث بناءً على دراسة ميدانيه بأقسام المستشفى سنة 2010 م .

شكل (5) نسبة كل صنف من أصناف النفايات الطبية بالمستشفى حسب مصدرها

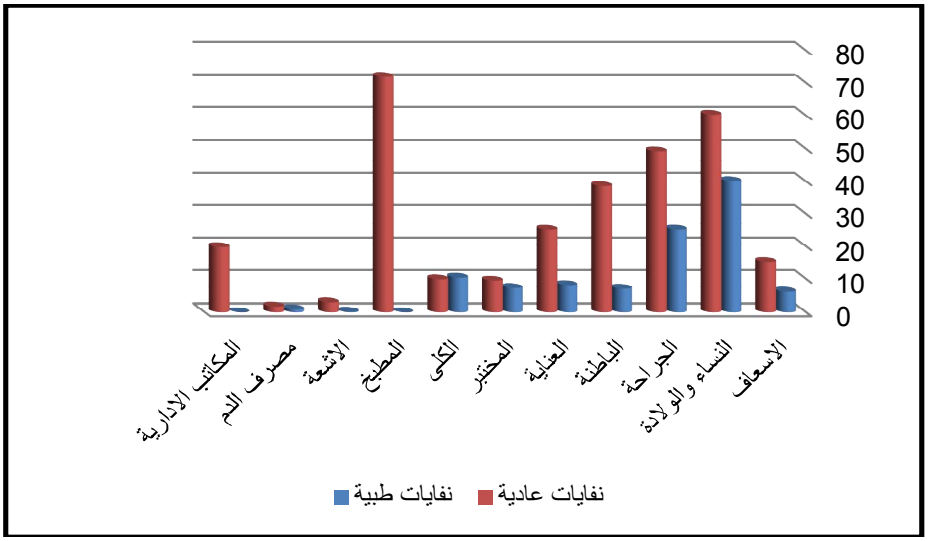

المصدر : من عمل الباحث.

شكل (6) يوضح نسب النفايات العادية والطبية بمخلفات المستشفى

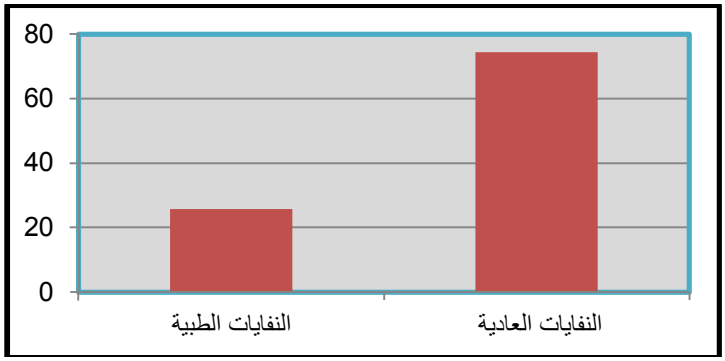

المصدر : من عمل الباحث .

شكل (7) يبين النسبة المئوية لكل نوع من أنواع النفايات الطبية من المجموع الكلى للنفايات

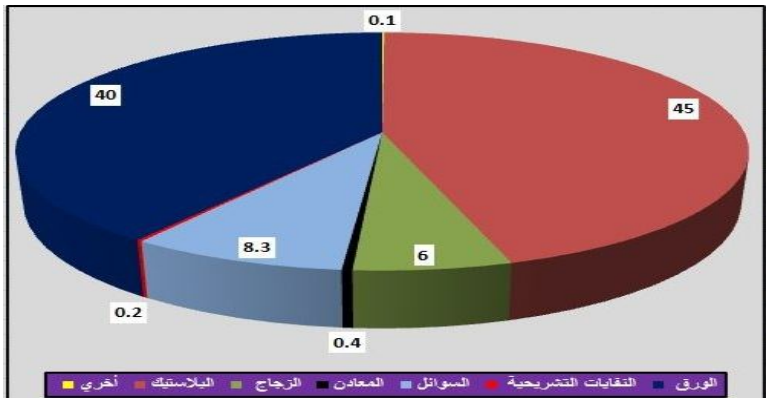

المصدر : من عمل الباحث .

من خلال استعراضنا للجدول السابق نلاحظ بأن قسم النساء والولادة يشكل أكبر مصدر لإنتاج النفايات الطبية، يليه بعد ذلك قسم الجراحة والعمليات.

أما بقية الأقسام فما تساهم به من نفايات طبية يعد أقل مقارنة بقسمى النساء والولادة والجراحة، حيث وصل ناتج النفايات على سبيل المثال من أقسام المختبر، والعناية المركزة، وقسم الباطنية والإسعاف 7.20 كجم، 8.11 كجم، 7.00 كجم، 6.10 كجم على التوالي.

فيما يخص بقية الأقسام الأخرى، فكان الناتج فيها من النفايات الطبية أقل من كيلوغرام واحد في اليوم، أما النفايات العادية فيأتى المطبخ الملحق بالمستشفى في المقدمة كأكبر منتج للنفايات.

خامساً: طرق معالجة النفايات الطبية:

1 . الطمر الصحى " Sanitary Landfills ":

تعد هذه الطريقة من أقدم طرق التخلص من النفايات الطبية، والأكثر شيوعاً واستخداما منذ القدم، وذلك بسبب انخفاض تكاليفها من ناحية، وعدم الحاجة عند اتباعها لكوادر فنية متخصصة من ناحية أخرى.

ولازالت هذه الطريقة حتى وقتنا الحاضر تستخدم بمعظم دول العالم السائرة في طريق النمو، وبخاصة تلك التى تتوفر على مساحة شاسعة من الأرض.

والجدير بالذكر هنا أنه لا توجد مخاطر حقيقة من اتباع طريقة الردم أو الطمر للمخلفات الطبية، والبيولوجية متى ما تمت إجراءات الردم بطريقة صحيحة وآمنة (Sanitary Landfills)[11]، ويحتاج موقع الطمر إلى مواصفات هندسية خاصة تضمن قدرته على منع تسرب السوائل الناتجة من تحلل النفايات للمياه الجوفية " Leachate " .

غير أن هذه الطريقة لا ينصح بإتباعها في حالة وجود المخلفات الطبية المشعة ومخلفات أدوية العلاج الكيماوي، لذلك فقبل اعتماد الموقع المختار لعملية الطمر، يتطلب الأمر من الجهات ذات العلاقة القيام بالعديد من الدراسات والأبحاث الجيولوجية والهيدرولوجية التى تؤكد صلاحيته كموقع للطمر، أنظر الشكل رقم8.

شكل (8) بين الطريقة الصحيحة لتصميم موقع لردم النفايات الطبية

المصدر : الطاهر الثابت ، العمليات المستعملة في معالجة نفايات الرعاية الصحية، تاريخ النشر2016/5/18م، تاريخ الاطلاع عليه 2016/9/2م، ttp://mediclwaste.org.ly.

2 . الحرق " Incineration ":

طريقة الحرق أو الترميد تعد هى الأخرى من الطرق االشائعة في التعامل مع النفايات الطبية، ويعود الاعتماد على هذه الطريقة وتفضيلها من قبل المختصين إلى كفاءة نظام الحرق فى التقليل من مستوى درجة خطورة النفايات الطبية من ناحية، ولقدرتها على تقليل حجم وكتلة النفايات وتحويلها إلى رماد من ناحية أخرى.

وتصنف حسب نوعيتها وحجمها وفعاليتها وقدرتها في القضاء على مسببات أو عوامل المرض، وهناك العديد من أنواع المحارق الطبية التى تصل درجة حرارتها بين 800 – 1200 (12) درجة مئوية.

ويتم ذلك من خلال تعريض النفايات الطبية إلى درجات حرارة عالية داخل أفران الحرق ولفترة زمنية تكفى لإبادة الميكروبات وحرق النفايات القابلة للإحتراق.

ويتم بهذه الطريقة تحويل جميع مكونات النفايات من المواد القابلة للحرق إلى رماد باستخدام الحرارة العالية، وهى طريقة مقبولة مقارنة بالطريقة السابقة (الطمر).

غير أن لها أيضاً العديدي من المساوئ والسلبيات كتلويث الهواء، وصعوبة صيانة المحارق والتحكم في انبعاثاتها.

ما يقرب من 90 % من النفايات الطبية بالإمكان التخلص منها بإستخدام هذه الطريقة[13].

غير أن لهذه الطريقة العديد من المساوئ والسلبيات لعل من أهمها أنها مصدرا أساسيا لمركبات الديوكسين " Dioxin" والزئبق " Mercury " والفريونات" CFCx " وغيرها من الملوثات الخطرة الأخرى[14].

من المعروف عن الديوكسين أنها مواد مسرطنة، إضافة إلى ان العديد من الدراسات تربط آثارها بعاهات خلقية وتراجع في الخصوبة، وضعف جهاز المناعة، وغير ذلك من خلل هرموني.

أما معدن الزئبق فزيادة تركيزه تتسبب في إحداث خلل في نمو الدماغ لدى الأجنة ، كما ويتسبب بتسمم مباشر للجهاز العصبي المركزي والكلى والكبد[15]، انظر الشكل رقم: 9 .

الشكل (9) يبين أحد أنواع المحارق المستعملة في التخلص من النفايات الطبية

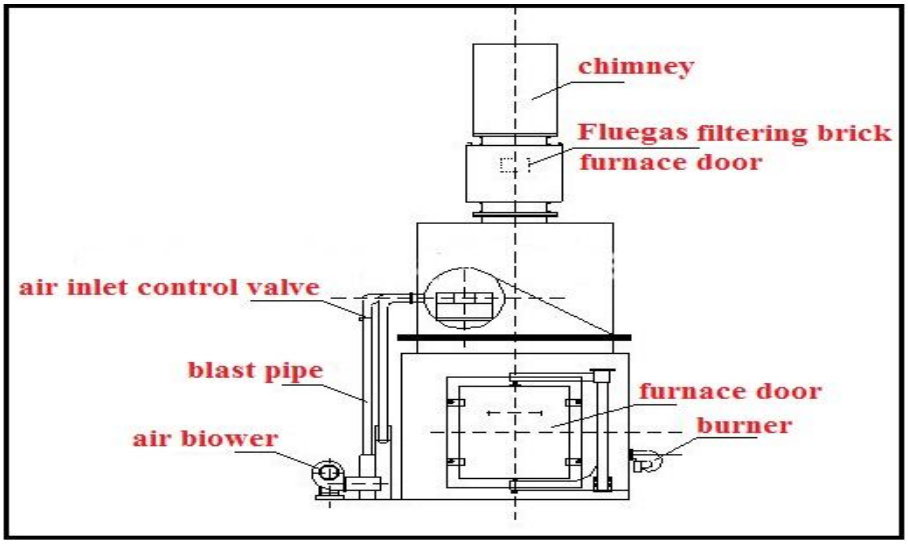

Source : Incineration (Large-scale), Beat Stauffer , DOP 14/3/2012 , DOV 16/10/2016 , http://www.sswm.info/content/incineration-large-scale.

3 .أنظمة التعقيم بالاوتوكليف " Autoclaves " :

تعد هذه الطريقة آمنة جداً للتعامل مع بعض النوعيات من النفايات الطبية (النفايات المعدية)، وفي هذه الطريقة يتم تعريض النفايات إلى بخار متشبع بالتزامن مع زيادة الضغط داخل الجهاز، وهو ما يسمح للبخار بالنفاذ واختراق كل المخلفات مما يكفل القضاء على الكائنات المعدية قضاءا مبرماً.

ويعتمد الزمن ودرجة الحرارة لجهاز الاوتوكليف على الحجم والوزن الإجمالي للمواد المراد تعقيمها (120 – 165 0م لمدة 30 – 90 دقيقة) (16)، كما وتعتمد على نوعية الميكروبات ومقاومتها.

غير أن هذه الطريقه تعد غير صالحة للنفايات الصيدلانية والكيميائية، وكل النفايات التي لا يخترقها البخار، أنظر الشكل رقم:10.

الشكل (10) يبين التصميم الداخلى لجهاز التعقيم بالبخار

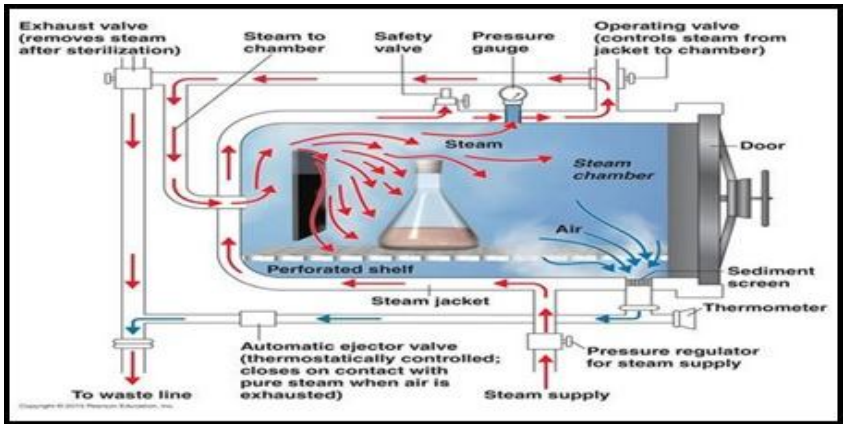

Source : **Solar Powered Autoclave** , Sahar Shahamatdar , DOP 12/6/2013 , DOV 18/10/2016 ,

http://engin1000.pbworks.com/w/page/63871877/Solar%20Powered%20Autoclave.

4 . معالجة النفايات بالميكروويف " Microwave " :

يستخدم في هذه الطريقة الأمواج الاشعاعية القصيرة لجهاز الميكروويف، وذلك لرفع درجة حرارة الماء الذي يتم رشه على النفايات، وعندما تبلغ درجة حرارة الماء درجة الغليان تموت الجراثيم الموجودة بالنفايات، ويبطل ضررها، وتعد هذه الطريقة آمنة بيئياً، إلى جانب قدرتها على التقليل من حجم النفايات، أنظر الشكل رقم:11.

الشكل(11) يوضح مكونات جهاز التعقيم بواسطة موجات الميكروويف .

Source : MICROWAVE OVENS , Sophia Blasco , DOP 2/9/2013 , DOV 17/10/2016 , http://ovenmicrowan.net/microwave-oven-radiation-danger .

5. المعالجة الكيماوية "Chemical Disinfection":

تعتمد هذه الطريقة على تقطيع النفايات بواسطة جهاز تقطيع، مع رشها بمادة كيماوية لفترة كافية لقتل الكائنات الحية الدقيقة، وبعد ذلك تجفف النفايات، ويتم فصل السوائل المتبقية من المادة الكيماوية المطهرة.

6 . معالجة النفايات السائلة " liquid waste treatment " :

يمكن التخلص من الدم السائل وبول وبراز المرضى، وسوائل الجسم، والإفرازات في المجاري مباشرة مع استعمال المطهرات اللازمة عند اللزوم، ما عدا الحالات التي تتطلب احتياطات وقائية خاصة .

7 . التغليف في كبسولات :(Encapsulation) :

وهى طريقة بسيطة وآمنة وقليلة التكلفة، وتتم بوضع النفايات الطبية في صناديق أو حاويات من مواد بلاستيكية عالية الجودة (high-density polyethylene)، أو براميل من الحديد، ويضاف عليها مواد مثبتة كأنواع من الرغوة البلاستيكية أو الرمل (bituminous sand) أو الصلصال ، وبعد جفاف المواد المضافة يتم إغلاقها نهائياً وترمى في المكبات، وعادة ما تستخدم هذه الطريقة للتخلص من المخلفات الطبية الحادة كالإبر والحقن، وبعض المخلفات الطبية الصيدلانية، ولا ينصح بها للأنواع الأخرى.

ومن أهم مزايا هذه الطريقة الحد من العبث بالمخلفات الطبية الحادة بواسطة بعض الأشخاص في المكبات.

8 . العزل الجيولوجي :(Geological Isolation) :

وتستخدم هذه الطريقة لتخزين النفايات الخطرة، وفيها يتم اختيار مواقع جيولوجية صخرية غير نفاذة، وعلى أعماق بعيدة عن المائدة الجوفية.

الطريقة غير مفضلة بسبب الأضرار التي قد تنشأ عنها على المدى البعيد ، كما وأنها تحتاج للمراقبة المستمرة لتتبع تسرب النفايات، ويتم ذلك بآخذ عينات دورية من آبار المراقبة حول منطقة عزل النفايات.

9 . طريقة التثبيت :(Inertization) :

وتستخدم هذه الطريقة للتخلص من الأدوية الصيدلانية كالعقاقير المنتهية الصلاحية، وفيها يتم خلط النفايات مع مواد مثبتة كالإسمنت والجير، ثم يضاف الماء بنسب معينة لإبطال مفعول تلك الأدوية، والحد من انتشارها في البيئة.

10 . أعادة التدوير :(Recycling) :

وهي إعادة تصنيع النفايات للاستفادة منها بدل التخلص منها، ولكن من عيوبها عدم صلاحيتها لعديد من النفايات الطبية، كما أنها مكلفة بعض الشيء، وتحتاج لإجراءات صارمة في عملية فرز وجمع النفايات عند مصدر إنتاجها.

سادساً: نتائج البحث:

هناك خلل كبير في إدارة المخلفات الطبية بمستشفى الزاوية:

1. لا يوجد فرز للمخلفات الطبية حسب أنواعها ومصدرها .
2. تجمع النفايات في أكياس بلاستيكية موحدة دون الاشارة لمحتواها ، ودرجة خطورتها .
3. تنقل النفايات داخل المستشفى بشكل غير صحيح يدوياً أحياناً .
4. ليس هناك أماكن خاصة لتخزين المخلفات الطبية الخطرة ريثما يتم نقلها للمعاجلة أو للمكب النهائى .
5. كمية المخلفات الطبية الكلية تعادل 1.33 كجم / سرير / يوم .
6. كمية المخلفات الطبية الخطرة تعادل 0.33 كجم / يوم / سرير .

سابعاً: التوصيات:

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1. نوصى بأهمية إخضاع جميع العاملين بالمستشفى لدورات نظرية، وعملية تهدف لتعريفهم بمخاطر النفايات الطبية ، وطريقة التعامل معها
2. استحداث إدارة أو قسم يعنى بالإدارة المتكاملة للمخلفات الطبية، وتكون مهمته الأساسية متابعة طرق جمع ونقل وتخزين والتخلص النهائى من المخلفات، إضافة إلى إهتمامها بالجانب التوعوى والتدريبى للعاملين بالمستشفى .
3. إصدار لوائح صارمة واتخاذ الإجراءات التأديبية ضد كل من يخطئ، أو يتسبب في تعريض حياة شخص آخر لخطر العدوى بسبب الإهمال، أو عدم المبالاة في التعامل مع النفايات الطبية .

4 . العمل على تطبيق نظام فصل وتصنيف المخلفـات الطبيـة والغير طبية بإمكان إنتاجها الأولية (system of segregation) .

5 . ضرورة توفير الإحتياجات الأساسية اللازمة لإدارة النفايات الطبية في المستشفى، (الأكياس الملونة– السلال – الحافظات البلاستكية الخاصة بالأدوات الحادة – العربات) وغيرها.

6 . يجب على العمال إرتداء الادوات الواقية قبل القيام بجمع النفايات الطبية .

7. ضرورة استعمال حاويات أو حافظات صغيرة من البلاستيك المقوى عليها إشارة المخلفات البيولوجية الخطرة لجمع بقايا الإبر والحقن .

8 . ينبغى أن تجهز أماكن التخزين المؤقتة داخل المستشفى بشكل مناسب يمنع تعرضها للأمطار، أو العبث بمحتوياتها من قبل الزوار، أو الحيوانات والحشرات والقوارض .

9. إن قيام المستشفى بإجراء المعالجة المناسبة للمخلفات يظل هو الخيار الأمثل والأنسب، وبما أن المستشفى تعوزه الإمكانيات والكوادر الفنية المتخصصة، فمن واجب إدارته أو الوزارة التابع لها التعاقد مع إحدى الجهات الخاصة المعتمدة للقيام بذلك.

المراجع:

1. اللائحة التنفذية للنظام العام للبيئة، قواعد وإجراءات التحكم في النفايات الخطره، السعودية، الفصل الأول، 2001 ، ص1 .
2. McRae, Glenn, and Gusky Shaner, Hollie , Guidebook for Hospital Waste Reduction Planning and Program Implementation , Chicago , 1996 , p 28 .
3 . http://www.initial.co.uk/waste-legislation/
4. مسودة اللائحة التنفيذية للإدارة المتكاملة للمخلفات الطبية في ليبيا، 2005 ، المادة 2.
5. الطيب اجزول ، تدبير ومعالجة النفايات الطبية والصيدلية ، الدار البيضاء ، 2014 ، ص 18 .
6. نفس المصدر السابق ص 21 .
7. Dr. Rita Karam Moawad, " National Survey for the elimination of the solides hospital waste in Lebanon ", A survey by the Pharmacy School in the Lebanese University in collaboration with the Faculty of Pharmacy in Claude Bernard University in Lyon, France , 1997 , p41 .
8. المعهد العربي لإنماء المدن، أبحاث وأوراق عمل ندوة (إدارة النفايات الصلبة القابلة للتدوير وإعادة الاستخدام) بنغازي / ليبيا 2003 ، ص86 .
9. مقابلة شخصية مع السيد ناصر سليمان مدير الشؤون الإدارية بمستشفى الجامعى بالزاوية ، بتاريخ 17 / 8 / 2010م.
10. سونيا عباسي و هند وهبة، " إدارة النفايات الطبية الصلبة في مشافي جامعة دمشق"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الأول، دمشق، 2006م، ص 80 .

11. Pruss A., Giroult E. and Rushbrook P , Safe management of wastes from health-care activities. WHO, Geneva , 1999 , p 32 .

12. النفايات الصلبة ،مجلة آفاق البيئة والتنمية (www.maan-ctr.org/magazine)، العدد(5) .

13 . عبد القادر عابد وغازي سفاريني ، أساسيات علم البيئة ،عمان ، ط2 ، دار وائل للطباعة والنشر، 2004 ، ص 21 .

14 . US Environmental Protection Agency, Inventory of Sources of Dioxin in the United States, National Centre for Environmental Assessment, USEPA, April 1998 , p 12 .

15 . Shalini Sharma and S.V.S.Chauhan, Assessment of bio-medical waste management in three apex Government hospitals of Agra, Journal of Environmental Biology, 2008, p 159 .

16. سكفان عكيد محمد علي، " مقوما ت الإدارة البيئية للنفايات الطبية الخطرة في مستشفى دسلدورف الجامعي في ألمانيا نموذجا لدراسة الحالة "، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2009 ، ص62 .

مشكلات التوافق النفسي
لدى عينة من الأطفال النازحين بليبيا

د. سالم عبد القادر مجاهد
كلية الآداب– جامعة طرابلس

د. يوسف أبوالقاسم الأحرش
كلية الآداب الزاوية جامعة الزاوية

مقدمة:

أسفرت فترة الإحداث والحروب التي شهدتها ليبيا وتداعياتها منذ منتصف شهر فبراير 2011 إلى الآن على الكثير من المواقف الصعبة والمشكلات المزمنة التي طالت الجميع دون استثناء حتى أولئك الذين لم يشاركوا فيها بشكل مباشر.

وتزداد تلك التأثيرات السلبية وتكون أكثر عمقاً وشدة مع بعض الفئات والشرائح، ويأتي على رأسها الأطفال، فهم بطبيعة تكوينهم النفسي وخصائصهم العقلية والجسمية عاجزون عن استيعاب الأحداث الصادمة، وفهمها، والتعامل معها، ومواجهتها بصورة منطقية، وبالشكل الذي يبعد عنهم المخاطر والتأثيرات السلبية لتلك الأحداث.

وبكل تأكيد فإن هذه الأوضاع كان لها تأثيراتها على قدرة الطفل عن ممارسة حياته بشكل طبيعي ولا يقتصر على زيادة توتره الذي ينعكس سلبا على توافقه وسعادته وقدرته على التفاعل مع بيئته فحسب، بل قد يتعداه إلى شعوره بأنه ضحية لمواقف وأحداث وحرب لا ذنب له فيها، وإذا بلغ الفرد درجة التشكك فيمن حوله وفي مجتمعه زاد توتره، وزاد شعوره بأن بيئته بيئة عدائية غير مطمئنة. وهذا قد يدفعه إلى الانكفاء على ذاته، والابتعاد عن التفاعل مع الآخرين، مما قد يدعم الإصابة بالاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية مستقبلاً.

مشكلة الدراسة: أن واقع الحال في ليبيا يشير إلى تشرد العديد من العائلات، بعضهم تهدمت منازلهم لأن مناطقهم كانت ساحات معارك، والبعض الآخر تم تهجيرهم قصراً، وبغض النظر عن الدوافع والأسباب، فقد نزحت عائلات ومناطق بأكملها، تاركة كافة منازلها وأملاكها وأراضيها، وحتى أحلامها وأمانيها.

وتتحدد مشكلة الدراسة على إبعاد وتداعيات بعض جوانب هذه الحالة والمتمثلة في مشكلة النزوح، ومستوى تأثيراتها على التوافق النفسي للأطفال النازحين في ضوء بعض المتغيرات (النوع – طبيعة السكن) وانحصرت في التساؤل التالى: ما مشكلات التوافق التوافق النفسي بأبعاده (الدراسي–النفس/ جسمي–الانفعالي– الاجتماعي) لدى عينة الدراسة؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مشكلات التوافق النفسي (الدراسي– الانفعالي– النفس جسمي– الاجتماعي) لدى عينة من الأطفال النازحين بليبيا.

أهمية الدراسة: تنبثق في مشكلات التوافق النفسي للأطفال النازحين نتيجة الأزمات والحروب في ليبيا وتكمن في التالي:

1- المساهمة في بلورة إستراتيجية وطنية للاهتمام بالأطفال النازحين نتيجة الإحداث والحروب في ليبيا.
2- الإسهام في تحديد أولئك الذين يحتاجون إلى برامج خاصة تتناسب مع نوع ومستوى مشكلات التوافق النفسي بأبعاده (الدراسي–النفس/ جسمي–الانفعالي– الاجتماعي) للأطفال النازحين نتيجة الأزمات والحروب في ليبيا.
3- يسهم في تقديم مقترحات تساعد في وضع الخطط والبرامج الإرشادية للتقليل من تأثيراتها وتداعياتها النفسية والتعليمية والاجتماعية.

تساؤلات الدراسة: من خلال الهدف الرئيس للدراسة تتفرع منها التساؤلات التالية:

1- ما درجة شيوع مشكلات التوافق النفسي لدى عينة من الأطفال النازحين بليبيا؟
2- ما نسبة توزيع تلك المشكلات على أبعاد ومظاهر مشكلات التوافق النفسي (الدراسي – النفس/ جسمي – الانفعالي – الاجتماعي)؟
3- الأطفال النازحين بليبيا وفقاً للنوع (بنين – بنات)؟
4- هل توجد فروق دالة إحصائيا في مشكلات التوافق النفسي بأبعاده لدى عينة من الأطفال النازحين بليبيا وفقاً لنوع السكن (سكن عادي – مخيم)؟

مفهوم الدراسة اجرائياً:

الأطفال النازحون: أبناء المواطنون الذين اضطروا لترك منازلهم وأماكن إقامتهم العادية نتيجة الإحداث والحرب التي شهدتها ليبيا منذ 2011/2/17م حتى شهر 5/ 2014.

أدبيات الدراسة:

التوافق النفسي: يشكل مفهومه بأبعاده المتداخلة والمتعددة، العنصر الأساسي في دراسات علم النفس، فغاية علم النفس من خلال فهمه وتفسيره للسلوك الإنساني والتنبؤ به، هو محاولة ضبطه والتحكم فيه وتوجيهه الوجهة السليمة من أجل الوصول بالإنسان إلى أقصى قدر ممكن من التوافق النفسي والصحة النفسية، حتى تتحقق الغاية الكبرى من وجوده في هذه الحياة وهي السمو و الكمال الإنساني.

وقد تعددت تعريفات التوافق كاصطلاح يتواتر ذكره في كتب علم النفس، وفي هذا الصدد يمكن أن نرصد ثلاث اتجاهات تمثل إطاراً لتلك التعريفات:

الأول: اتجاه فردى ويعنى تحقيق التوافق عن طريق إشباع الفرد لدوافعه وحاجاته، ويتضمن توافق الإنسان دافعياً وعقلياً ووجدانياً وفسيولوجياً لإشباع حاجاته.

والثاني: اتجاه اجتماعي ويعنى تحقيق التوافق عن طريق تفاعله الإيجابي مع من حوله منزلياً وثقافياً ودينياً ومهنياً ودراسياً.

أما الاتجاه الثالث: متكامل ويعنى التكامل والتوافق بين حاجات الفرد وإمكاناته ومحيطه الفيزيقي والاجتماعي.

وبذلك يمكن القول أن التوافق كعملية دينامية مستمرة تؤدى إلى الشعور النسبي بالرضا، وتحقق حلولاً مناسبة لصراعات الفرد، وتعمل على التوفيق بين رغباته وظروفه، وتحقيق التلاؤم والتوازن بين الفرد وبيئته. والتي يمكن الاستدلال عليها من خلال مجموعة من الاستجابات التي تدل على الشعور بالأمن الشخصي والاجتماعي، كما يتمثل ذلك في اعتماد الفرد على نفسه وإحساسه بقيمته وشعوره

بالحرية في توجيه سلوكه وشعوره بالانتماء وتحرره من الميل للانفرادية وخلوه من الأعراض العصابية والاضطرابات السلوكية. (سيد خيرالله، 1981، ص75).

ويُعدِّ مجال التوافق الدراسي من المجالات الأساسية والمهمة في حياة التلاميذ، فقد بينت نتائج الدراسات التي تعرضت لدراسة الخصائص النفسية للتلاميذ المتفوقين دراسياً تميز هؤلاء التلاميذ في مستوى كفايتهم الذاتية وتوافقهم الاجتماعي وتوفر مشاعر الإحساس بالأمن النفسي والاجتماعي، وفي المقابل كشفت نتائج بعض الدراسات التي تعرضت للمتأخرين دراسياً تميز هؤلاء التلاميذ بدرجات أقل في بعض الخصائص النفسية كنقص توافقهم وشعورهم بالحرمان ونقص الثقة في النفس (سيد خير الله،1981: 73).

ان سوء توافق التلميذ يجعل حياته نهباً للصراعات والمشاعر السلبية وفي هذا الصدد يشير (جان بياجيه) الى أن التمركز حول الذات وهو من أهم مظاهر سوء التوافق النفسي يقف عقبة في سبيل التفكير المنطقي لدى الطفل وان هذا التفكير المنطقي له أثره على التحصيل الدراسي. (سيد خير الله،1981: 134)

أن الآثار الاجتماعية والنفسية لسوء التكيف في مرحلة التمدرس وما يترتب عليه من إخفاقات تعليمية سيكون له تأثراته المستقبلية على حياة التلميذ والمجتمع وهذا ما عبر عنه (و. جلاسر) في كتابه مدارس بلا فشل بقوله "إن هؤلاء الفاشلين تربوياً الذين قلما يصلحهم القائمون على الخدمة الاجتماعية أو رجال علم النفس أو الأطباء النفسيون أو السجون أو المستشفيات العقلية، يشكلون عبئاً متزايداً على كاهل البقية الباقية من المجتمع، وكثيرون ممن يعيشون حياتهم، اذا ما اقتنعوا بفشلهم، يعيشون في عزلة، او كما نراهم أخيراً جداً في ثورة أحياناً ضد النظام الذي لم يهيئ لهم فرصة النجاح من وجهة نظرهم" (و. جلاسر1978:23). ويؤكد (غارسون، 1965 K. Garison) أن نسبة كبيرة جدًا من المراهقين يتركون الدراسة قبل المرحلة الثانوية نظرًا لأسباب مدرسية توافقية.

وتشكل الحروب والنزاعات المسلحة وما يترتب عليها من ظروف من أهم مصادرها فللحرب آثارها الهدامة والتي لا تنتهي بسكوت المدافع، وإعلان الهدنة، كما أن طبيعة بعض الحروب والصراعات المسلحة تأخذ شكلاً من أشكال الأزمة المركبة، فالحروب ذات الطبيعة الأهلية والتي تحدث بين فريقين أو جانبين هم بالأساس نسيج واحد تكون عبر الاف السنين كما هو بالنسبة للحالة الليبية مثل هذه الحروب نتائجها وتأثيراتها السلبية تطال الجميع دون استثناء، فالرابح فيها خاسر، لأن الثمن والغنيمة ستكون ضياع القيمة الحقيقية لمفهوم الوطن الذي هو أكبر من مجرد حيز جغرافي او كيان سياسي له حدوده الإقليمية ومكوناته الايكولوجية، أننا نفقد بضياعه مكوننا النفسي والاجتماعي والقيمي، الذي تكون ونمى داخل وجدان وكيان كل فرد، وأصبح موروثاً جمعياً يشكل أحد أهم أبعاد الشخصية القومية.

ولعل من أكثر المظاهر السلبية التي تعيشها الحالة الليبية، اضطرار الآلاف من الليبين ترك منازلهم والنزوح إلى مناطق أخرى أكثر أمنا، فمنهم من نزحوا نتيجة تهدم منازلهم جراء الاشتباكات المسلحة ومنهم من كان نزوحهم خوفاً من عقوبات جماعية تطالهم حتى وأن لم يشاركوا في الحرب نتيجة لهويتهم القبلية والمناطقية أو لانتمائهم العقائدي أو الأيدلوجي للتيارات المتصارعة.

أن حالات النزوح تجعل حياة الأطفال تتميز بالقلق والتوتر باعتبار أن المستقبل مجهولاً، لا يمكن توقعه أو التنبؤ به، فلا يدري ماذا سيخبئ له الغد من أحداث، زد على ذلك أن ما تشهده البلاد من أحداث وحالة عدم الاستقرار، شكلت هاجساً ليس عند النازحين فقط، بل امتدت الى تلك المجتمعات التي نزحوا اليها، فما ترتب على نزوحهم من تبعات سواءً على المؤسسات والهيئات الرسمية أو ما يعرف بمؤسسات المجتمع المدني أو حتى المجتمعات المحلية شكلت مشكلة تؤرق الضمير الاجتماعي والقيمي في المجتمع فضلاً على ضغوطاتها الاقتصادية، والحياتية .

كما أن حالة النزوح هي بالأساس نتيجة لأحداث ومواقف صادمة، ولم تأتي بشكل تلقائي أو اختياري، فقد سبقتها حرب ضروس بكل أشكالها والوانها.

وتشير نتائج الدراسات التي أجريت في البلدان والمجتمعات التي تعرضت للحروب والصراعات ذات الطابع المسلح والعنيف، خاصة تلك التي تأخذ طابع الصراعات المسلحة الأهلية، أو بين شرائح وفئات من المجتمع كما هو في العديد من الدول والمجتمعات بالمنطقة العربية والإفريقية، تشير إلى أن من أهم الأحداث الصادمة التي يتعرض لها الأطفال: الموت المفاجئ لأحد الوالدين أو المقربين، مشاهدة حالات القتل، التهجير والانفصال المفاجئ عن العائلة، والخطف والتهديد، ومشاهدة استجابة الخوف والرعب عند الوالدين حيث إن استجابة الوالدين للأحداث الصادمة تؤثر علي كيفية استجابة الأطفال لها، بحيث يتمثلونها سلوكاً وتصبح بحكم ترددها نمطاً وأسلوباً مرضياً للتكيف مع تلك المواقف والتعرض للإصابة أو الإعاقة أثناء الحرب والتعرض للقصف و إطلاق النار والجوع والتشرد.

أن تراكم الخبرات الصادمة وتكرارها يؤثر على البناء النفسي خاصة على الأطفال ويرسّب في نفوسهم التوتر ومشاعر العنف والحقد والحنق، ويخلق القابلية لديهم للإصابة بالاكتئاب والقلق واضطرابات النوم ووجود ضلالات وأفكار اقتحامية وسواسيه والأعراض الهستيرية التحولية والتبول اللاإرادي واضطرابات التأقلم وتأخر النضج النفسي وأعراض أخرى بجانب اضطراب ما بعد الصدمة،

وتتباين ردود الفعل واستجابة الأطفال إزاء تلك المواقف والتي تأخذ إشكالا سلوكية، ونتيجة لضغط الأحداث قد يمر بعض الأطفال بحالة من اللامبالاة أو عدم التأثر.

الدراسات السابقة:

– دراسة فرانك (Frank,1980) من خلال مراجعته لنتائج عدد من الدراسات عن التنشئة الاسرية وأثرها على خصائص الأطفال، الى أن أسلوب التنشئة الوالدية يشكل عاملاً مهماً في تشكيل السلوك التكيفي للأطفال، وأي خلل سيؤثر على

حياتهم النفسية بحيث تجعلهم غير قادرين على التوافق بالأسلوب الصحيح، وعاجزين عن لاعتماد على النفس، شاعرين بالنقص عندما لا تتحقق رغباتهم، مما يؤدي الى سوء تكيف واضح لديهم. (في المصري، محمد، 2006: 332-232)

- وفي دراسة (قوتة وآخرون، 1993) بهدف تحديد العلاقة بين شدة الحدث الصادم ومدى المشاركة في الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987 م، لدى عينة من الأطفال (108) طفل تتراوح أعمارهم بين(11 -12) سنة، أشارت النتائج إلى أن الأطفال الذين تعرضوا للخبرات الصادمة، أو شاركوا بفعالية في أنشطة الانتفاضة، يعانون من مشكلات في التركيز والذاكرة.

- كما توصلت (نذر، 2000) في دراستها التي هدفت إلى تحديد الصدق والثبات لمقياس التعامل مع الأزمات الخاصة بالأطفال الكويتيين، وتحديد الفروق بحسب الجنس ومكان تواجد الطفل على مؤشر اضطراب رد الفعل الاجهادي لما بعد صدمة الغزو العراقي للكويت، توصلت النتائج بأنه رغم مضي سنوات عديدة على انتهاء أزمة الكويت فان الأطفال ما زالوا يعانون من ردود الفعل الاجهادي بسبب تعرضهم لصدمات الحرب ومعايشتهم لصنوف مختلفة من الضغوط النفسية المباشرة وغير المباشرة، وان الإناث قد أظهرن مستويات من التوتر النفسي أعلى من الذكور على فقرات رد الفعل الاجهادي كسرعة الفزع، والآلام الجسدية، وإعادة خبرة الحدث المؤلم. وفي الوقت نفسه لم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين ومكان تواجد الطفل فيما يتعلق بمجالات التعامل مع الأزمات كالانعزال، والغضب، والإحساس بالفراغ، والتعايش مع الموقف، وممارسة الأنشطة الرياضية.

ونخلص من العرض السابق أن للحروب أثارها المدمرة على شخصية الإنسان، وتؤكد الدراسات أن تعرض الأطفال إلى خبرات صادمة، سيؤدى دون شك إلى اختلالات نفسية عميقة تظهر في صور من الاضطراب النفسي والمشكل السلوكي، مما يؤثر على توافقهم النفسي بشكل عام والدراسي على وجه الخصوص من هنا

تأتي أهمية دراسة تلك التأثيرات للتقليل من (خطورة آثارها على المدى القريب والبعيد على البناء النفسي لهذه الشريحة).

اجرءات الدراسة:

منهج الدراسة: ستخدام المنهج الوصفي التحليلي.

عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من عدد (43) تلميذاً وتلميذة.

أداة الدراسة: تم إعداد أداة خاصة بالدراسة وهي عبارة عن استمارة تسجيل ملاحظات تم الاستعانة بمفرداتها من خلال مراجعة بعض الدراسات السابقة. وتم على آثر ذلك اعداد صياغة مبدئية للفقرات بلغ عددها (56) فقرة موزعة على أربع محاور رئيسية وفقاً لطبيعة نمط الاضطراب السلوكي السائد كالتالي:

1- مشكلات التوافق الدراسي.

2- مشكلات التوافق الانفعالي والعاطفي.

3- مشكلات التوافق الجسمي (فسيولوجية).

4- مشكلات التوافق الاجتماعي (تفاعل اجتماعي).

وبعد عرض الأداة على عدد من الخبراء المتخصصين في المجال النفسي والتربوي تم دمج واستبعاد عدد من الفقرات وإعادة صياغة فقرات أخرى لتصبح القائمة النهائية مكونة من (36) فقرة موزعة على الأبعاد الأربعة كالتالي:

1- (10) فقرات تمثل مشكلات التوافق الدراسي.

2- (10) فقرات تمثل مشكلات التوافق الانفعالي والعاطفي.

3- (7) فقرات تمثل مشكلات التوافق الجسمي (فسيولوجية).

4- (9) فقرات مشكلات التوافق الاجتماعي (تفاعل اجتماعي).

صدق الأداة: تم عرض النسخة المبدئية على عدد من الخبراء المتخصصين في المجال النفسي والتربوي عدد (4) أساتذة تم دمج واستبعاد عدد من الفقرات وإعادة صياغة فقرات أخرى لتصبح القائمة النهائية مكونة من (36) فقرة موزعة على الأبعاد الأربعة.

كما تم حساب صدق الاتساق الداخلي: حيث تم تطبيق المقياس على 15 من التلاميذ النازجين وحساب الارتباط لبيرسون بين درجات الفقرات والدرجة الكلية للمقياس فأسفر ذلك عن بيانات الجدول التالي:-

جدول (1) يوضح الاتساق الداخلي للمقياس

الأبعاد	مشكلات التوافق الدراسي.	مشكلات التوافق الجسمي (فسيولوجية)	مشكلات التوافق الاجتماعي (تفاعل اجتماعي).	مشكلات التوافق الانفعالي والعاطفي.	كلي
مشكلات التوافق الجسمي (فسيولوجية).	.250				
مشكلات التوافق الاجتماعي (تفاعل اجتماعي).	** 0.403	**0.445			
مشكلات التوافق الانفعالي والعاطفي.	**0.389	**0.433	**0.551		
كلي	**0.783	**0.626	**0.786	**0.757	

من الجدول يتضح دلالة قيم معاملات ارتباط درجات ابعاد المقياس مع الدرجة الكلية عند مستوى(01,0) مما يشير إلى صدق الاتساق الداخلي للمقياس المستخدم بالدراسة الحالية.

ثبات الأداة: لقد تم حساب الاتساق الداخلي عن طريق استخدام معادلة كرونباخ ألفا، حيث بلغت (0.86) وهي قيمة جيدة وتنم على وجود اتساق.

إجراءات التطبيق:

تم اختيار فريق بحثي للمساعدة في توزيع الادة على العينة موضع الدراسة، وهم من أهالي وأقرباء الأطفال النازحين –عدد اثنين –وقد طلبا عدم ذكر اسميهما او الإشارة بشكل مباشر أو غير مباشر عما قد يفصح عنهما نظراً لحساسية الحالة موضع الدراسة، وحتى لا يقعا في إساءات فهم، تجلب لهم مشاكل هم في غنى عنها، رغم تأكيدنا على ان المعلومات والبيانات سوف لن تستخدم الا للبحث العلمي، وقد تم مراعاة ذلك.

وكان دور الفريق المساعد هو توزيع الأداة على عينة من المدرسين والاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين المقيمين مع الأطفال ويعايشون نفس الظروف والحياة المعيشية، مع التأكيد على ضرورة توخي الصراحة والصدق

وعدم تقديم أي معلومات غير واقعية، مع إعطاء نوع من المرونة ومساحة لإضافة أي تفاصيل لمن يرى أو يرغب في ذلك، نظراً لما لاحظه الباحث من تفاعل ايجابي مع هذه الدراسة وبالشكل الذي قد يفيض عن ما يمكن أن تحتويه مفردات المقياس المستخدم وبالشكل الذي لا يخل أو يخرج عن أهداف الدراسة، مع التأكيد على عدم تأثير كل ذلك على تدوين الملاحظات أو الاجتهاد المبالغ فيه والالتزام بالتعليمات وبشكل دقيق.

وقد استغرق التطبيق فترة ثلاثة أسابيع مع المراجعة المستمرة، لما تم الحصول عليه من استجابات وإعطاء ملاحظات حول بعض السلوكيات واستخدامها كنوع من التدعيم لزيادة توخي الدقة والموضوعية في التطبيق.

نتائج الدراسة:

التساؤل الأول: ما درجة شيوع مشكلات التوافق النفسي لدى عينة من الأطفال النازحين نتيجة الأحداث والحرب في ليبيا منذ 2011/2/17 الى نهاية العام 2013؟

للإجابة على التساؤل الأول تم حساب الوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المقياس المستخدم والجدول التالي رقم (2) يوضح مقدار درجة كل مشكلة من مشكلات التوافق النفسي والوزن النسبي وترتيبها بين المشكلات لدى عينة التلاميذ.

جدول التالي رقم (2) يوضح مقدار درجة كل مشكلة من المشكلات السلوكية ومدى الشيوع والوزن النسبي وترتيبها بين المشكلات السلوكية لدى عينة الأطفال.

الفقرة	الدرجة	الوزن النسبي	الترتيب
كثير اللهو اثناء الحصة.	110.00	0.85	1
التشاؤم وعدم الثقة بالنفس والآخرين.	108.00	0.84	2
اللجوء إلى العنف والعدوان لحل المشاكل.	106.00	0.82	3
يعاني من عدم القدرة على الانتباه و ضعف التركيز بشكل عام.	103.00	0.80	4
تأخر دراسي كبير(معدل أدنى بكثير من معدل الصف)	103.00	0.80	5
ظهور مشكلات في الكلام كالتلعثم.	101.00	0.78	6
يعاني من صعوبة في فهم الدروس (ضعف التحصيل).	98.00	0.76	7
لا يقوم بأداء الواجبات المدرسية.	98.00	0.76	8
لا يهتم بجلب ادواته المدرسية (قلم – ممحات – ادوات هندسية)	96.00	0.74	9
ليس لديه رغبة للذهاب إلى المدرسة.	93.00	0.72	10
كثير الغياب عن المدرسة أو الهروب من الحصص.	93.00	0.72	11
قلة الاندفاع والاهتمام بالدرس	93.00	0.72	12

تمرد في المدرسة، يتمثل في التمرد على الأنظمة، واللوائح، والتعليمات، والأعراف الأكاديمية في المدرسة، ومخالفتها.	91.00	0.71	13
كثرة الحركة (الإفراط الحركي).	92.00	0.71	14
كثرة الشكوى من الشعور بالتعب أو الفشل العام في الجسم.	91.00	0.71	15
يعاني من الشعور بالخوف والتوتر والقلق المتزايد.	90.00	0.70	16
يعاني من كثرة التفكير في التجارب العنيفة.	90.00	0.70	17
الشعور بالحزن.	90.00	0.70	18
الخوف من فقدان الأبوين – الخوف على أفراد العائلة من الموت.	90.00	0.70	19
يشعر بالقلق الدائم والمزاج العصبي.	90.00	0.70	20
عدم الرغبة في اللعب.	90.00	0.70	21
يتشاجر مع زملائه حول مواضيع سياسيّة ودينيّة	90.00	0.70	22
غير متعاون مع زملائه	90.00	0.70	23
عدم الرغبة في اقامة صدقات جديدة.	90.00	0.70	24
يعاني من الخوف من الموت – التفكير في الموت.	88.00	0.68	25
لديه اضطرابات الأكل (فقدان الشهية /الامتناع عن الطعام)	86.00	0.67	26
الشعور بألم في المعدة.	87.00	0.67	27
شعور بالصداع.	85.00	0.66	28
اللجوء إلى الصراخ والكلام بصوت عال.	85.00	0.66	29
يعاني من سرعة الغضب السريع – العدوانية.	84.00	0.65	30
الخوف من الوحدة – الخوف من البقاء منفرداً في البيت.	83.00	0.64	31
يعاني من الفزع أو الجمود أثناء سماع الأصوات العالية – عدم تحمل الأصوات العالية(صوت إطلاق الرصاص الالعاب النارية والطائرات).	82.00	0.64	32
الانسحاب والانعزال عن الناس.	83.00	0.64	33
الاتكال العاطفي الشديد، طلب المساعدة من المحيطين في ابسط الاشياء.	78.00	0.60	34
اللعب بألعاب حربية.	74.00	0.57	35
لا يحب النوم لوحده.	72.00	0.56	36

وقام الباحثان باستخدام اختبار T.Test لعينة واحدة وذلك للمقارنة بين المتوسط الفرضي لمشكلات التوافق النفسي، والذي بلغ (72) حيث تم حسابه من خلال تطبيق المعادلة التالي:

الحد الأدنى لمجموع درجات المقياس + الحد الأعلى لمجموع درجات المقياس

المتوسط الفرضي = 2 108 + 36

المتوسط الفرضي = = 72 2

جدول رقم (4) يبين مستوى مشكلات التوافق النفسي

العدد	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوى الدلالة
43	72	76.12	9.8	42	2.75	0.01

ويتضح من الجدول رقم (4) أن هناك فروق دالة إحصائيا بين المتوسط الفرضي ومتوسط درجات عينة الدراسة علي مقياس مشكلات التوافق النفسي عند

مستوي (0.01)، مما يشير إلي ارتفاع مستوى مشكلات التوافق النفسي حيث كان المتوسط الحسابي (76.12) أعلى من قيمة المتوسط الفرضي (72)

التساؤل الثاني: ما نسبة توزيع تلك المشكلات على أبعاد مظاهر المشكلات السلوكية (الدراسية– الوجدانية – ردود الفعل الفسيولوجية – الاجتماعية)؟

للإجابة على هذا التساؤل تم حساب الوزن النسبي لكل بعد من أبعاد المقياس، والجدول التالي.

رقم (3) يبين توزيع المشكلات على أبعاد المقياس

ر.م	الأبعاد	%	الترتيب
1	مشكلات التوافق الدراسي.	0.29	1
2	مشكلات التوافق الانفعالي والعاطفي.	0.20	4
3	مشكلات التوافق الجسمي (فسيولوجية).	0.24	3
4	مشكلات التوافق الاجتماعي (تفاعل اجتماعي).	0.28	2

بالرجوع للجدولين السابقين رقم (2) ورقم (3) يلاحظ أن مشكلات التوافق الدراسي جاءت في الترتيب الأول بنسبة (29%) من مجموع المشكلات، تليها مشكلات التوافق الاجتماعي (تفاعل اجتماعي) بنسبة (29%)، ثم مشكلات التوافق الجسمي (فسيولوجية) بنسبة (24%)، وأخيراً مشكلات التوافق الانفعالي والعاطفي بنسبة (20%).

وبشكل أكثر تفصيلاً داخل مظاهر مشكلات السلوك التكيفي يلاحظ أن جميع مشكلات التوافق الدراسي جاءت في التراتيب المتقدمة وظهرت كنمط إستجابي لدى الأطفال الذين تعرضوا للنزوح حيث تراوحت بين (71% و 85%) وحازت على الترتيب (1–4–6–7–8–9–10–11–12–13).

ويلاحظ أن أكثر المشكلات تكراراً تلك التي لها علاقة (كثير اللهو أثناء الحصة) فقد كانت نسبتها 85% يليها مشكلة (الفزع أثناء سماع الأصوات العالية – عدم تحمل الأصوات العالية – صوت الطائرات) بنسبة 60%، ثم المشكلات المتعلقة بـــ (عدم القدرة على الانتباه وضعف التركيز بشكل عام – وجود صعوبة

في فهم الدروس وضعف التحصيل- وسرعة الغضب السريع والعدوانية) وقد كانت نسبة وجودها (53.33%) ثم مشكلة عدم القدرة على النوم في الليل – صعوبة النوم) بنسبة 51.11% ونلاحظ أن هذه المشكلات كانت نسبة وجودها أكثر من (50%).

التساؤل الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ البنين والبنات في مستوى مشكلات التوافق النفسي (أبعاد وكلي)؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم إجراء (Independent Sample T- Test) لاختبار دلالة الفروق بين المتوسطات والجدول التالي رقم (5) يبين نتيجة ذلك

الجدول رقم (5) يبين نتيجة دلالة الفروق بين متوسطات التلاميذ البنين والبنات في مستوى مشكلات التوافق النفسي (أبعاد وكلي)

البعد	النوع والعدد	المتوسط	الانحراف	قيمة(ت)	مستوى الدلالة
مشكلات التوافق الدراسي.	ذكور22	23.31	4.30	2.35	0.05
	اناث 21	20.09	4.65		
مشكلات التوافق الانفعالي والعاطفي.	ذكور22	14.50	2.52	-1.26	0.212
	اناث 21	15.38	2.01		
مشكلات التوافق النفس-جسمي.	ذكور22	18.63	3.68	0.68	0.497
	اناث 21	17.95	2.76		
مشكلات التوافق الاجتماعي (تفاعل اجتماعي).	ذكور22	21.77	2.70	1.52	0.135
	اناث 21	20.47	2.85		
كلي	ذكور22	78.22	10.69	1.46	0.150
	اناث 21	73.90	8.53		

من خلال الجدول السابق يتضح عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في مستوى مشكلات التوافق النفسي بشكل عام وكذلك في أبعاد مشكلات التوافق الانفعالي والعاطفي، ومشكلات التوافق النفس-جسمي، مشكلات التوافق الاجتماعي، بينما وجود فروق دالة إحصائيا في مشكلات التوافق الدراسي حيث تبين أن الذكور لديهم مستوى أعلى من الإناث في هذا البعد.

التساؤل الرابع: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ النازحين وفقاً لطبيعة ونوع السكن (منزل – مخيم) في مستوى مشكلات التوافق النفسي (أبعاد وكلي)؟.

وللإجابة على هذا التساؤل تم إجراء (Independent Sample T- Test) لاختبار الفروق بين المتوسطات والجدول التالي رقم (6) يبين نتيجة ذلك

الجدول رقم (6) يبين نتيجة دلالة الفروق بين متوسطات التلاميذ النازحين وفقاً لطبيعة ونوع السكن (منزل – مخيم) في مستوى مشكلات التوافق النفسي (أبعاد وكلي)

البعد	نوع السكن والعدد	المتوسط	الانحراف	قيمة(ت	مستوى الدلالة
مشكلات التوافق الدراسي.	منزل27	20.3704	4.05869	-2.520	0.05
	مخيم16	24.0625	4.95942		
مشكلات التوافق الانفعالي والعاطفي.	منزل27	14.0370	2.19232	-4.090	0.05
	مخيم16	16.4375	1.63172		
مشكلات التوافق النفس-جسمي.	منزل27	16.6667	2.35339	-5.485	0.01
	مخيم16	21.0625	2.64496		
مشكلات التوافق الاجتماعي (تفاعل اجتماعي).	منزل27	19.8148	2.41847	-5.314	0.01
	مخيم16	23.3750	1.92787		
كلي	منزل27	70.8889	5.33013	-6.258	0.01
	مخيم16	84.9375	9.44082		

من خلال الجدول السابق يتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ النازحين وفقاً لطبيعة ونوع السكن (منزل – مخيم) في جميع ابعاد مشكلات التوافق النفسي وبشكل عام وكانت جميع تلك الفروق تشير الى ان أطفال المخيمات لديهم مشكلات توافق أكثر من ساكني المنازل.

تفسير النتائج:

رغم أن هذه الدراسة كان الهدف منها بالدرجة الأولى استطلاع طبيعة المشكلات السلوكية أثناء فترة الإحداث التي شهدتها ليبيا خلال السنة الماضية، غير أن ما توصلت إليه من نتائج يعد مؤشرات لها أهميتها في تفسير الكثير من أنماط

السلوك التي أصبحت تنتشر لدى الأطفال وبشكل ملفت للنظر خاصة تلك المشكلات المتعلقة بالتوافق الدراسي مما يستوجب العمل على علاجها.

وتؤكد الدراسات والبحوث العلمية في هذا الصدد أن إهمال علاج هذه المشكلات من شأنه أن يزيد من حدتها مستقبلاً لتأخذ شكلاً تطورياً تتفاعل معها طبيعة ومشكلات المراحل اللاحقة.

فقد لاحظ العلماء أن ثمة تأثير كبير لما يتعرض له الأطفال من صدمات نفسية في أثناء الطفولة في تهيئة الطفل لظهور العديد من الاضطرابات النفسية المباشرة (قصيرة المدى) أو طويلة المدى والتي تظهر في صورة اضطرابات سلوكية أو نقص الانتباه وفرط الحركة كما في دراسة أنجيلا وديفيز. (Davis & Angela 1995). فقد تبين وجود علاقة بين التعرض للإساءة بأنواعها المختلفة في فترة الطفولة وبين أنواع الاضطرابات النفسية في مراحل النمو اللاحقة مما يستدعى الاهتمام بالاستقصاء عن أنواع الإساءات المختلفة كجزء مهم في التاريخ المرضي النفسي، كما يستدعي التوعية العامة لمنع حدوث هذه الإساءات مستقبلاً.

أن ظروف السكن التي يعيشها الأطفال النازحين حتى اولئك الذين يقطنون في مساكن قد تبدو طبيعية يكون الأطفال فيها عرضة للكثير من مشكلات سؤ التوافق الاجتماعي حيث تضطرب العلاقات، وتكثر مظاهر العدوانية كاسلوب للتفاعل بين الافراد خاصة في المخيمات، نضراً للازدحام، فيتعرض الأطفال للاعتداء البدني، مما يؤدي الى ظهور مشكلات التوافق مستقبلاً، فقد وجد أن الأمر لا يقتصر على مرحلة الطفولة ولكن يتعدى الحدود إلى مرحلة البلوغ والرشد، ففي دراسة فقد وجدوا أن (41.6%) ممن لديهم تاريخ سابق للاعتداء عليهم في أثناء الطفولة لديهم اضطرابات وجدانية و(30.8%) لديهم اضطرابات قلق و(13.3%) لديهم اضطرابات فصامية و8.3% قاموا باستخدام المواد المؤثر نفسياً، ديبراه ورفاقه (Deberah et al 1996)، كما وجد ايضاً أن الطفل الذي يتعرض للاعتداء

البدني يكون أكثر قياماً بعمل محاولات انتحارية أثناء فترة المراهقة ثلاثة أضعاف مقارنة بأقرانه. ساندرا وزملاؤها (Sandra et al 1997)

ولا يقتصر الأمر على الأطفال ولكن يتعدى الحدود إلى مرحلة البلوغ والرشد، ففي دراسة ديبراه ورفاقه (Debrah et al 1996) وجدوا أن (41.6%) ممن لديهم تاريخ سابق للاعتداء عليهم في أثناء الطفولة لديهم اضطرابات وجدانية و(30.8%) لديهم اضطرابات قلق و(13.3%) لديهم اضطرابات فصامية و(8.3%) قاموا باستخدام المواد المؤثر نفسياً، كما يرى ماكلير ورفاقه (Mc Leer et al 1988) أن (48.4%* لديهم اضطراب ما بعد الصدمة ترتفع إلى (73%) في حالة ما إذا كان الأب هو المعتدي.

وعندما يتعرض الأطفال إلى الخبرات أو المواقف المحبطة أو المخيفة، عادة ما يرتدون إلى التعبير عن هذا الخوف والإحباط بسلوكيات أو ردود أفعال غير سوية لا تتناسب على الإطلاق مع المرحلة العمرية التي هم عليها وتعرف هذه الظاهرة في أدبيات علم نفس النمو والصحة النفسية بالنكوص Regression).

إن الخبرات غير السارة التي يمر بها الأطفال تترك آثاراً سلبية لا تزول بسهولة، إذ يخاف الطفل من تكرار الخبرات المؤلمة التي مر بها).

إن الخوف هو انفعال يكثر تعرض الطفل له ويلعب دوراً يبلغ من الأهمية في تكوين شخصية الطفل حداً يتطلب أكبر قسط من العناية به وتدبير أمره. فكثير من المخاوف التي لابد أن يلقاها الطفل هي من النوع الهدّام المعجز ولا تجديه نفعا، بل تشتت نشاطه الذي يجب أن يهدف وأن يستخدم في تحقيق رفاهية الطفل.

ويتفق علماء النفس على أن زيادة المخاوف لدى الطفل تعوق حريته وتلقائيته، كما تؤدي إلى نقص قدرته على موجهة توترات الحياة.

والطفل في هذه الظروف وما ولدته لديه من مخاوف ونتيجة لعدم شعوره بالأمان حيث يرى أن العالم الخارجي من حوله ليس مصدر آمان وطمأنينة له

ولذلك فإنه يتجنبه لأنه بذلك إنما يقي نفسه الدخول في مشاكل جديدة تجعله يشعر بالتعاسة. (محمد خير أحمد الفوال، 2006: 24-26.)

كما أن الأطفال الذين تعرضوا لحوادث الصدمة، غالبا ما يتكون لديهم إحساس بأن المستقبل لن يطول، ووجد أن الأفكار الاقتحامية لا تدخل بشكل متكرر إلى الوعي، إلا أن النوم يجلب الكوابيس التي تتكرر فيها حوادث الموت، كما اعتقد هؤلاء الأطفال أن هذه ا لأحلام تنبؤات بالمستقبل. وعند مواجهة المراهقين الذين شهدوا مقتل أحد أبويهم، صرحوا أنهم لن يتزوجوا، ولن ينجبوا أطفالاً، لأنهم يخشون من أن يعاد التاريخ.

ووجد أن اللعب عند الأطفال الذين يعانون من اضطرابات ضغط ما بعد الصدمة مميز بصفته النوعية وخطورته، فهو مرتبط بغير وعي بالحدث الصادم ويوصف اللعب بأنه ثقيل ومقيد وغير ممتع، أما بالنسبة للمراهقين فأنه يأخذ شكلا وسلوكًا متطرفًا مشابهًا لنظرائهم البالغين، حيث تتنوع الأعمال المتطرفة مثل التغيب عن المدرسة، السرقة، وربما الدخول في سلوك مدمر. Schwarzeck,1999) وأحيانا يلجأ المراهق إلى تعاطي الكحول والمخدرات كوسيلة لتجنب المشاعر المؤذية ((Matsakis

وغالبًا ما يعاني الأطفال الناجون من الحوادث الصادمة قدرًا كبيرًا من العزلة، إضافة إلى حدوث بعض المفاهيم الخاطئة حول الحادث الصادم، كما يتولد لديهم اعتقاد بأن الأحداث العنيفة، كانت متوقعة.

التوصيات والمقترحات:

1- إجراء دراسات معمقة على الأطفال الذين تعرضوا لأحداث صادمة خاصة بالمناطق التي شهدت معارك طاحنة ومواجهات مسلحة شهدها الأطفال بشكل مباشر (مصراتة – سرت – بني وليد – معظم مناطق الجبل الغربي – الزاوية – زوارة –اجدابيا – بعض مدن الجنوب).

2- إصدار نشرات توعية خاصة بأولياء الأمور والمعلمين توضح لهم سبل التعامل مع الأطفال الذين تعرضوا لصدمات نفسية، وطرق دعمهم نفسياً.

3- إعداد كوادر متخصصة في مجال الدعم النفسي الاجتماعي للأطفال في الظروف الصعبة.

4- بعث جمعيات ومنظمات أهلية يكون دورها الأساسي تقديم خدمات إرشادية فردية وجماعية للأطفال.

5- إجراء دراسات وأبحاث تستهدف دراسة اضطرابات ما بعد الصدمة (PTSD) وإعداد برامج إرشادية وعلاجية.

6- أنشاء مراكز إرشادية في كافة المدن الليبية للطفل وتزويدها بكافة المتطلبات المادية والبشرية.

المراجع العربية:

1- إبراهيم، عبدالستار الدخيل، وعبدالعزيز وإبراهيم، رضوى (1992) العلاج السلوكي للطفل. سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

2- أبو مصطفى، نظمي عودة (2006)، المشكلات السلوكية الشائعة لدى الأطفال الفلسطينيين دراسة ميدانية على عينة من أطفال الأمهات العاملات وغير العاملات، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد

3- ثابت، عبد العزيز موسى و أبو طواحينه، احمد. السراج، إياد (2007) تأثير هدم البيوت على الصحة النفسية للأطفال الذكور والصلابة النفسية في قطاع غزة، المجلة الإلكترونية لشبكة العلوم النفسية، المجلد الرابع – العدد 15&16 – صيف و خريف 2007.

4- جامعة الأقصى – غزة – فلسطين بيكر، روبرت. وسيرك،يوهدن(2002) دليل تطبيق مقياس التوافق مع الحياة الجامعية، تعريب علي عبدالسلام، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

5- الجبالي، اشرف إبراهيم محمد (2009)، المشكلات السلوكسة لدى الأطفال بعد حرب غزة وعلاقتها ببعض المتغيرات، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية – غزة.

6- حبيب، مجدي 1995، أساليب المعاملة الأبوية وحجم الأسرة كمحددات مبكرة لتطرف البناء في استجاباتهم، مجلة علم النفس، القاهرة، مج9، ع33: 98-128.

7- الديب، علي (1988): اختبار التوافق الشخصي والاجتماعي، دراسات تربوية، "مجلد "3"، عدد 11.

8- سعادة، جودت وآخرون (2002). "المشكلات السلوكية لدي الأطفال الفلسطينيين في المرحلة الأساسية الدنيا بمحافظة نابلس خلال انتفاضة الأقصى

كما يراها المعلمون. وعلاقتها ببعض المتغيرات"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 16، العدد 2.

9- سيد خيرالله، 1981. بحوث نفسية وتربوية، بيروت: دار النهضة العربية.

10- عبدالباقي دفع الله أحمد، علي الجيلي الشيخ عكاشة، عبد الرحمن عثمان عبد المجيد(2012) اضطراب ما بعد الصدمة وسط الأطفال والمراهقين بمعسكرات النازحين بولاية غرب دارفور، دراسات افريقية، 241-289.

11- قوتة، سمير، وبونامكي، لينا، والسراج، اياد، "العلاقة بين الخبرات الصادمة والمشاركة في الانتفاضة والاستجابات الانفعالية والعقلية عند الاطفال الفلسطينيين"، برنامج غزة للصحة النفسية، غزة، فلسطين،. (١٩٩٣)١٥

12- كرستين نصار 1991، واقع الحرب وانعكاساتها على الطفل، طرابلس لبنان: جروس برس.

13- المصري، محمد (2006) أثر علاقة الأبوين بالأبناء في جنوح الاحداث، مجلة كلية التربية، القاهرة: زهراء الشرق 30(2)، 327-346.)

14- النابلسي، محمد احمد، "الامراض النفسية وعلاجها: دراسة في مجتمع الحرب اللبنانية"، مركز الدراسات النفسية، والنفسية الجسدية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧م؟

15- نذر، فاطمة عباس، "الحروب واضطراب السلوك عند الأطفال وكيفية التعامل مع الأزمات". المجلة التربوية، 14 (54) 2000، 168 – 141.

16- و. جلاسر، 1978. مدرس بلا فشل، تر: محمد منير مرسي، القاهرة: عالم الكتب. سيد خيرالله، 1981. بحوث نفسية وتربوية، بيروت: دار النهضة العربية.

المراجع الاجنبية:

1- Debrah S.Lipschitz, Margaret L.Kaplan, Odie B. Sorkenn, Gianni L. Faedda, Pater Chorney and Gregory M. Asnis

(1996). Prevalence and Characteristics of physical and sexual abuse among psychiatric Outpatients, Psychiatric Services, Feb, 47: 189-191.

2- Panter-Brick C1, Eggerman M, Gonzalez V, Safdar S. iolence, suffering, and mental health in Afghanistan: a school-based survey. http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pumbed/19699514

3- Tabet, A. A., Abdulla, T., El Helou, M., & Vostanis, P. (2006). Effect of trauma on children mental health in the Gaza Strip and West Bank (Chapter in a Book, (Eds).

4- GREENBAUM, C. W., VEERMAN, P., BACON-SHNOOR, N (2006). Protectio of Children During Armed Political Conflict. A Multidisciplinary Perspective. http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pumbed/19487608.

Mels C, Derluyn I, Broekaert E, Rosseel Y. Screening for traumatic exposure and posttraumatic stress symptoms in adolescents in the war-affected eastern Democratic Republic of Congo. Arch Pediatr Adolesc Med. 2009 Jun;163(6):525-30. doi: 10.1001/archpediatrics.2009.56.

5- Mollica RF1, Wyshak G, Lavelle J.(1978) The psychosocial impact of war trauma and torture on Southeast Asian refugees. Am J Psychiatry. 1987 Dec;144(12):1567-72..

6- Gruber,Kerry Lyn., "Psychological effects of the civil war on the children of EL- Salvador: A quantitative study", Dissertation Abstracts International, B, 56(10), (1996), 5767.

النسق السياسي ودوره في اتخاذ القرار السياسي
(رؤية تحليلية)

أ. عفاف سالم محمد سعيد

كلية التربية الزاوية – جامعة الزاوية

المقدمة:

تعد دراسة اتخاذ القرار السياسي مدخلاً مهماً فى فهم طبيعة النظم السياسية فى جميع دول العالم، فتحليل عملية اتخاذ القرار تكشف عن مدى ديمقراطية الأنظمة الحاكمة، ودرجة تطور هذه الأنظمة والتوجهات الأساسية للنخبة الحاكمة، ومن هم الأشخاص المسيطرون على العملية السياسية؟، وكيف يديرون الدولة من خلال القرارات السياسية المختلفة؟، وأساليب هؤلاء فى اتخاذ القرار ؟ وهل اتخاذ القرار عملية أو خطوة؟، وقد خلصت الدراسات السياسية إلى نتيجة مهمة تتركز فى أنه كلما اتسعت دائرة المشاركين فى اتخاذ القرار من حيث الأفراد، ومن حيث أدوار المؤسسات الدستورية الفعلية، كلما يكشف ذلك عن تطور حقيقي فى أداء النظام السياسي نحو الديمقراطية، ومن ثم فإن احتمالات النجاح تصبح أكبر من احتمالات الفشل فى اتخاذ القرارات السياسية.

كما أن القرار السياسي يؤدى دوراً رئيساً فى توجيه التفاعلات الثقافية والاجتماعية والتحديث السياسي، وفى عمليات التغير الاجتماعي التى تمر بها المجتمعات المعاصرة، لأن المجتمعات تواجه فى مراحل مختلفة من تاريخها منعطفات واحتمالات متعددة للمستقبل، يتم رسم معالمها الأساسية من خلال قرارات سياسية تمس الحاضر وتغير الواقع، وتمتد بآثارها إلى المستقبل .

لقد شغل موضوع (اتخاذ القرار السياسي) العديد من المحاور الرئيسة فى البحوث العلمية، إلا أننا فى هذا البحث سوف نتناول هذا الموضوع من وجهة نظر سوسيولوجية، قد يراها البعض مخالفة لما هو متعارف عليه اليوم من أفكار سائدة،

لا لشيء إلا لأنها تركز على المعاني الموضوعية والسوسيولوجية التي تتضمنها آليات اتخاذ القرار السياسي. وكمنطلق فى تشخيص العلاقات التى تربط بين النسق والقرار السياسي بوصفهما يشكلان عنصرين أساسيين فى بناء النظام السياسي، فإن اهتمام هذا البحث يتجه نحو التعرف على أهمية عملية اتخاذ القرار السياسي وأن هذا القرار ليس منفصلاً عن وعائه الاجتماعي، فالقرار يكسب أهميته من خلال الإطار السياسي والاجتماعي الذى يشكل أحد متغيراته، وجزءاً أساسياً من تفاعلاته. والتعرف على العوامل المؤثرة فى اتخاذ القرار السياسي، وخصوصاً إذا عرفنا أن أي قرار يتخذ يقاس بفلسفة النظام السياسي، ومنهجه، وطبيعة المجتمع الذى يتولد فيه القرار، ومدى تفاعل الأزمة فيه، كما يهدف لاستكشاف نموذج نظري لتحليل عملية اتخاذ القرار السياسي، من خلال اعتماد إطار منهجي يستفيد من منهج تحليل النظم والمنهج البنائي ــ الوظيفي، الذى يتخذ من النظام السياسي كوحدة متكاملة وحدة للتحليل، ويدرس الأدوار التى يتصل بعضها بأداء وظائف المدخلات فى حين ينصرف بعضها الآخر إلى اتخاذ القرارات السياسية وتنفيذها . كما يستفيد من المنهج السلوكي الذى يهتم بدراسة السلوك الفعلي للقوى السياسية، وتحليله فى الأدوار والوظائف السياسية أكثر من اهتمامه بمحتوى القواعد الدستورية أو الأنماط الأيديولوجية، لأن هذه القواعد والأنماط هي مجرد بنية فوقية تستمد مشروعيتها من الموافقة الجماعية على الحلول التى تكرسها. وهذه الموافقة تبنى على الضرورات الأساسية التي تنجم بدورها عن مجموعة من المعطيات على المستوى المعنوي للتصورات والمعتقدات، وعلى المستوى المادي للرغبات والحاجات. وهذا يرتبط بالضرورة بسلوكية القوى السياسية والطبقية المتنافسة، وبتوازنات هذه القوى، وتفاعلاتها بكل تمايزاتها.

كما يستفيد من مفهوم " المستويات البنيوية " لديفيد ايستون، الذى يتأثر بالبنيوية الماركسية، ويؤكد وجود مستوى بنيوي كلي ومستوى بنيوي جزئي، والعلاقة بينهما تكون إما اختيارية حرة، أو إجبارية مقيدة، أو تنسيقية حاضنة.

وتعتمد طبيعة هذه العلاقة على طبيعة البنية السياسية والمحددات المجتمعية العامة، أي إن هذا المفهوم يقوم على الدمج بين التحليل البنيوي وتحليل النظم.

يشتمل هذا البحث على أربعة محاور رئيسة تتكامل معاً، فى طرح الموضوع من وجهة نظر تركز على تحليل الواقع فى جميع المجتمعات . وقد نستعين ببعض النماذج النظرية السائدة فى الأدبيات السوسيولوجية، وذلك لإيماننا بأهمية المنهج العلمي الذي يسعى دائماً إلى الربط بين النظرية والواقع الاجتماعي . وأخيراً أختتم هذا البحث باستخلاصات نظرية للموضوع.

وكما إننا نحترم التباين النظري الموجود داخل العلم، من أجل تفسير الواقع الاجتماعي المليء بالتباينات والتناقضات البنائية، وبمعنى آخر إن أي نموذج نظري طور ليفسر طبيعة عملية اتخاذ القرار السياسي فى واقع اجتماعي غربي، قد لا يصلح لأن يكون نموذجاً نظرياً يفسر لنا طبيعة عملية اتخاذ القرار السياسي فى واقع اجتماعي عربي له خصوصيته الثقافية والاجتماعية .

ولوضع تشخيص حقيقي وموضوعي لعملية اتخاذ القرار السياسي، سيقوم التحليل على أساس أربعة محاور رئيسة هي:

1. مفهوم القرار السياسي وطبيعته.
2. مراحل اتخاذ القرار السياسي.
3. العوامل المؤثرة فى اتخاذ القرار السياسي.
4. اتخاذ القرار السياسي بين التنظير والواقع الاجتماعي.

أولاً: مفهوم القرار السياسي وطبيعته:

عملية اتخاذ القرار السياسي هي إحدى أبرز وظائف النظام السياسي، أي الوظيفة والاستجابية والتحويلية، التى تكمن فى العلاقة بين النظام السياسي ومحيطه، ومدى استجابة هذا النظام للمطالب الموجهة إليه، والتي تعتمد على عوامل بنيوية وثقافية. وهكذا فإن طبيعة النظام السياسي تتحدد، بالدرجة الأولى، من خلال استراتيجية اتخاذ القرار السياسي ودرجة الرشد والعقلانية فيها، أي أن

الآلية المتبعة فى اتخاذ القرار السياسي هي معيار أساسي للتمييز بين الأنظمة السياسية، من منطلق أن " النظام السياسي هو مجموع آليات اتخاذ القرارات المتعلقة بكلية المجتمع الشامل"[1]، أي مجموعة الأنماط المتداخلة من التفاعلات المؤسسية والسلوكية المتعلقة بعملية اتخاذ القرار .

فالقرارات كما يعرفها (ديفيد إيستون) هي " بمثابة مخرجات النظام السياسي أياً كان شكله، والتي يتم من خلالها التوزيع السلطوي للقيم فى المجتمع سواء أكانت هذه القيم داخلية أو خارجية"[2]. كما تُعرف عملية اتخاذ القرار بأنها " عملية الاختيار الواعي بين مجموعة من البدائل المتاحة والعديدة، لا يخلو أي منها من عنصر الشك، ومن ثم فإن أساس عملية اتخاذ القرار هو الخيار بين البدائل المتاحة"[3].

فالقرار السياسي، وإن صدر فى نهاية المطاف عن القيادة السياسية، إلا أنه محصلة التفاعل بين مجموعة من المتغيرات فى حدود المعطيات المجتمعية والدستورية . وهكذا فإن(جوليان فروند)[4] يؤكد على أن القرار هو بالدرجة الأولى التوفيق بين إرادات غالباً ما تكون متنافرة، لأن مصالح مختلف الكتل والتجمعات كثيراً ما تكون متناقضة، والخيارات السياسية غالباً ما تظهر بصورة تسويات أو حلول سطحية . والقرار السياسي بالنسبة (لجان ــ وليم لا بيير)[5] هو استجابة، فى مرحلة معينة، للمطالب التي توجه إلى النظام السياسي، ومحصلة تنافس وترتيب هذه المطالب مع بقية مدخلات هذا النظام، هذه المحصلة تنطوي دائماً على اختيار بين عدة أهداف ممكنة، أو بين عدة وسائل لبلوغ هدف محدد.

وبهذا المعنى، فالقرار السياسي ينصب فى مرحلته الأخيرة على الاختيار أو المفاضلة بين عدة إمكانيات، أو احتمالات عمل أو تنظيم، وضبط محصورة بين حدود معينة مفروضة من قبل المعوقات التى تحد من قدرة النظام السياسى . وهنا أكد (أحمد ناصوري)[6] على أن عملية اتخاذ القرار السياسي هي مزيج من القوة والنفوذ، ومن الرشد والعقلانية، فى إطار قيم اجتماعية، تتفاعل جميعاً لصياغة

القرار كحل توفيقي بين جميع الاعتبارات. فالقرارات عملية سياسية تعبر عن توزيع القوة والموارد السلطوية، وتتضمن تمثيل المصالح، كما تهدف إلى تحقيق أفضل النتائج الممكنة من الموارد المتاحة.

وهكذا فإن هناك قوتين تتجاذبان عملية اتخاذ القرار السياسي: قوة تجذبها باتجاه تمثيل المصالح الأثقل وزناً نظراً لاستحواذها على عناصر القوة السياسية في المجتمع، وأخرى تجذبها نحو العقلانية والرشد وإقامة نوع من التراتب المعقول بين مختلف المصالح وتحقيق الأهداف المشتركة.

إن عملية اتخاذ القرار عملية معقدة وديناميكية تتدخل فيها مجموعة من العوامل، وتتضمن فى مراحلها المتعددة تفاعلات مختلفة. فما هي مراحل عملية اتخاذ القرار وخطواته؟، وكيف يتم تحويل المطالب إلى قرارات من خلال سلسلة من الإجراءات والتفاعلات بين الأدوار السياسية والأنساق الفرعية المجتمعية ؟.

إذاً فالنظام السياسي هو مجموع التفاعلات المؤسسية والسلوكية المرتبطة بعملية اتخاذ القرار السياسي، والتي تعكس فى حركتها مختلف عناصر الواقع الاجتماعي ومظاهره ومحدداته،فالقرار السياسي ليس منفصلاً عن وعائه الاجتماعي، أي عن السياق الذي يجرى فيه والظروف التى تكتنفه وتحيط به .فلا معنى للقرار بذاته، ولا بترابطه الداخلي، وإنما يكتسب أهميته ومعناه الحقيقي من خلال الإطار السياسي والاجتماعي الذى يشكل أحد متغيراته وجزءاً أساسياً من تفاعلاته وسيروراته. وعملية اتخاذ القرار السياسي هي تحويل المطالب السياسية إلى قرارات، من خلال سلسلة من الإجراءات والتفاعلات بين النسق السياسي والأنساق الاجتماعية الفرعية الأخرى. كما أن المطالب السياسية تتبلور كمحصلة لسيرورات هذه التفاعلات، وهي تعبر عن "حاجات" و "مصالح" فئات وشرائح اجتماعية، وترتبط أيضاً بوجود خلل فى الأنساق الاجتماعية الفرعية، أو في تفاعلاتها المتبادلة وفقدان التوازن بينها. وتؤدي الأحزاب السياسية وجماعات المصالح والنخبة السياسية والرأي العام دوراً فى تجميع المصالح، والتعبير عنها وصياغتها

بوصفها مطالب سياسية، تختلف أهميته وفعاليته باختلاف طبيعة النظامين الحزبي والسياسي. وتخضع المطالب السياسية دائماً لمجموعة من إجراءات الفرز، والتصفية، والتقليص، والتنسيق، بما يتفق ونفوذية النسق السياسي المتغيرة والانتقائية. كما يتم اختيار أحد بدائل التصرف ضمن إطار مجموعة من المحددات تشكل بمجملها البيئة المجتمعية للقرار السياسي وينجم عن كل قرار سياسي منفذ مجموعة من النتائج المباشرة والانعكاسية والترابطية، تدعى " الآثار الارتجاعية " وهذه الآثار تكون إما تراكمية تؤدي إلى زيادة المطالب وتضخمها، وإما معدلة وتخفيفية تساعد في ضبط تنوع المطالب، وإبقائها ضمن إطار قدرة النظام السياسي على التكيف والاستجابة للتغيرات الحاصلة في محيطه.

ونظراً لأن النظام السياسي هو البُنية التي تتكثف فيها تناقضات مختلف مستويات التشكيلة الاجتماعية، إذ إن اختلاف المطالب هو مؤشر على وجود توترات بين القوى الاجتماعية والسياسية، والتي تُصبح " مشكلات سياسية " عندما تتحول إلى صراعات، أي عندما لا تُحل بموجب قرارات لمصلحة المجتمع الشامل.

فما هي الإجراءات الاختزالية التى يعتمدها " النسق السياسي*" للتوفيق بين مطالب سياسية متناقضة، تُصاغ وتدعم من قبل قوى اجتماعية وسياسية تؤدي دوراً أو عدة أدوار فى سيرورة النظام السياسي ؟

تتمثل الإجراءات الاختزالية هنا في تكوين توليفات مختزلة من خلال تجميع ودمج المطالب التي توجد بينها اختلافات تفصيلية في صياغات عامة تمثل نوعاً من الحل الوسط بين هذه المطالب.

* يعرف أحمد ناصورى النسق :هو مجموعة من العناصر يمثل كل منها متغيراً، ويكون من شأن تغير أي من هذه العناصر التأثير فى غيره من عناصر مجموعته، ومن ثم تغير حالة المجموعة بكاملها . والنسق السياسي هو تصور لمجموعة من العلاقات والتفاعلات التى تنتهي باتخاذ القرار السياسي .

والحقيقة أن غالبية التعريفات المُعطاة للقرار السياسي إما أنها تؤكد فقط عملية المفاضلة بين البدائل المتاحة، أو أنها تأخذ بالحسبان كيفية الاختيار وأساليبه والأسس التي يرتكز عليها والخطوات التي تؤدي إليه باعتباره يمثل المرحلة الأخيرة فى عملية اتخاذ القرار، أو أنها تركز بالدرجة الأولى على دور العامل القيادي وأهميته في اتخاذ القرار السياسي. وهكذا، يُمكن التمييز بين ثلاث فئات من تعريفات القرار:

الفئة الأولى ترى أن جوهر القرار السياسي هو الاختيار الواعي بين مجموعة من بدائل التصرف المتاحة. فالقرار كما أشار (محمد سليم)[4] هو اختيار أحد البدائل المتاحة فى إطار السياسات العامة بما يُعظم المنافع. وتعظيم المنافع هو اختيار البديل الذى تعطي نتائجه وزناً تفضيلياً انطلاقاً من دالة واحدة للمنفعة. في حين أكد (إبراهيم درويش)[5] على أن اتخاذ القرار هو عملية عقلية وموضوعية لاختيار أحد بدائل التصرف المطروحة، أو أحد الحلول البديلة والمتاحة، أو أنسب وسيلة متاحة فى موقف معين لتحقيق هدف أو أهداف محددة. أما (السيد عليوه)[6] يعرف اتخاذ القرار بأنه مسار ما يختاره متخذ القرار باعتباره أنسب وسيلة متاحة أمامه لإنجاز الهدف أو الأهداف التى يبتغيها.

فالأساس هنا هو وجود البدائل، لأن وجود هذه البدائل يخلق مشكلة يتطلب حلها اختيار البدائل المطروحة، ولكن تجدر الإشارة إلى أن التركيز فقط على مرحلة اختيار البديل، التي تمثل جانباً واحداً فى عملية اتخاذ القرار السياسي، لا يمكن أن يعطى إلا فكرة جزئية عن ماهية هذا القرار وطبيعته.

فعملية اتخاذ القرار السياسي هي عملية معقدة وتمر بعدة مراحل، وتؤثر فيها مجموعة من العوامل والمؤثرات النفسية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما تتضمن مجموعة من العناصر والاعتبارات التى يتخذ القرار بناءً عليها. ومن ثم فإن إهمال وتجاهل كل هذه المراحل والمؤثرات والاعتبارات ينطوي على نظرة سطحية، ويعطي مفهوماً غير دقيق للقرار السياسي.

الفئة الثانية: وتنطلق من الدور المهم الذى يضطلع به العامل القيادي فى عملية اتخاذ القرار السياسي، وتزاوج بين نموذجي النخبة والسيطرة من جهة، ومدخل الإدراك من جهة أخرى، لفهم طبيعة القرار السياسي وماهيته . فالقرار، إما أنه يعبر عن قيم النخبة الحاكمة وتفضيلاتها، أو يركز على وجود علاقة ترابطية بين نظام المعتقدات وعملية الإدراك وعملية اتخاذ القرار. وفي جميع الأحوال يتجلى دور القيادة السياسية من خلال ثلاثة عناصر هي: القائد والفاعلية والجماعة السياسية.

الفئة الثانية: وتنطلق من الدور المهم الذى يضطلع به العامل القيادي فى عملية اتخاذ القرار السياسي، وتزاوج بين نموذجي النخبة والسيطرة من جهة، ومدخل الإدراك من جهة أخرى، لفهم طبيعة القرار السياسي وماهيته . فالقرار، إما أنه يعبر عن قيم النخبة الحاكمة وتفضيلاتها، أو يركز على وجود علاقة ترابطية بين نظام المعتقدات وعملية الإدراك وعملية اتخاذ القرار. وفي جميع الأحوال يتجلى دور القيادة السياسية من خلال ثلاثة عناصر هي: القائد والفاعلية والجماعة السياسية.

الفئة الثالثة: تؤكد عنصري التنافس والتوفيق بين الآراء والمواقف والمصالح المختلفة . فالقرار السياسي كما يرى (علي الدين هلال)[7] بأنه مجموعة من الإجراءات المعقدة، تنطوي على التداول والمساومة والتفاوض للوصول إلى حلول توفيقية توفر الحد الأدنى المطلوب من التوافق بين اتجاهات ودوافع ومصالح متعارضة. فى حين (السيد عليوه)[8] يرى أن القرار السياسي هو محصلة التفاعلات الرسمية وغير الرسمية التى تتم بين الفاعلين السياسيين في إطار الإيديولوجيا والثقافة السياسية السائدة، ومن خلال الأبنية والمؤسسات القائمة.

إذاً يمكننا من خلال العرض السابق تعريف عملية اتخاذ القرار السياسي بأنها: عملية ديناميكية تتألف من مجموعة من العناصر والأبعاد والمراحل، وتتم ضمن إطار مؤثرات وقيود ومحددات متعددة، وتتضمن كل السلوكيات والتفاعلات

المؤسسية والسلوكية التى تفضي إلى اتخاذ القرار، الذى يقوم على المفاضلة والموازنة بين عدد من البدائل المتاحة، وفق نموذج محدد، بما يعبر عن علاقات وتوازنات القوى فى المجتمع.

ثانياً- مراحل اتخاذ القرار:

مراحل اتخاذ القرار السياسي التي سنعتمدها فى هذا البحث هي: صياغة المطالب السياسية ــ إجراءات التحويل ــ اختيار البدائل ــ اتخاذ القرار وسيرورات آثاره الارتجاعية.

أ.صياغة المطالب السياسية: إن تبلور المطالب السياسية وصياغتها هو محصلة سيرورات التفاعل بين النسق السياسي والأنساق الاجتماعية الفرعية الأخرى، لذلك يمكن تصور ثلاث حالات تنعدم فيها المطالب تماماً:

1. حالة الاستقلالية المطلقة لكل نسق فرعي عن بقية الأنساق الفرعية الأخرى.
2. الحالة التى لا تؤثر فيها مخرجات الأنساق الفرعية، كالنسق الاقتصادي والثقافي وغيرهما، إطلاقاً فى آلية عمل النسق السياسي.
3. الحالة التى تكون فيها هذه الأنساق قادرة على التخلص من القرارات الصادرة عن النسق السياسي، بهدف تنظيم مجمل النشاط الاجتماعي فى المجتمع[12].

ولكن هذه الحالات غير واقعية، حيث أشار (أحمد ناصوري)[13] أن الواقع الاجتماعي لا يعرف الفصل المطلق بين النسق السياسي والأنساق الفرعية الأخرى فى المجتمع. كما أن الظاهرة السياسية تعكس فى حركتها مختلف مظاهر الواقع الاجتماعي، وتمارس تأثيراً كبيراً في هذا الواقع. إضافة إلى أن النسق السياسي غالباً ما يكون "مهيمناً" فى المجتمع، بمعنى أنه يمارس ضغوطاً على الأنساق الفرعية الأخرى أكثر مما تمارس عليه من ضغوط، إذ يعمل على تقليص استقلالية هذه الأنساق، ومن ثم تقليص "لا تزامنية تحولاتها" التي قد تؤدي إلى جمود وأزمة للمجتمع بكامله.

هذا، والمطالب السياسية تعبر ــ من وجهة نظر (ديفيد إيستون) عن "حاجات" اجتماعية، تحددها المعايير الثقافية الخاصة بكل مجتمع. ولكن مفهوم "الحاجة" هي مفهوم نسبي يتغير من مجتمع إلى آخر، كما أن المطالب السياسية لا تعبر دائماً عن حاجات، فقد تعبر عن رغبات أو تطلعات. أما (غابرييل ألموند)، فيميل إلى استعمال مفهوم "المصلحة" من منطلق أنه يشير إلى الطابع التنافسي بين الأشخاص والمجموعات التي تسعى فى إشباع رغباتها وتحقيق أهدافها ومصالحها، دون وجود ما يضمن انسجام وتوافق هذه الأهداف والمصالح. وقد حدد ألموند أربعة أنواع من المطالب السياسية التى يمكن بلورتها وتوجيهها إلى النسق السياسي، تتمثل فى مطالب السلع والخدمات، والمطالب الخاصة بتنظيم السلوك، ومطالب المشاركة السياسية، ومطالب الحصول على المعلومات والاتصال من أجل بيان هدف السياسة[14].

ولكن مفهوم "المصلحة" أيضاً لا يمكن الركون إليه كمعيار دقيق، لأنه يرتكز على دوافع المجموعات ورغباتها أكثر مما يرتكز على تفاعل الأدوار فى السيرورات الاجتماعية، كما يهمل حقيقة الطابع الموضوعي للمطالب السياسية، من حيث كونها بشكل أو بآخر نتاج ظروف موضوعية.

هذا، والنسق السياسي، مهما كان مغلقاً، يتفاعل مع بيئته بكل مكوناتها ومتغيراتها، ويتلقى في آنٍ معً مطالب سياسية مختلفة من الأنساق الاجتماعية الفرعية أو النوعية التى تشاركه مجتمعه الكلي، وتشكل بمجموعها بيئته الاجتماعية الداخلية، ومن النسق الدولي والأنساق السياسية الأجنبية التي تمثل بيئته الإقليمية والدولية. وهذه المطالب تؤثر فى حركية الحياة السياسية، وفى عملية اتخاذ القرار السياسي، التى يحاول النسق السياسي من خلالها التكيف مع متغيرات هاتين البيئتين، واستخدام قدراته المختلفة لمواجهة مطالبهما وتحدياتهما بكفاءة وفاعلية .

ب. إجراءات التحويل (تحويل المطالب السياسية): إن صياغة المطالب من قبل القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع لا تكفي. ولا تعني دخولها

فعلاً وبشكل تلقائي إلى النسق السياسي. فهذه المطالب تخضع ــ بعد صياغتها ــ لمجموعة من إجراءات الفرز والتصفية والتقليص والتنسيق، بحيث يتمكن بعضها فقط من اختراق مدخل النسق السياسي، وذلك لأن نفوذية الأنساق السياسية للمطالب هي نفوذية متغيرة، ودائماً انتقائية، وتختلف باختلاف طبيعة النظام السياسى[15].

إن عملية فرز المطالب وتجميعها لا تتم دائماً من قبل الأحزاب السياسية . كما أن تقسيم السلطات يمكن أن يؤدي دور المصفاة للمطالب، وهذا ما يؤكده المدخل المؤسسي ــ التنظيمي لتحليل عملية اتخاذ القرار السياسي، الذي يرى أن مقاومة المؤسسات لبعضها تحقق نوعاً من توازن القوى، من خلال تأثر

هذه المؤسسات بتحولات الرأي العام، وبالتيارات المختلفة التى تتجمع حولها الميول والنزعات السياسية للمجموعات[16]. هذه المرحلة تعكس إلى حد كبير درجات القوة والنفوذ والموارد السلطوية التى تتمتع بها القوى السياسية. كما أن هذه العملية تتأثر بشكل كبير بطبيعة النظامين الحزبي والسياسي. ففي ظل الأنظمة التعددية، الهيآت الرئيسة التي تقوم بهذا الدور هي المنظمات السياسية والقادة النقابيون والبرلمانيون. أما فى ظل أنظمة الحزب الواحد، فالقيادات والأطر الحزبية هي التي تقوم بهذه المهمة. وهي بطبيعتها تعمد إلى منع صياغة عدد كبير من المطالب السياسية لكي لا تزعج مركز القرار، حتى ولو كانت هذه المطالب تخدم مصالح الشرائح والطبقات الاجتماعية التى يمثلها بحسب الأيديولوجيا الرسمية[17].

إن فرصة الفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة فى إدخال مطالبها إلى النسق السياسي تختلف بحسب طبيعة النظام السياسي. وهنا يؤكد (أحمد ناصورى)[18] فى دراسته التحليلة لعملية صنع القرار السياسي ان الطبقات البرجوازية تكون فرصتها قليلة لإدخال مطالبها بشكل طبيعي إلى النسق السياسي عندما يكون النظام اشتراكياً. وفي ظل الأنظمة الرأسمالية تقل فرصة الطبقات والشرائح الفقيرة، مما

يدفعها فى بعض الظروف إلى محاولة تحقيق ذلك بأساليب ووسائل غير"دستورية " كالعنف والتمرد.

إن عملية الفرز والتصفية لا تستبعد تعددية المطالب السياسية واختلافها، وأحياناً تعارضها وتناقضها، وانطلاقاً من أن النسق السياسي، مهما يكن متطوراً، ليس قادراً على الاستجابة لعدد كبير ومتناقض من المطالب، بسبب محدودية قدراته والمعوقات التي يتعرض لها، فإنه يلجأ في هذه المرحلة إلى تعزيز قدرته الاستجابية من خلال التكيف مع الظروف والوضعيات المتغيرة لوعائه الاجتماعى، وإلى تشديد إجراءات الفرز والتصفية بواسطة مجموعة من التقنيات .

والحقيقة إن أهم مصادر الدعم السياسي التي يستفيد منها النظام السياسي فى هذه المرحلة، هوما يطلق عليه (ديفيد إيستون) تسمية "الدعم الانتشاري". ويقصد بهذا الدعم مجموع المواقف الشعبية الداعمة والمؤيدة للنظام السياسي، واستعدادها للموافقة على خياراته، حتى عندما لا تكون هذه الخيارات مُرضية .ويرتكز هذا الدعم على ثلاثة عوامل، وهى كالآتي:

1.اعتقاد راسخ بمشروعية النظام السياسي لدى غالبية أعضاء الجماعة السياسية بالاستناد إلى أيديولوجيا تبريرية تكرس مشروعية النظام والسلطات القائمة.

2. تكريس إيديولوجيا الإجماع والصالح العام، من خلال تدعيم المواطنة وسمو المصلحة العامة على المصالح الخاصة .

3. التنشئة السياسية وعملية " التعزيز " لخيارات وبدائل القيادة السياسية[19].

أما التقنيات الإضافية التي يلجأ إليها النظام السياسي لتقليص المطالب السياسية فهي: الانتقاء والتصنيف، والتنسيق التركيبي (تنسيق المطالب). فالانتقاء يقصد به تحديد المطالب التى يسمح لها بالاستمرار باتجاه مركز القرار، وتلك التى يجب توقيفها وغض النظر عنها، وهنا يعتمد النظـــام على الدعم الانتشاري للتضحية بمطالب بعض الفئات والشرائح الاجتماعية بشكل مؤقت. في حين يشير التصنيف إلى تنظيم مرور المطالب إلى مركز القرار زمنياً، فالمطالب الملحة التي لا يمكن

تأجيلها تعطي الأولوية، وبقية المطالب الأخرى ترتب بحسب أهميتها ودرجة إلحاحيتها. أما تنسيق المطالب الذي يدعوه (ألموند) "إدماج المصالح"، أي تكوين توليفات مختزلة من خلال تجميع ودمج المطالب التي توجد بينها اختلافات تفصيلية، ولكنها غير متناقضة، في صياغات عامة تمثل نوعاً من الحل الوسط بين هذه المطالب.

ولكن الاعتقاد بإمكانية التغلب على جميع التناقضات في المطالب من خلال الإجراءات الاختزالية هو نوع من إحلال الرغبات مكان الواقع الفعلي، لأنه توجد دائماً مطالب متناقضة غير قابلة للتوفيق انطلاقاً من أن النظام السياسي هو "البنية التى تتكثف فيها تناقضات مختلف مستويات التشكيلية الاجتماعية".

ومن هذه المطالب مصاغة ومدعومة من قبل قوى سياسية متناقضة، بحيث يغدو من الاستحالة الاستجابة لجميع هذه المطالب بقرارات مناسبة.

ج. اختيار البدائل: تتم عملية البحث عن البدائل وفق أحد نموذجين هما: النموذج التحليلي والنموذج المعرفي.

1. **النموذج التحليلي:** يتفق هذا النموذج مع مدخل الفاعل العقلاني لإتخاذ القرار السياسي، الذى يفترض أن القرار هو محصلة لتصرف عقلاني فى وحدة اتخاذ القرار السياسي، إذ يتم اختيار البديل الذى يحقق أكبر قدر ممكن من المنفعة، وذلك من خلال:

أ. تحديد جميع النتائج المحتملة لكل بديل.

ب. تحديد القيم التي تتأثر نتيجة اتخاذ القرار بها، وإعطاء كل منها وزناً تفصيلياً معيناً طبقاً لأهميتها بالنسبة لمركز القرار.

ج. إعطاء كل نتيجة وزناً تفضيلياً طبقاً لعلاقتها بكل قيمة على حدة.

د. تحديد دالة واحدة للمنفعة، بحيث يكون الاختيار النهائي هو الذي يعظم المنافع.

ولكن يؤخذ على هذا النموذج بأن فرضياته غير واقعية، لأنه كلما تتوافر لمركز القرار المعلومات والبيانات الكافية عن كل موقف وقضية، وخاصة فى ظروف التأزم التى تتسم بالمفاجأة وضيق الوقت.

كما أن تقويم المنافع لا يتم دائماً بطرائق علمية وموضوعية وعقلانية، وإنما يحكمها عدد من التفضيلات القيمية والإيديولوجية.

2. **النموذج المعرفى:** يتفق هذا النموذج مع مدخل الإدراك لاتخاذ القرار السياسي، إذ يتصرف مركز القرار السياسي تبعاً لتصوراته الشخصية التى تتأثر بالقيم والمعتقدات التي تكمن في شخصيته وتشكل محدداته النفسية. وهكذا يتم البحث عن البدائل المتسقة مع النسق العقيدي لمركز القرار وتصوراته المسبقة، كما يتم اختيار البديل الذى يستجيب لقيمة معينة يحددها مركز القرار سلفاً، بحيث تغدو عملية الاختيار بمنزلة عملية قياس على النسق العقيدي لمركز القرار. أي أن هذا النموذج ينطلق من تصور مسبق للقرار، وجمع المعلومات للتأكد من مدى صحته.

ومما سبق نلاحظ عدم وجود تعارض مبدئي بين النموذجين التحليلي والمعرفي، إذ قد يكون النموذج التحليلي جزءاً من العقائد السياسية لمركز القرار، بحيث يقوم هذا الأخير بحساب الاحتمالات والمخاطر بشكل عقلاني ورشيد، ومن ثم فإن مركزية دور القائد السياسي لا تعنى بالضرورة الإقلال من أهمية النموذج التحليلي فى عملية اتخاذ القرار.

وفى كل الأحوال تعتبر عملية الاختيار هي مجازفة دون ضمان، لأن هناك دائماً مناطق غير يقينية فى المعلومات، بالإضافة إلى عدم تحديد في المطالب، وتنوعات فى بعض متغيرات النسق السياسي، وعدم يقينية السيرورات والنتائج، وعلى الرغم من أن القرار هو عمل إرادي، بموجبه يتم الاختيار والمفاضلة بين عدة احتمالات أو بدائل، فإن إرادة الاختيار لدى مركز القرار ليست حرة ومطلقة، لأن اختيار أحد بدائل التصرف يتم ضمن إطار مجموعة من المحددات، تشكل

بمجملها البيئة المجتمعية للقرار السياسي. وهذه البيئة ديناميكية تحكمها توازنات القوى المختلفة والتفاعلات بين هذه القوى بكل تمايزاتها، مما يعني بأن ثمة دائماً واقعاً موضوعياً يتجاوز الإرادة الشخصية لمركز القرار. كما أن عنصر التوقع يحتل حيزاً كبيراً فى عملية الاختيار، ويقصد به توقع النتائج والآثار الاحتمالية لكل بديل من بدائل التصرف المتاحة، وهو بطبيعته غير يقيني لأنه يبنى على أساس المعلومات والمعطيات المتوافرة، والتي نادراً ما تكون كاملة ودقيقة وتفصيلية، ومن هنا عدم اليقينية في اتخاذ القرار السياسي.

د. اتخاذ القرار وسيرورات آثاره الارتجاعية: إن عملية اتخاذ القرار هي سلسلة من الإجراءات والتفاعلات بين النسق السياسي والوعاء الاجتماعي الذى يحتضنه ويتفاعل معه، ومجموعة من " السيرورات " ذات أنماط متعددة ومتداخلة ومتعلقة بفئة محددة من النشاط السياسي هي عملية اتخاذ القرار فى المجتمع، ويقصد بالسيرورات السياسية سلسلة متتابعة من العلاقات المترابطة والتفاعلات بين أدوار سياسية يؤديها فاعلون سياسيون هم الأفراد والجماعات السياسية.

يعرف (جوليان فروند)[20] "الأثر الارتجاعي" بأنه: المعادل الموضوعي للتأثير المتبادل بين النسق السياسي والأنساق الفرعية الأخرى في المجتمع، والتي تشكل بمجملها محيط هذا النسق.

فالقرارات السياسية التى تصدر عن النسق السياسي، وتنفذ بشكل سليم، ينجم عنها نتائج وآثار يحصل بعضها بشكل مباشر، وبعضها الآخر بشكل غير مباشر من خلال التفاعلات والتأثيرات المتبادلة بين مختلف الأنساق الفرعية وردود فعلها على القرارات المنفذة .أما النتائج الغير مباشرة تدعى"انعكاسات" أو "ارتدادات" وهي منطقياً العنصر المحتمل للقرار السياسي، الذي ينشأ عن المصادفة التي يمكن، في بعض الحالات، تقويمها بحساب الاحتمالات، وهذه المصادفة هي في حقيقتها عقبات غير متوقعة ناجمة عن أن كل فعل يولد رد فعل، ويثير تناقضات ونتائج فرعية جديدة. كما أن القرار السياسي الذى يكون موجهاً بشكل خاص نحو

أحد الأنساق الفرعية، يؤثر أيضاً فى بعض الأنساق الأخرى، ويعدل بعض عناصرها، وهذا التأثير يدعى "النتائج الترابطية" التي تدخل ضمن إطار الآثار الارتجاعية، وتضاعف من عدم يقينية الخيارات السياسية.

وهكذا كلما كانت الآثار الارتجاعية أكبر على الأنساق الفرعية، كانت الصعوبة أكبر في إحكام الرقابة على هذه الأنساق، والتحكم بآثار القرار السياسي.

مما سبق نلاحظ أن درجة حدة الآثار الارتجاعية على المطالب السياسية ترتبط بثلاثة عوامل:

1.هناك فى غالبية المجتمعات المعاصرة نزوع نحو تضخم المطالب السياسية، بسبب تطور هذه المجتمعات، والتقسيم المتزايد للعمل، وحدة التمايز الاجتماعى فيها.

2. طبيعة النظام السياسي: فالأنظمة المغلقة نسبياً تهدف غالباً إلى المحافظة على بقائها بالدرجة الأولى، مما يجعل متغيراتها تقتصر على محاولات التخلص من تأثيرات المحيط، ومن ثم فإن غالبية قرارتها هي قرارات الضبط والتنظيم السياسي، أي محاولة الحد من التغيرات فى الأنساق الفرعية الأخرى، بهدف الحفاظ على نمط آلية عملها، وتنسيق تفاعلاتها وتأثيراتها المتبادلة . أما الأنظمة الأكثر انفتاحاً، فلديها القدرة على التحول الذاتي استجابة للتغيرات الحاصلة في محيطها، من خلال تعديل تنظيمها وآلية عملها بواسطة التنمية والتحديث السياسي، بحيث يصبح النظام أكثر تخصصية فى مؤسساته وهيئاته.

3. إن القرار السياسي لا يُمكن أن يكون موضوعياً بشكل كامل وقطعي، ولا يُمكن أن يوجد حل نهائي لأية قضية اجتماعية، فجميع الحلول مؤقتة، بسبب المعطيات والمصالح وتنافر الإرادات.

وبهذا الخصوص أكد (أحمد ناصوري)[21] فى دراسته التحليلية لعملية صنع القرار السياسي أنه في جميع الأحوال، النسق السياسي له القدرة على التكيف والاستجابة لمتغيرات محيطه، استناداً على نتائج قراراته السابقة وانعكاساتها،

وقدرته على ضبط قراراته اللاحقة وملاءمتها مع الأهداف المتوخاة، ترتبط إلى حد كبير بامتلاكه معلومات دقيقة وكافية عن الهوة بين الأهداف المتوخاة والنتائج المحققة من اتخاذ القرار وتنفيذه . ومن مؤشرات هذه الهوة تغير المطالب السابقة لاتخاذ القرار وتنفيذه أو عدم تغيرها. فإذا كان الهدف من القرار هو الاستجابة لمطلب معين، فان استمرار هذا المطلب نفسه يدل دلالة قاطعة على عدم بلوغ الهدف المتوخى.

ومن العرض السابق يتضح ان التضاعف الارتجاعي للمطالب السياسية قد يكون من الحدة بحيث يصبح أي حل توازني مستحيلاً، مما يؤدي إلى وضع "ثوري" هو حتماً نتيجة السيرورة التراكمية لشدة المطالب وحدة تنافسها، نظراً لعدم صوابية القرارات السياسية وعجزها عن التخفيف من حدة تنافس المطالب، مما يؤدي بالنتيجة إلى تفاقم الانقسامات والتناقضات التي لا يمكن حلها إلا بشكل جذري، أي بالقضاء على بعض القوى أو إخضاعها، من خلال تعديل بعض العناصر التنظيمية للنظام السياسي أو تغييرها، أو من خلال تعديل آلية عمل الأنساق الفرعية فى محيط النسق السياسي أو تعديل تفاعلاتها وتأثيراتها المتبادلة .

ثالثاً : العوامل المؤثرة في اتخاذ القرار السياسي:

هناك مجموعة من العوامل المؤثرة فى اتخاذ القرار السياسي، كدور القائد وشخصيته وطموحاته، والتركيب الاقتصادي ــ الاجتماعي، والرأي العام، والأحزاب السياسية، جماعة المصالح، وطبيعة النظام السياسي ...الخ . فعملية اتخاذ القرار تؤثر فيها مجموعة من العوامل والمؤثرات النفسية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما تتضمن مجموعة من العناصر والاعتبارات التى يتخذ القرار بناءً عليها.

كما يعتقد إسماعيل مقلد[22] بأن هناك مجموعة من المتغيرات التي تؤثر في عملية اتخاذ القرارات السياسية تتمثل في البيئة الخارجية بكل أبعادها وضغوطها ومؤثراتها، والبيئة الداخلية والتي تشمل الوضع الاجتماعي السائد والنظام السياسي

والاقتصادي للدولة والمؤسسات السياسية الموجودة فيها مثل الأحزاب السياسية وجماعات المصالح.

وفي نفس السياق، يصنف K.J. Holsti [23] العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار السياسي إلى عوامل خارجية تشتمل على طبيعة وتركيبة النظام السياسي والاقتصادي العالمي، وأهداف وسلوك أطراف النظام السياسي الدولي، وطبيعة المشكلات الدولية والإقليمية، والقانون الدولي والرأي العام العالمي، وعوامل داخلية تضم الظروف الجغرافية والصفات العامة للدولة مثل حجمها الجغرافي وعدد سكانها ودرجة نموها وتطورها الاقتصادي، إضافة إلى طبيعة تركيب نظامها السياسي وأيدولوجيتها وفلسفتها السياسية والرأي العام المحلي والأحزاب السياسية وجماعات المصالح ومؤسسات اتخاذ القرار فيها، وبعض الاعتبارات الأخلاقية والشخصية التي تؤثر في عملية اتخاذ القرار مثل التصورات والقيم والمواقف والمعتقدات والمبادئ والأيدولوجيات.

ويمكن إيجاز أهم العوامل المؤثرة في اتخاذ القرار السياسى على النحو الآتي:

أولاً : المتغيرات الموضوعية:

1- المتغيرات الداخلية: ويقصد بها كل العوامل والعناصر المكونة للبيئة الداخلية والتي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في عملية اتخاذ القرار.

أ.النظام السياسي والاقتصادي: أن عملية اتخاذ القرار السياسي مرتبطة مع طبيعة النظام السياسي للدولة فالنظام السياسي من حيث كونه ديمقراطي، أو غير ديمقراطي، يؤثر في عملية اتخاذ القرار، من حيث الجهة التى تتخذ القرار ومدى مشاركة أكثر من طرف في هذه العملية ومن حيث المراحل التى تمر بها عملية اتخاذ القرار، ففي النظم الديمقراطية تخضع هذه العملية لإجراءات ومشاورات ومناقشات طويلة مع جهات عديدة، ويلزم لتنفيذها موافقة أكثر من جهة، وهذه الاجراءات تؤدي إلى تأخير اتخاذ القرار وتنفيذه، مما يفقد القرار فاعليته. وهنا يؤكد إسماعيل المقلد[24] بأن زيادة حجم المشاركة في عملية اتخاذ القرار فى هذه

الأنظمة، تؤدي إلى فقدان السرية، واحتمال معرفة أطراف خارجية بتفاصيل عن هذا القرار قبل اتخاذه.

وفي مقابل ذلك يؤكد هاني الحديثي[25] بأن الأمر يختلف عن ذلك في الأنظمة غير الديمقراطية، فإن عملية اتخاذ القرار تتم فى نطاق ضيق، ولا يشارك فى اتخاذه إلا عناصر محدودة، فضلاً عن أن عملية اتخاذ القرار هنا تتميز بالسرعة في مواجهة المواقف الخارجية، لأن متخذ القرار لا يحتاج إلى مراجعة مؤسسات أخرى فى الدولة لكي يكسب هذا القرار شرعيته منها، كما هو الحال فى الأنظمة الديمقراطية.

كما ويؤثر النظام الاقتصادي في عملية اتخاذ القرار من زوايا عديدة، فالدولة التي تتمتع بنظام اقتصادي قوي، وتمتلك ثروات طبيعية وطاقات إنتاجية ضخمة نسبياً، تكون لديها حرية أكبر عند اختيارها البدائل المطروحة أمامها، وأن قدرتها الاقتصادية هذه تساعدها على تحقيق أهدافها التي تسعى إليها من وراء هذه القرارات. أما الدول التي تكون قدرتها الاقتصادية ضعيفة، فإن هذا الأمر يحد من حريتها في القدرة على اختيار البدائل التي تتلائم مع مصلحتها القومية، ولهذا فإنه لا تتمتع بحرية كبيرة واستقلالية فى قراراتها السياسية الخارجية، بسبب حاجتها الاقتصادية للأطراف الأخرى التي قد تتدخل فى بعض المواقف للمشاركة في اتخاذ قرارات هذه الدولة، وتحديد البدائل الواجب اختيارها.

ومما سبق ترى الباحثة أنه يجب ربط القرار السياسي بشكل مرن بالقرار الاقتصادي لتتمكن الدولة من تحقيق مكاسب سياسية إلى جانب المكاسب الاقتصادية.

ب.الأحزاب السياسية: يعد الحزب السياسي من أبرز المؤسسات السياسية التى تسهم فى اتخاذ القرار السياسي، ويتوقف دور الحزب السياسي فى عملية اتخاذ القرار على طبيعة النظام السياسي الذي يعيش فيه هذا الحزب، ففي النظم السياسية التي تعتمد سياسة الحزب الواحد، يقل دور الأحزاب (غير الحزب الحاكم) فى

عملية اتخاذ القرار، وقد ينعدم تماماً، حيث تحرم من المشاركة فى الحكم بأي صورة من الصور، وتبقى في موضع ملاحقة مستمرة، من قبل النظام، ولهذا فإن الحزب الحاكم يكون له الدور الرئيس في عملية اتخاذ القرار، كما أن متخذي القرار يتأثرون ببرنامج الحزب ومبادئه.

وهنا يمكن القول بأن الحزب الحاكم فى الدول الاشتراكية وبعض الدول النامية التي يحكمها الحزب الواحد غالباً ما يكون تأثيره فى السياسة قوياً جداً، وهو الذى يلعب الدور البارز في صنع السياسة الخارجية وفقاً لعقيدة الحزب السياسية . بينما الأنظمة السياسية التي تسمح بتعدد الأحزاب، يبرز دور الأحزاب فى عملية اتخاذ القرار، سواء أكانت هذه الأحزاب مشاركة في الحكم، أو تقف فى صف المعارضة مع اختلاف درجة التأثير فى الحالتين.

فإذا كان الحزب فى قمة السلطة، فإنه يختار من القرارات ما يتلائم مع أفكاره ومبادئه إلا أن هذا الوضع يختلف عندما يشارك فى الحكم أحزاب عدة في شكل ائتلاف، إذ تشارك جميعها فى اتخاذ القرارات، وبذلك تصبح عملية اتخاذ القرار عملية توفيقية لمجمل آراء الأحزاب المشاركة . ومن ثم يمكن القول إنه يقل تأثير الأحزاب السياسية فى عملية اتخاذ القرار أكثر، عندما تكون في موضع المعارضة بالرغم أنه لها دوراً ملموساً فى توجيه السياسة الخارجية . وهنا يؤكد أحمد عارف[26] أن الأحزاب تستخدم وسائل متعددة للتأثير، أو المشاركة فى عملية اتخاذ القرار، فقد تسعى إلى كسب أكبر قطاع من الرأي العام، حول سياستها وبرنامجها، كما تحاول التحالف مع أحزاب أخرى لتحقيق هذا الهدف .

ج. جماعة المصالح: هي منظمات تضم مجموعة من الناس ذات مصالح مشتركة، وتختلف هذه الجماعات عن الأحزاب السياسية في أنها تضغط على متخذي القرارات فى السلطة من أجل تحقيق أهدافها، وليس الوصول إلى الحكم، كما هو الحال بالنسبة للأحزاب السياسية . ويختلف تأثير هذه الجماعات على عملية اتخاذ القرار السياسي بحسب ارتباطـــها وتأثرها بهذه القرارات، فالجماعات الاقتصادية

التي لها أهداف ذات صبغة دولية يهمها دائما أن تبقى علاقاتها ودية مع الدول التي تتعامل معها، ولهذا فإنها تحاول الضغط على متخذي القرار، بهدف منعهم من اتخاذ أي قرار يمس هذه العلاقات.

وبهذا الخصوص يشير إسماعيل مقلد[27] إلى أن جماعات المصالح غالباً ما تكون مرتبطة بدول خارجية تسعى دائماً للمحافظة على مصالح هذه الدول، عن طريق ضغطها على متخذي القرار في الدولة، وتعتمد هذه الجماعات في ضغطها على متخذي القرارات السياسية على وسائل عدة منها الترغيب والترهيب، أو محاولة التأثير على الرأي العام، وتعبئته بأفكار لصالحها، أو تشجيعه على الاضطرابات والتظاهرات وغير ذلك من الوسائل.

د. الرأى العام: لقد عرف " فلويد أولبورت " الرأي العام، بأنه تعبير عن حجم كبير من الأفراد عن آرائهم فى موقف معين، أما من تلقاء أنفسهم أو بناءً على دعوة إليهم تعبيراً مؤيداً أو معارضاً لمسألة أو شخص معين أو اقتراح ذي أهمية واسعة بحيث يكون العدد ذا نسبة كافية لممارسة التأثير على اتخاذ إجراء معين سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

لذلك يعد الرأي العام من أحد العوامل المهمة بل والمشاركة فى عملية اتخاذ القرار السياسي. فمن ضمن المعروف أن تقنين العلاقة بين الرأي العام ومتخذي القرارات يؤدى إلى خلق التفاعل الطبيعي بين اهتمامات الرأي العام وقراراته وقرارات السلطة السياسية، الأمر الذى يضمن الحفاظ على الاستقرار السياسي والاجتماعي من ناحية وأحداث التغيرات المجتمعية بطريقة سليمة من ناحية أخرى.

ومن هنا يمكن القول إن الرأي العام يعد من أهم العوامل التى يضعها متخذ القرار في حساباته مهما كان شكل النظام السياسي الذي يسيطر على مقاليد الحكم .

إذ يمثل الرأي العام قيداً مهماً على متخذ القرار، سواء أكان القرار داخليا أو خارجيا، ولكي يكون دور الرأي العام فعالاً فى عملية اتخاذ القرار السياسي، يجب

أن تتوافر لمتخذ القرار خصائص ثقافية واقتصادية معينة، وأن يكون ملماً بمعلومات كافية عن الكثير من الدول الخارجية، والمشكلات السياسية الدولية المصاحبة، كما يتوقف تأثير الرأي العام على القرارات السياسية، على وسائل الاتصال المختلفة التى تمكنه من أن ينقل آراءه بواسطتها لمتخذ القرار . وهنا أكد (إبراهيم سعد الدين)[28] أن الرأي العام له دور فى عملية اتخاذ القرار السياسي ويختلف هذا الدور حسب نوعية النظام السياسي في الدول، ففي ظل النظم الديمقراطية، حيث توجد حرية أكبر في التعبير عن الرأي، عن طريق وسائل إعلامية جديدة، يأخذ متخذوا القرار في اعتبارهم موقف الرأي العام. وخاصة إذا كان القرار يمس بمصالحه. وهنا يجب أن نشير نقطة مهمة وهي عدم الاعتقاد بأن وجود الديمقراطية وما يصاحبها من حريات مختلفة في التعبير عن الرأي يعنى أن للرأي العام دوراً فعالاً في عملية اتخاذ القرار، ففي ظل هذه الأنظمة يمكن أن يضلل الرأي العام فيها، ويوجه الوجهة التي يرغبها النظام، ويكون ذلك عن طريق نشر معلومات مضللة عن أنظمة حكم معين، في بعض الدول أو عن تحرك دولي معين أو مشكلة دولية ما.

وفي مقابل ذلك لا يمكننا القول بأنه لا يوجد أي دور للرأي العام فى عملية اتخاذ القرار فى المجتمعات غير الديمقراطية، فدور الرأي العام هنا موجود، إلا أنه قليل التأثير، فمهما كانت فردية اتخاذ القرارات، في ظل أي نظام، فأن متخذ القرار لا يمكن أن يتجاهل دور الرأي العام، عند اتخاذه أي من القرارات وخصوصاً التي تكون على تماس مع آراء الناس.

ومما سبق يمكن القول إن دور الرأي العام في عملية اتخاذ القرار السياسي يبرز بشكل واضح في الأزمات والظروف غير العادية، التي يشعر فيها النظام السياسي بالتهديد الخارجي ففي هذه الحالة يبرز الرأي العام كقوة ضاغطة على جهاز اتخاذ القرار، الذي تصبح دائرة الخيارات لديه ضعيفة ومحدودة .

2- المتغيرات الخارجية: وهي تعنى كل العوامل الخارجية المؤثرة في عملية اتخاذ القرار السياسي والتي يمكن حصرها فى المحيط المادي والجغرافي.

أ.النظام الدولي العام: تشكل القرارات التي تعمل على أساسها الدول بشكل عام الروح الحركية والتفاعلية التي تنظم من خلالها مسيرة الحياة في الداخل أو في علاقات تلك الدول مع العالم الخارجي، لذلك فإن خطورة وأهمية اتخاذ القرار يكون كبيراً لما قد يتسبب به من فوضى في حال لم يؤسس على قواعد علمية وعملية قوية، وهنا لا بد من التأكيد على ضرورة الاعتناء بالقرار قبل إصداره، لذلك يبرز الاهتمام باتخاذ القرار من قبل معظم دول العالم لأهميته البالغة.

التغير في شكل وطبيعة النظام الدولي العام، يؤثر فى عملية اتخاذ القرار السياسي، فالدول فى ظل نظام تعدد الأقطاب، تتوافر لها حرية أكبر فى الحركة، واتخاذ القرارات كما يصبح للدول الصغرى قدرة أكبر على المناورة الخارجية عن طريق التلويح بالانضمام إلى حلف معين، أو الانسحاب من الحلف المنظمة إليه.

لقد أصبحت بنية النظام الدولي تأخذ دوراً مهماً فى التأثير فى القرار ومدى تنفيذه وظهرت هذه الأهمية فى المرحلة المعاصرة نتيجة وجود معطيات جديدة منها ما يلي:

وجود المنظمات الدولية وأهمها منظمة الأمم المتحدة، ومنظمات حقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني.

العلاقات القانونية بين الدول على وفق القانون الدولي، فكثيراً ما أخذت القرارات السياسية طابعاً دولياً من خلال تأثيرها في العالم الخارجي نتيجة العلاقات الإيجابية والسلبية بين الدول.

قيام تكتلات اقتصادية وعسكرية تؤثر في اتخاذ القرار داخل الدول الأعضاء في هذه التكتلات لما للقرار من أهمية فى مسايرة أهداف ذلك التكتل ومناهجه وأفكاره.

ب. الأزمة السياسية الدولية: يعرف (محمد سليم)[29] الأزمة السياسية بأنها موقف سياسي مفاجئ يشكل تهديداً سياسياً للأهداف القومية مع وجود مدة محدودة من

الوقت لإتخاذ القرار، أي أن هناك ثلاثة عناصر تتميز لها الأزمة (المفاجأة، التهديد، قصر الوقت) وتتطلب الأزمة اتخاذ قرارات سريعة.

وهنا يشير (وليد عبد الحى)[30] إلى أن شخصية متخذ القرار تلعب دوراً بارزاً في عملية اتخاذ القرار بسبب ضيق الوقت الذي لا يسمح به الرجوع إلى المؤسسات السياسية كافة، مما يؤدى إلى الإقلال من عدد المشاركين في عملية اتخاذ القرار، وقد يتطلب تشكيل مجموعة لبحث الأزمة بالذات واتخاذ القرارات المتعلقة بها . وكلما كانت الأزمة أكبر، كانت الحاجة أكثر للتقريب بين متخذي القرار.

وهنا يمكن القول إن الأزمة يكون لها أحياناً أثر سلبي في القدرات والمهارات المعرفية لمتخذي القرار. فالأزمة قد تخلق موقفاً من الضغط النفسي يؤدي إلى تدهور القدرة على الانتباه إلى المعلومات وفهما للتعرف على الموقف، مما يؤثر سلبياً في قدرة متخذ القرار في البحث عن المعلومات والبدائل والاعتماد بشكل أكبر على النظام العقيدي، والخبرات السابقة لفهم الموقف وهذا من شأنه أن يؤدي إلى التحليل الخاطئ .

لذلك تكمن براعة القيادة فى تصور إمكانية تحويل الأزمة وما تحمله من مخاطر إلى فرصة لإطلاق القدرات الإبداعية التى تستثمر الأزمة كفرصة لإعادة صياغة الظروف كما وأن ضيق الوقت يزيد من الضغط النفسي الذي يؤثر في قدرة متخذ القرار في اختيار البديل المناسب .

إن أهم ما يسعى إليه متخذ القرار هو السعي لممارسة الضغط بشكل مرن وحكيم وفق مقتضيات الموقف "الساعي إلى التعايش والتوافق من دون أن تتحمل دولهم تكلفة أو خسائر، ومن ثم يكون متخذ القرار قد حقق أكبر قدر من الأهداف وحماية مصلحته الحيوية وذلك من خلال استخدامه وسائل إدارة الأزمات مثل الوسائل الدبلوماسية (المساعى الحميدة) المفاوضات، التوفيق، عرض المنازعات

على المنظمات الدولية والإقليمية أو استخدام الوسائل القانونية مثل التحكيم الدولي أو آخرهما اللجوء إلى استخدام وسائل العنف .

ثانياً: المتغيرات الذاتية: لمعرفة أثر المتغيرات الذاتية في عملية اتخاذ القرار السياسي سنتكلم عن أثر كل متغير ودوره على حده، وهذه المتغيرات هي: الخصائص الشخصية ــ النظام العقيدي والقيمي لمتخذ القرار ــ الايدولوجية.

1.الخصائص الشخصية: هي مجموعة من الصفات التى تتعلق بشخصية القائد السياسية والتي تؤثر فى أسلوب صياغته للقرارات السياسية وتعامله معها ويكتسب القائد السياسي هذه الخصائص عبر مراحل حياته المختلفة ومن هذه الخصائص التسلط، القدرة على الابتكار، روح المغامرة، السعي نحو الشهرة، تحقيق الذات، وتلعب هذه الخصائص دوراً واضحاً فى عمليـــة اتخاذ القرارات، ويظهر ذلك فى طريقة تعامل القائد السياسي مع مرؤوسيه وكيفية ردود فعله لتصرفات الأطراف الأخرى، وتأثيرها عليه وتسرعه في اتخاذ القرارات ومدى مرونته وتقبله للحلول الوسط .

ويرى (جاك تيلور)[31] أن الخصائص الرئيسة للشخصية القيادية كما استخلصها من مجموعة الدراسات التجريبية الواسعة التي قام بها هي: القدرة العقلية ــ الاهتمام بالعمل ــ المهارة في الاتصالات ــ القدرة على حفز المرؤوسين إلى إنجاز العمل بدقة.

بالإضافة إلى ذلك أكد (أحمد عارف)[32] في دراسته حول العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار السياسي في السياسة الخارجية بأن للفرد دوراً كبيراً قد يفوق القوى الهيكلية الأخرى في اتخاذ القرارات السياسية في العالم الثالث لظروف تلك البلدان التى لم تستطع عبر تجاربها السياسية أن تفرز دولة مؤسسات يأخذ القرار فيها الطابع المؤسسي كما لا يمكن تجاهل دور البيئة الخارجية الذي تعاظم في الظروف الحالية وازدياد الضغط على هذه الدول فيما تتخذ من قرارات .

2. النظام العقيدي والقيمي لمتخذ القرار :يقصد بالنظام العقيدي لمتخذ القرار مجموعة العقائد والقيم التى تتكون لدى متخذ القرار عن البيئة الخارجية وتتميز هذه العقائد بالترابط وعدم التناقض فيما بينها بحسب ما يراه صاحبها بحيث تشكل لديه نظاماً عقائدياً يساعده على ضبط المعلومات الممكن قبولها واستيعابها من البيئة الخارجية، فمتخذ القرار يتلقي فيضاً من المعلومات من مصادر مختلفة غير موثوق من صحتها وبواسطة نظامه العقيدي نتيجة اهتمامه نحو معلومات معينة وإهمال أو رفض معلومات أخرى . ويتم تفسير هذه المعلومات فى ضوء نظامه العقيدي، ومن ثم اختيار البديل الذي يراه مناسباً .

إذ يقوم متخذ القرار بالربط بين المعلومات المتعلقة بظاهرة معينة وبين عقائده حول تلك الظاهرة وعن طريق هذا الربط يمكنه تحديد مجموعة من البدائل يتم الاختيار من بينها للبديل الأفضل. ويرى البعض أن العقيدة تطلق بشكل عام في ظل ظروف معينة، وعندما لا تعود قواعد العقيدة القديمة صالحة للتعامل مع الواقع المستجد تحدد العقيدة مساراً جديداً أو تعديلاً لما كان .

إلا أن صاحب القرار يواجه مشكلة كبيرة بسبب نظامه العقيدي ولكن في بعض المواقف القرارية المعقدة التي تنطوي على وجود قيمتين متعارضتين في نظامه العقيدي وتفضيله لقيمة منهما سيكون على حساب الأخرى وهنا أكد (أحمد عارف)[33] أن متخذ القرار يفترض من البداية أنه لا يوجد تناقض بين عقائده حتى ولو كان هذا التناقض موجوداً، ولهذا فأنه يرفض اختيار أي بديل يتعارض مع أحد عقائده. بل يقوم بعملية فصل بين القيمتين وإزالة التعارض و خيار بديل يحاول أن يحقق القيمتين معا . وهنا يبرز أثر النظام العقيدي في عملية اتخاذ القرار السياسي.

4. الأيدولوجية: تعرف على أنها نسق من الآراء والأفكار والنظريات السياسية والخصوصية والدينية والأخلاقية والجمالية والفلسفية . كما تعرف على أنها تلك الثقافة أو التراكم الثقافي والديني والسياسي والجغرافي الذي يضع البنية التحتية للإعلام والصحة أساساً ومنهجاً واضحاً ليسير عليه للوصول لتثبيت قاعدة الحكم

وتحرير السياسات بخطوات ثابتة على وفق منهجية مستمدة من الخلفية الايدولوجيا المكتسبة.

في حين يعرفها الفكر الماركسي على أنها فئة معينة من الأشخاص المهيمنين أو ذوي السلطة في المجتمع ليسير عليها باقي الأفراد في المجتمع.

الايدولوجيات تعد طريقة نسبية لتصنيف العالم على أساس فكرى غير أنه يمكن القول ان الايدولوجيات في أغلب الأحيان وخصوصاً في بداية اعتناقها وتبلورها تلعب دوراً إيجابياً في تطور المجتمعات ونقلها من طور إلى آخر أرقى غير أنها تصبح عائقاً في مراحل التطور اللاحقة في المراحل التي تكون الحياة قد تقدمت وتطورت في حين تكون قد بقيت على طبيعتها ثابتة في شكلها وآخرها التي ظهرت بها في مرحلتها الأولى.

وعلى ضوء ما ذكر فإن لإيدولوجية متخذ القرار سواء أكان فرداً أو فئة دوراً مهماً في عملية اتخاذ القرار السياسي، فالأيدولوجية تسهم في تحديد الكيفية التي ينظر بها متخذو القرارات إلى العالم الخارجي وتحدد لهم الأداة التي يفسروا بها الواقع وتقييمهم بها بحيث ينسجم هذا التفسير مع المبادئ والمفاهيم التى يؤمنون بها.

كما أن الأيدولوجية تقيد متخذي القرارات عند اختيارهم من البدائل المطروحة أمامهم بحيث يختاروا البديل الذى يتلاءم مع مبادئها إلا أن متخذي القرار في بعض المواقف لا يلتزمون بالمبادئ التى يعتنقوها فتظهر قراراتهم مخالفة لأيدولوجيتهم ويكون ذلك عندما تتعارض الأيدولوجية مع مصالح الدولة الدائمة ولهذا فإن متخذي القرار يجدون صعوبة كبيرة في التوفيق بين الأيدولوجية والمصالح التي يسعون إلى تحقيقها.

رابعاً : القرار السياسي بين التنظير والواقع الاجتماعي:

تعددت المداخل النظرية في دراسة اتخاذ القرار السياسي منها المدخل العقلاني ومنها المدخل التنظيمي ومنها المدخل السياسي الأكثر رشداً وعقلانية

والأقرب إلى درجة النجاح والأبعد عن الفشل، حيث يصعب إن لم يكن يستحيل ضمان النجاح الكامل أو العقلانية الكاملة مع عناصر غير مضمونة مئة في المئة، تستلزم عدة خطوات ومراحل، تشكل أسلوباً علمياً وإطاراً تحليلياً لعملية اتخاذ القرار السياسي السليم، سواء أكان سياسياً خالصاً أو تنموياً في إطار رؤية سياسية معينة.

يمكن إيجاز أهم مداخل دراسة اتخاذ القرار السياسي وتحليله على النحو الآتى:

أولاً: المدخل المؤسسي ــ التنظيمي: وينظر إلى القرارات السياسية بوصفها نتيجة لعمليات تنظيمية تتفاعل فى سياق مؤسسي، بحيث تتم عملية اتخاذ القرار من خلال تفاعل مؤسسات سياسية متنافسة لكل منها مصالح وأدوار وقدرات تأثيرية متباينة، مما يضفي على القرار صفة الشرعية والعمومية وطابع الإلزام[34].

ثانياً: مدخل النخبة: يقوم هذا المدخل على افتراض عدم التوازن في توزيع النفوذ والتأثير فى عملية اتخاذ القرار السياسي، وأن النخبة تؤدي دوراً رئيساً فى هذا المجال. والنخبة بالنسبة لــ (كارل ماركس) هي التي تمتلك أدوات القـــوة السياسية، أي أدوات الإنتاج. أما (موسكا وميتشلز) فقد ركزا على القدرة التنظيمية للنخبة السياسية، انطلاقاً من أنها الأكثر تنظيماً في المجتمع، مما يتيح لها إمكانية التحكم بأساسيات عملية اتخاذ القرار. في حين أن (ميلز) ينطلق من الاقتراب المؤسسي في تحديد النخبة، إذ إن النخبة هي مجموع الأفراد الذين يشغلون مراكز حساسة في الدولة[35].

مما سبق يتضح أن القرارات السياسية تعبر بحسب هذا المدخل عن تفضيلات النخبة وتوجهاتها السياسية، وكذلك عن توازن القوى بينها، لأن النخب تتنافس معتمدة على محاولة مراجعة بعض أسس العقيدة السياسية وأولوياتها وتعديل معايير التجنيد السياسي، بما يمكنها من تعزيز مواقعها والتحكم بعملية اتخاذ القرار السياسي.

ثالثاً: مدخل الرشد أو الفاعل العقلانى: ويجعل القرارات السياسية محصلة تصرفات رشيدة وعقلانية في وحدة اتخاذ القرار، بهدف تعظيم صافي الإشباع للقيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهذا المدخل يوجب أخذ جميع العوامل الموضوعية التي تؤثر في عملية اتخاذ القرار بالحسبان، مما يتطلب معرفة كاملة بالقيم المجتمعية ومعلومات كافية عن البدائل المتاحة وقدرة تنبؤية على توقع نتائج كل بديل، بحيث يكون القرار المتخذ في نهاية المطاف هو القرار الذى يرفع الفوائد المرتقبة إلى الحد الأعظم، ويخفف التكاليف إلى الحد الأدنى. ويؤخذ على هذا المدخل أنه يتطلب تقويم البدائل المختلفة وتحديد صافي المنفعة بطرائق فنية وعقلانية، متجاهلاً أن هذه التقويمات يحكمها عدد من التفضيلات القيمية والإيديولوجية، لعدم توافر المعلومات والبيانات عن كل موقف وموضوع. وخاصة في ظروف التأزم التي تتسم بالمفاجأة وضيق الوقت. وهذا ما دعا (سيمون) إلى طرح مبدأ "العقلانية المقيدة " في اتخاذ القرار السياسي.

رابعاً: مدخل الجماعة "الكم المتفكك": وينظر إلى متخذي القرار بوصفهم مجموعة متشظية اجتماعياً*، تقوم بعمليات توافق مع الظروف المتغيرة. وهذا النموذج يغير جذرياً محور التحليل من الخيار المؤسسي الحكومي إلى المنظمات والقوى السياسية، بحيث يكون القرار بمنزلة توازن بين القوى المتنافسة للتأثير فى متخذي القرار.

خامساً: مدخل النظم: ويعتمد على تحليل النظم فى ضوء مفهوم النسق، كمجموعة من العناصر يمثل كل منها متغيراً، ويكون من شأن تغير أي من هذه العناصر التأثير فى العناصر الأخرى، مما يؤدي إلى تغيير حالة المجموع أو النسق ككل . وهذه العناصر متفاعلة ومتساندة وظيفياً على وضع يتحقق به انتظامها وتكاملها واتزانها.

* تُعرف المجموعة المتشظية اجتماعيا فى قاموس المعاني العربية: بأنها المجموعة المتفرقة اجتماعياً .

وهنا يؤكد(محمد بدوي)[36] أن النسق السياسي، من خلال علاقات القوى وتفاعلها، ومن خلال علاقاته وتفاعله مع بقية الأنساق الاجتماعية الفرعية، يقوم بتحويل "المدخلات" إلى قرارات سياسية.

مما سبق نلاحظ أن هذا المدخل يتجاهل الطبيعة الطبقية للنظام السياسي، معتبراً إياه بمنزلة مجموعة ميكانيكية تتفاعل أجزاؤها دون النظر إلى محتواها الاجتماعي والسياسي. ومن ثم فإنه يُفرغ القرار السياسي من أساسه الاجتماعي والطبقي، كونه ظاهرة اجتماعية مرتبطة بالسلوك الإنساني، لا يمكنه إلا أن يُعبر عن مصالح طبقات المجتمع وفئاته.

سادساً: المدخل الإدراكي وتأثير العامل القيادي فى عملية اتخاذ القرار: يركز هذا المدخل على مدى تأثير إدراك متخذ القرار ونظام معتقداته في عملية اتخاذ القرار السياسي.

وهناك مدخلان متمايزان ومتضاربات في هذا المجال:

1. مدخل التحليل الكلي: الذي ظهر في إطار المدرسة الواقعية التي تقلل من أهمية العامل القيادي في اتخاذ القرار السياسي، وذلك لعدة أسباب:

أ. عناصر البيئة الاجتماعية والسياسية تحد كثيراً من تأثير القائد في عملية اتخاذ القرار.

ب. القائد أو متخذ القرار السياسي هو مجرد ممثل لطبقة أو فئة أو نخبة سياسية معينة، وهو يجسد إرادة تلك الطبقة أو النخبة ومصالحها.

ج. يتم اتخاذ القرارات السياسية داخل مؤسسات وعبر قنوات تؤدي إلى تضاؤل دور العامل الشخصي فى عملية اتخاذ القرار السياسي.

2. مدخل التحليل الجزئي: وقد ظهر في إطار المدرسة السلوكية التي تُعطي لشخصية متخذ القرار دوراً مركزياً في عملية اتخاذ القرار، إذ يجب أن تدخل تصورات القائد وإدراكه ونظام معتقداته في معادلة تحليل القرارات السياسية .

وهكذا، توجد علاقة ترابطية بين نظام المعتقدات وعملية الإدراك وعملية اتخاذ القرار .

هذا، ويؤدي القائد السياسي فى غالبية الدول النامية دوراً مركزياً في اتخاذ القرار السياسي، لأن النظم السياسية فيها انتقالية تعاني من تدني مستوى الكفاءة في الأداء الإدارى، وتفاقم أزمة التوزيع، وغياب المشاركة السياسية الحقيقية، بالإضافة إلى ضعف القدرات الاستجابية لهذه الأنظمة . ومحدودية تأثير الرأي العام، وعدم توافر قنوات تعبير فعالة، وخضوع الهيآت الرسمية للتوحد والامتثال بذريعة المعقولية وصيانة الوحدة الوطنية .

وفي الحقيقة، لا يمكن أن يقتصر دور القائد السياسي على تمثيل مصالح وتوجهات طبقة أو نخبة معينة، لأن تصوراته ومفاهيمه ونظام معتقداته تؤثر إلى حد كبير فى اختيار لبديل من البدائل المتاحة في موقف معين، وأن تحليل أي قرار سياسي يتطلب تحديد الدوافع والمقاصد التي هدف إلى بلوغها، وعلاقة الوسائل بالغاية، والنتائج التي استتبعها هذا القرار، سواء المتوقعة أو غير المتوقعة، لأن قوة الأمور والأحداث وتطوراتها ربما تقود إلى نتائج لم تدُر فى خلد متخذ القرار.

وفيما يلي سنعرض نموذجاً تطبيقياً لعملية اتخاذ القرار السياسي: ففي العراق أثناء حرب العراق على الكويت كان هيكل اتخاذ القرار، أو إطاره الدستوري وفقاً لدستور عام 1970 المؤقت وتعديلاته، يتألف من ثلاث مؤسسات رئيسة هى: مجلس قيادة الثورة، ورئاسة الجمهورية، والمجلس الوطني، وكان مجلس قيادة الثورة هو الهيآة العليا في الدولة، أي مركز السلطة ومحورها. كما كان رئيس هذا المجلس ــ وهو رئيس الجمهورية في الوقت نفسه ــ يهيمن عملياً على مجلس قيادة الثورة، وعلى جميع مؤسسات الدولة، مما جعله المركز الدستوري والفعلي لإتخاذ القرارات السياسية[37]. وهكذا، انتهى الأمر إلى ظاهرة الاختلال في التوازن بين الهياكل الدستورية وواقعها السياسي، مما أدى إلى حكم فرد مطلق، يختفى وراء دستور شكلي ومؤسسات صورية مجمدة بذرائع مختلفة، ومحكومة بالامتثال

والتوحد، بذريعة الوحدة الوطنية ومعركة التحرير والتنمية إضافة إلى محدودية، تأثير الرأي العام، وعدم وجود أي تطور حقيقى لقوى الحياة السياسية الفعلية، بحيث تتمكن من مشاركة فعلية في عملية اتخاذ القرار السياسي. وبذلك يصعب التحدث عن بدائل وخيارات إلا في إطار تحيزات الفرد القائد المركزي، وجل ما يمكن التحدث عنه هو أن هذا القرار جاء كرد فعل على قرارات وسياسات وسلوك بعض القوى الخارجية عن المجتمع العراقي. ويبدو أن جميع الآثار الارتجاعية لقرار اجتياح الكويت كانت غير متوقعة، مما أدى إلى نتائج وخيمة على المستويين العراقي والقومي، ومن أخطر هذه النتائج : تدويل الأزمة، وصدور قرار مجلس الأمن رقم 660 مطالباً العراق بالانسحاب غير المشروط إلى الحدود الدولية، كما نتج عن هذا القرار إضعاف الثقة فى جامعة الدول العربية كرمز للنظام الإقليمي العربي، وللتنسيق والتعاون المشترك.

استخلاصات نظرية:

لقد توصلت الدراسة التحليلية السابقة لعملية اتخاذ القرار السياسي إلى مجموعة من الاستخلاصات أبرزها:

إن عملية اتخاذ القرار السياسي هي تحويل المطالب إلى قرارات، من خلال سلسلة من الإجراءات والتفاعلات بين النسق السياسي والوعاء الاجتماعي الذي يحتضنه، كما أن المطالب السياسية تتبلور كمحصلة لسيرورات هذه التفاعلات. فعلى الرغم من أن المطالب السياسية تعبر، بشكل عام عن "حاجات" و"مصالح" فئات وشرائح اجتماعية، فإنها ترتبط أيضاً بوجود خلل في الأنساق الاجتماعية الفرعية، أو فى تفاعلاتها المتبادلة وفقدان التوازن بينها.

إن للنخبة السياسية وجماعات المصالح والرأي العام دوراً تختلف أهميته وفعاليته بإختلاف طبيعة النظامين الحزبي والسياسي.

إن المطالب السياسية تصوغها وتدعمها قوى اجتماعية وسياسية ذات مصالح مختلفة، وأحياناً متناقضة، فإن هذه المطالب تخضع دائماً لمجموعة من إجراءات

الفرز والتصفية والتقليص والتنسيق، بما يتفق ونفوذية النسق السياسى لهذه المطالب، وهذه النفوذية متغيرة وانتقائية، وترتبط بمجموعة عوامل أهمها طبيعة النظام السياسي.

مرحلة الاختيار، فهي تتضمن تقويم بدائل التصرف المتاحة على صعيد الأهداف والوسائل، وإجراءات المفاضلة بينها لاختيار أكثرها صلاحية لتحقيق الأهداف المرجوة، ضمن إطار مجموعة من المحددات تشكل بمجملها البيئة المجتمعية للقرار السياسي، أي مجموع توازنات القوى وتفاعلاتها بكل تمايزاتها وأولوياتها و أوزانها النسبية فى العملية السياسية.

إن كل قرار سياسي منفذ بشكل سليم ينجم عنه مجموعة من النتائج المباشرة والانعكاسية والترابطية، تدعى "الآثار الارتجاعية". وهذه الآثار إما أن تكون تراكمية تؤدي إلى زيادة المطالب وتضخمها، وإما معدلة وتخفيفية تساعد في ضبط تنوع المطالب وإبقائها ضمن إطار قدرة النظام السياسي على التكيف والاستجابة للتغيرات الحاصلة في محيطه.

المراجع :

1.أحمد ناصوري، دراسة تحليلية لعملية صنع القرار السياسي، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية،المجلد (2)، العدد الأول، 2005، ص 269

2. خيري عيسى، المدخل في علم السياسة، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1994، ص357.

3. إبراهيم سعد الدين إبراهيم، كيف يصنع القرار في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993، ص 43 .

4. جوليان فروند، ماهي السياسة، ترجمة يحيى علي أديب، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1981، ص 98.

5. مجدي عبدالكريم حبيب، سيكولوجية صنع القرار، مكتبة النهضة المصرية، 1997، ص 20 .

6. أحمد ناصوري، دراسة تحليلية لعملية صنع القرار السياسي، مرجع سابق، ص 276 .

7.محمد السيد سليم، دراسة فى اتخاذ القرار القطري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ص103 .

8.إبراهيم درويش، النظام السياسي، القاهرة، دار النهضة العربية،1978، ص 135 .

9.السيد عليوه، صنع القرار السياسى فى منظمات الإدارة العامة، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، 1987، ص 383 .

10. علي الدين هلال، النظم السياسية العربية : قضايا الاستمرار والتغيير، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص 148 .

11.السيد عليوه، صنع القرار السياسي في منظمات الإدارة العامة، مرجع سابق، ص 382 .

12 . عادل ثابت، النظم السياسية ـــــــــــ دراسة للنظم السياسية الرئيسية ونظم الحكم في بعض البلدان العربية، الاسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، 1999، ص 205 .

13 . أحمد ناصوري، دراسة تحليلية لعملية صنع القرار السياسي، مرجع سابق، ص 281 .

14. محمد السيد سليم، دراسة في اتخاذ القرار القطري، مرجع سابق، ص 201 .

15. محمد بدوى، المنهج فى علم السياسة، الإسكندرية، المكتب الجامعي، 1998، ص 38 .

16. السيد عليوه، صنع القرار السياسي فى منظمات الإدارة العامة، مرجع سابق، ص91 .

17. محمد بدوى، المنهج فى علم السياسة، المرجع السابق، ص 40 .

18. أحمد ناصورى، دراسة تحليلية لعملية صنع القرار السياسى، المرجع السابق، ص289 .

19. زايد مصباح، السياسة الخارجية، فاليتا ـــــ مالطا، منشورات ELGA، 1994، ص95 .

20.جوليان فروند، ما هي السياسة، مرجع سابق، ص 106 .

21. أحمد ناصوري، دراسة تحليلية لعملية صنع القرار السياسي، مرجع سابق، ص 294 .

22. إسماعيل صبري المقلد، العلاقات السياسية الدولية، النظرية والواقع، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1991، ص 362 .

23 . Holsti- International Politics : ترجمة عربية بعنوان :" السياسة الدولية " للدكتور علي عبدالوهاب، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ص 9 .

24 . إسماعيل صبري المقلد، العلاقات السياسية الدولية، النظرية والواقع، مرجع سابق، ص376 .

25.هاني الحديثي، في عملية اتخاذ القرار السياسي الخارجي، بغداد، دار الرشيد، 1985، ص39.
26.أحمد عارف الكفارنة، العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية، مجلة الدراسات الدولية، العدد الثاني والأربعون، ص 24 .
27. إسماعيل صبري المقلد، العلاقات السياسية الدولية، مرجع سابق، ص25 .
28. إبراهيم سعدالدين إبراهيم، كيف يصنع القرار في الوطن العربي، مرجع سابق، ص25 .
29. محمد السيد سليم، دراسة في اتخاذ القرار القطري، مرجع سابق، ص 272 .
30. وليد عبدالحي، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، الكويت، كاظمة للنشر، 1985، ص326 .
31. جاك تيلور : العلاقات الدولية : نظرية ومداخل، ترجمة أحمد عادل، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1985، ص95 .
32. أحمد عارف الكفارنة، العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية، مرجع سابق، ص30 .
33.أحمد عارف الكفارنة، المرجع السابق، ص 36 .
34. السيد عليوه، صنع القرار السياسي في منظمات الإدارة العامة، مرجع سابق، ص91 .
35. علي الدين هلال، النظم السياسة العربية : قضايا الاستمرار والتغيير، مرجع سابق، ص164 .
36. محمد بدوى، المنهج في علم السياسة، المرجع السابق، ص 54 .
37. أحمد سرحال، النظم السياسية والدستورية في لبنان وكافة الدول العربية، دار الفكر العربي، بيروت، 1990، ص 294 .

دلائل الرحمة الإلهية في الشريعة الإسلامية

د. نصر عمر عطية
كلية الآداب صبراته – جامعة صبراتة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم اللطيف الخبير المتفرد بتصريف الأمور كلها، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده المبعوث رحمة للعالمين سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الحشر العظيم.

وبعد

فإن من واجب المسلم الاعتصام بحبل الله القويم والاعتراف بفضله علينا والتطلع إلى عفوه ورحمته ، ومما لا شك فيه أن رحمته وسعت كل شيء ، وهي من نعمه الظاهرة والباطنة والقرآن الكريم مليء بالشواهد على ذلك ، فمن ينكر تلك النعم فقد قدح في أعظم آيات الله ، قال تعالى:﴿ **الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْأِنْسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ الرحمن:4، ونحن المسلمون اليوم في أمس الحاجة إلى التمسك بالدين والعمل بما جاء فيه ، لتخطي العقبات الكأداء التي تمر بها غالب بلاد الإسلام .

من هنا رأيت أن أتقدم بهذه التذكرة اللطيفة إلى شبابنا المسلم لكي يكونوا في موقع المسؤولية التي يمليها عليهم ديننا الحنيف، ولمن ولي أيَّة مهمة من أمور المسلمين ألَّا يغيب عقله في تدبر آيات الله والطمع في رحمته عز وجل، وعليه أن يراقب الله في كامل تصرفاته، ويضع نصب عينيه أن السبب الرئيس لتحقق النصر والعزة والرحمة هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتوسط والاعتدال في تطبيق أحكامه.

وقد حصرت الدراسة في بيان مفهوم الرحمة وأسباب حصولها وحاجة الناس إليها

أما عن الدراسات السابقة فإنني حسب اطلاعي لم أجد من أفرد بحثاً خاصاً لهذا الموضوع إلا أن مفرداته مبثوثة في كتب الفقه والتفسير وشروح الحديث ومن الممكن جمعها ووضعها بين يدي القاري لتسهيل الاطلاع عليها والاستفادة منها؛ لذلك حاولت بجهدي المتواضع أن أجمع شتات جزء منها، وقد حرصت عند جمع مادته على الاستشهاد بكلام الله – تعالى – وسنة رسوله ﷺ ولعل طبيعة البحث تتطلب إتباع المنهج الوصفي والاستقرائي وتحليل النصوص الواردة في هذا الشأن وتفسير العلماء لها .

وقد قسمت البحث إلى: مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس، فالمبحث الأول خصصته لبيان مفهوم الرحمة الإلهية وأسباب حصولها. ودلالاتها في القرآن والسنة.

أما المبحث الثاني فإني عقدته لتوضيح رحماته تعالى بالصالحين والمذنبين، وحاجة المسلم وغيره للرحمات الإلهية.

ومن جملة المصادر والمراجع التي سأستعين بها في تطوير البحث وتكوينه: الدليل الأول والثاني من مصادر التشريع الإسلامي وكتب الفقه والتفسير التي سيتم تدوينها بحول الله تعالى في قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول– الرحمة الإلهية:

المسألة الأولى: مفهوم الرحمة: الرَّحْمة : الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ والمرْحَمَةُ مثله وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه وتَراحَمَ القومُ رَحِمَ بعضهم بعضاً والرَّحْمَةُ المغفرة[1] وقوله تعالى في وصف القرآن: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾[2] أَي فَصَّلْناه هادياً وذا رَحْمَةٍ، وقد ورد اسم الله الرحمن في القرآن الكريم في حوالي سبعة وخمسين موضعاً أما الرحيم فما يزيد على مائة وخمسة عشر موضعاً، ومعنى هذين اللفظين، الأول الرحمن: اسم من أسماء الله الحسنى وهو يدل على المبالغة لأن رحمته وسعت كل شيء، وهو أرحم الراحمين، وقد خص الله عباده المؤمنين بها قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾[3]، وهذا الاسم مقصور على الله لا يسمى به غيره ، وجاء لفظ الرحيم بعده ؛ لاستغراق معنى الرحمة في اسم الرحمن ، قال الجوهري : أَلا ترى لقوله تعالى:﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[4] : أنه عادل به الاسم الذي لا يَشْرَكُهُ فيه غيره ، وهما من أَبنية المبالغة ورَحمن أَبلغ من رَحِيمٌ والرَّحيم يوصف به غير الله تعالى فيقال رجل رَحِيمٌ ولا يقال رَحْمن)[5] فالرحمن رحمة تشمل المؤمنين والكفار، والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين ، فالله تعالى رحم المؤمنين، فهداهم ووفقهم للإيمان وتاب عليهم. أما رحمته بالكفار أن خلقهم وأوجدهم ورزقهم، ومن رحمته بهم أنه لم يعاجلهم بالعقوبة ، فهم يعبدون غيره ويشركون به ومع ذلك يحلم عليهم سبحانه وتعالى ويرحمهم.؛ لذا فإن لهذا الاسم قيمة عالية في حياة المؤمن فهو سلاحه وسنده عند قضاء الحوائج فعن ابن مسعود قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ {بسم الله الرحمن الرحيم} ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد[6] وعن عَلِيّ مَرْفُوعا إِذا وَقعت فِي ورطة فَقل بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم لَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه الْعلي الْعَظِيم فَإِن الله يصرف بهَا مَا يَشَاء من أَنْوَاع الْبلَاء[7]، وقد ووردت مادة الرحمن الرحيم ومرادفاتها في القرآن كثيراً وما يحمل في طياته معنى الرحمة وهو كثير منه ما ورد بمعنى الود كما في سورة البروج:﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ **ولفظ العزيز تكرر في**

القرآن حوالي أربع وستون مرة يحمل معنى العز منه قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[8]، وسأتناول شيئاً منها على سبيل الاسترشاد في بقية المسائل من طيات هذا البحث.

المسألة الثانية : أسباب الرحمة :

)قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النمل:46): قراءة القرآن والاستماع إليه والإنصات عند تلاوته؛ لأنها توجب على الله الرحمة، فآية تُقرأُ بإنصات أفضل من ختمة دون تدبر وتمعن قال تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ والمراد بالإنصات: تدبر معاني آيات القرآن فهو كله بركة ورحمة وفضل، به يتقرب العبد من ربه،ويزداد خشية لله وثقة بنفسه، كما أنه عون على الشدائد، وقضاء الحوائج.

2 ــ الاستغفار والتوبة: ففي هذا العصر كثرت المغريات وفتحت أبواب الانحراف وساعد على ذلك بُعْد البعض عن الدين وضعف ملكة الشباب الفكرية بسبب الفقر الفقهي مما فتح المجال أمام العدو للانقضاض على نفوس ضعفاء الشباب ، وابتلاء الأمة بعبثهم ، فاستغل الحال وسعى لنهب مقدراتها وعبث بأمور المسلمين مستعملاً ضعفاء أبنائها سلاحا لحربه على الإسلام وهذا الخطأ الكبير من أبناء الأمة لا يُخرج منه إلا التوبة والاستغفار فالإنسان محل الخطأ فهو ينسى ويضعف ويظلم ويجهل، لكن الله بلطفه ورحمته شرع الاستغفار والتوبة من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، فكان فضله ورحمته بسببهما ، ومن دلائل ذلك قوله سبحانه: ﴿ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[9]، وقوله تعالى:﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا

فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[10]، فبالتقوى تطمئن القلوب وينجو الإنسان من الشدائد ويجعل له الله من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب رحمة منه، وبالتقوى ينضج عقل الإنسان وتتكون عنده ملكة قوية وبصيرة نيرة تضيء له الطريق المظلم ويفرّق بها بين الغث والسمين وبين الحق والباطل وبين النافع والضار، وبين الحلال والحرام.

3 ــ ومن أسباب الرحمة أيضاً: الصبر على الشدائد دليل ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[11] دلت هذه الآية على أن الحياة الدنيا محفوفة بالمخاطر والصعاب، فهي دار ابتلاء ومن هنا تحتاج منا إلى الصبر والعزيمة؛ لأنها تختلف عن دار البرزخ والآخرة ، فهذه دار ابتلاء وعمل، وتلك دار جزاء، والابتلاء يكون بالخير والشر ومن ثَمَّ تكون البشرى للصابرين قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(12) ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[13].

ومن قصص القرآن حكاية قارون درساً:﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ*وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[14] فأخذه الزهو، ولم يعترف بفضل الله عليه بل أنكر وأفسد ولم يشكر فأخذه الله بذنبه وجعله آية للمتكبرين.

4 ــ ومن أهم ما يتحصل به المؤمن على الرحمة الإلهية طاعة الله ورسوله فيما أمرا به واجتناب ما نهيا عنه، قال تعالى:﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[15]، وقال جل ذكره:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[16].

5 ــ كما أن إخلاص العمل لله والالتزام بشرعه الحكيم في كل مناحي الحياة من الركائز التي تجلب الرحمة الإلهية، برهان ذلك قوله تعالى:﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[17] وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[18].

5 ــ ومن الأمور المهمة التي يمنح الله تعالى بها الرحمة اتصاف المؤمن بالعفو والرحمة فالعفو عند المقدرة صفة حميدة توجب الرحمة الإلهية ومن أحسن القصص الدالة على ذلك في القرآن الكريم ما قابل به يوسف عليه السلام أذى إخوته مع قدرته على الانتقام إلا أنه عفا عنهم ، يؤيِّد ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[19]، كما فعلها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم مع قومه حين فتح مكة فقال: (مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ؟). قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ) نعم إن خلة الرحمة البشرية بين أبناء الأمة جالبة لتنزل الرحمات الإلهية على من اتصف بذلك قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[20].

6 ــ من أعظم أسباب الرحمة التقوى: بها يتقوَّى المؤمن على عدوه، ويترتب عليها نزول الغيث، والعصمة، والنجاة، وصلاح الأحوال الظاهرة والباطنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى، ورحمة الفقراء والمساكين ومواساتهم والإحسان إليهم ، والمحافظة على مال اليتامى المتمثل اليوم في المال العام، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[21] فالتقوى مفتاح الغيوب، وكاشفة الكروب، وغذاء القلوب وجالبة لكل محبوب ومرغوب، تخرج الإنسان من الظلمات إلى النور، ومن البؤس والشقاء إلى السعادة والهناء، بفضلها يبارك الله للإنسان في ماله، ويصلح له عياله، وتزكو بها أعماله ويدخله في رحماته.

7 ــ ومن الأمور الجالبة للرحمة الإلهية: شكر النعمة فكلما شكرنا الله قولاً وعملاً زادنا من فضله ورحمته، وهو عهد أخذه على نفسه في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[22]، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فكذلك الجزاء فوري، قال صلى الله عليه وسلم: (إن شئتم أنبأتكم بأول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة وبأول ما يقولون، قالوا: نعم يا رسول الله قال: يقول للمؤمنين (هل أحببتم لقائي؟) فيقولون: نعم يا ربنا فيقول: « لم ؟ » فيقولون: رجونا عفوك ورحمتك فيقول: « فإني قد أوجبت لكم رحمتي)[23].

كما أن من دلائل رحمته تعالى بالناس عند انتقالهم من الدنيا إلى الآخرة أنه جعل الموت تأتي بغتة وإلا لتقطعت أوصال الإنسان قبل موعد وصول الموت له وكلما اقترب الموعد ازداد الألم والحسرة والخوف والرعب ولكنه جعلها تأتي بغتة فهي من الغيبيات التي اختص بها تعالى رحمة بمخلوقاته وعلى رأسهم بني البشر

إلا أنها تختلف في كيفية حصولها من شخص لآخر، فإخراج الروح من جسد الكافر والعاصي ليس كما هو الحال من جسد العامل بأوامر الله، فالكافر كما قال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[24] وهو في ذلك يتمنى الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً لعل الله يقبله ، ولكن هيهات بعد فوات الأوان؛ لأن الله أخذ على نفسه أن لا يُرْجَع من البرزخ إلى الدنيا بعد مغادرتها:﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[25]، وحقيقة الموت أمر واقع لا محالة فهو الحق من ربك قال جل ذكره:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[26]، وقال في محكم آياته:﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[27] ثم في كتابه العزيز:﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[28]، وتأتي ساعة ما بعد الموت وهو الجزاء كذلك يختلف باختلاف الأعمال وبحسب صلاحها، فخلاف بين العمل الطيب والعمل الخبيث قال جل شأنه:﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[29] وهنا يتمايز فيها العباد أمام أعدل الحكماء برهان ذلك قوله تعالى:﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[30] وقوله تعالى:﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[31].

وقال عز وجل:﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[32] وقال جل ذكره: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[33] أما الطيبون:﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا

الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[34] وأما الكافرون ومن والاهم فهم في العذاب مشتركون قال تعالى:﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[35]، وحالهم في العذاب كما بين رب العزة:﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[36] فحذار يا من غفل قلبك عن هذا رغم كثرة الدروس والعبر في هذه الدنيا فارجع وتب من قريب قبل أن يتفاقم الأمر ولا ينفع عندها الندم، قال تعالى:﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[37]، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمي بالله ويحصن به من مخالفة أوامره فيقول: أعوذ بِاللَّه من خشوع النِّفَاق أعوذ بِاللَّه من الْبعد والفراق أعوذ بِاللَّه من مُخَالفَة الْملك الخلاق أعوذ بِاللَّه من عَذَاب يَوْم التلاق أعوذ بِاللَّه من الْخلاف بعد الْوِفَاق)[38] ولا ننسى ما نطق به سيد الخلق في هذا المجال فقال صلى الله عليه وسلم: (الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ، مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ)[39] ختاماً اللهم رد شبابنا إلى دينهم رداً وجميلاً، واحفظنا وارعانا بعينك التي لا تنام، وصلى الله على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وعمل بسنته إلى يوم الحشر العظيم.

المبحث الثاني– رحمته بالناس:

المسألة الأولى – رحمته بعباده الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[40] في هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على تخصيصه تعالى الرحمة لعباده المخلصين الذين وصفهم بالأتقياء، ومعنى التقوى كما فسرها الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: (هي الخوف من الجليل والعمل

بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل)[41] فمن اتصف بهذه نال رضا الله وضمن رحمته تعالى وقد نبهنا ــ عزَّ ذكره ــ للعمل بجدية لذلك اليوم الذي لا تنفع فيه إلا رحمة الله القوي القدير المتفرد بتصريف الأمور كلها، ولا ينالها إلا من تزود لها ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[42] كذا في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[43].

إن التقوى شرط لحصول الرحمة من الله، ولا يمكن أن تحصل الرحمة والفضل والخير للفاجر العاصي، قال تعالى:﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾[44].

أما عباد الله المخلصين فإنه ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[45].

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[46]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[47]، وقوله عز اسمه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[48] من هنا يتبين أن الله علق حصول الرحمة على أمور لابد منها، وهي حضور التقوى وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصل والتراحم في قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

المسألة الثانية– رحمته بالعصاة المذنبين:

قال تعالى:﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[49]، محمل الآية الكريمة أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا مخلص له من العذاب ألبتة ، فإن من اعتقد ذلك فهو

قانط من رحمة اللّه، إذ لا أحد من العصاة المذنبين إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة، فمعنى قوله تعالى:﴿ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي بالتوبة والإنابة، وقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَإِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ)[50]، وقد ذهب الرازي في مفاتيح الغيب (أن اللّه تعالى يخرج من النار من قال لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفور له قطعا، إما قبل الدخول في نار جهنم ، وإما بعد الدخول فيها)[51]﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[52].

اعلموا أن الله غفور لمن تعدى حدود الله وفرط بارتكاب الذنب ثم تاب وأصلح، وهو الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل عباده ليصلحوا أعمالهم، فلا تغتروا بإمهاله.

ومن رحمته بالمذنبين والمقصرين في حقه وحق رسوله أن طلب من رسوله أن يستغفر لهم فيما يتعلق بحقه تعالى وأن يعفو عنهم فيما يتعلق بحقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ، ليحصل للرسول عليه السلام فضيلة التخلق بمنهج الله، كما أنه لم يجازيهم بالشدة بل خفف عنهم وضاعف للمحسنين برهان ذلك قوله تعالى:﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[53] وهذا يدل على كمال الرحمة الإلهية حيث عفا هو عنهم ثم أمر رسوله عليه السلام بالعفو عنهم في الحال فأي رحيم أعظم منه تعالى؟، كما أعطى لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاصية الشفاعة في أن يشفع عنده يوم الحشر العظيم فيمن أخطأ من أتباعه، وهذه الرحمة بالمذنبين منه تعالى يجب أن تقابل بالشكر، وكمال الطاعة والخضوع التام له والرجوع إلى الحق، والاعتراف بفضله

سبحانه، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[54] فالآية واضحة الدلالة على رحمة الله بالمذنبين شريطة التوبة والعودة إلى الاستقامة وإتباع صراطه المستقيم حتى ينزل عليهم رحماته التي لا حصر لها.

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ.)[55] فالتوبة من المعاصي جالبة لرحمات الله تعالى ، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتلو قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[56] فالأمل في رحمة الله موجود عند المؤمن التائب من الذنب، شريطة الأخذ بالأسباب، والالتزام بالأعمال الصالحة، قال تعالى:﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[57] وقال صلى الله عليه وسلم: (اعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ)[58].

المسألة الثالثة: رحمته بالناس عامة، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[59] في هذه الآية الكريمة أراد الله تعالى تذكير الناس بطبيعة خِلْقتهم وأنهم من أبٍ واحدٍ وهو آدم عليه السلام ويبين لهم كيف تكاثروا بهذه الأعداد الرهيبة والمراحل التي يمرون بها حتى وصلوا إلى ماهم عليه، يريد الله تعالى من هذا التذكير اللطيف توضيح حقيقة ابن آدم ومآله، ومصير التقوى منهم والعصاة، وهذه اللفتة الكريمة رحمة منه، حتى يبين لكل واحد مصيره، ألا ترى أن من ينصحك وينير لك الطريق يعتبر من أرحم الراحمين بك، فقد بانت رحمة الله واسعة عندما أمدنا بعقلٍ تمييزاً لنا عن بقية المخلوقات، ثم لنميز به بين النافع والضار، والحلال والحرام، وأرسل الرسل

رحمة بالناس ولم يكتب علينا العذاب إلا بعد أن بعث الرسل وأوضح لنا الطريق المنجية وكيف نشقها في هذه الدنيا حتى نخرج منها بسلام فلم يشطط علينا بل أمرنا بالاعتدال واليسر والسماحة.

ومن رحمته بالناس جميعاً أنه أرسل محمداً للناس كافة بشيراً لمن أطاع ونذيرا لمن عصى.

وهذه الرحمة المسداة من نعمه تعالى بالعباد، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[60] ومن دلائل رحمته بنا في هذا الدين أنه لم يشطط علينا بل أمرنا بالاعتدال واليسر والسماحة، قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[61] فمن أطاع الله ورسوله فيما أمرا به واجتنب ما نهيا عنه أنزل عليه رحماته في الدنيا والآخرة ، ومن عصاه وكفر بما أنزل كتب عليه العذاب مع قدرة الله على أن يجعل كل الخلق متقين ولكن ليبتليهم أيهم أحسن عملا، برهانه قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[62] فترك الخيار لهم، من أراد الدنيا وزخارفها وأطاع الشيطان تركه لنفسه بعد أن بين له الطريق المستقيم، ومن أراد الله ورسوله والآخرة أتاه منها وأصلح حاله جزاء عمله، قال تعالى:﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[63] وهذا الرسول يبعث للتبشير بما في الآخرة من نعم جليلة وحياة عزيزة، شارحاً لنعمها، ومبيناً للعقاب فيها لمن يخالف عن أمره تعالى ويظهر العصيان والكفر بالنعمة الإلهية والأهم من ذلك تأجيل هذه العقوبة إلى أجل مسمى عنده كما في قوله تعالى:﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[64] وهذه من رحمات الله بالعباد لعل الإنسان يعود إلى رشده ويرجع إلى

صوابه ويقلع عن عصيانه بالتوبة حتى ينال المغفرة من ربه ولا يندم حيث لا ينفع الندم والشواهد في القرآن لا تحصي منها عودة السحرة في عهد فرعون إلى صوابهم بعد تعنتهم رغم صعوبة الموقف في عهد فرعون الطاغية وتعرضهم لعقوبته لهم بالتعذيب إنما بعد بيان الحقيقة والبراهين على قيام الآخرة واختلاف الحياة فيها عن الدنيا والتبشير بها والإنذار من عذابها عن طريق الرسل رجع من كان مذنباً وهي من رحماته ، فقال تعالى:﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[65] والإنسان مخير إما الدنيا وإما الآخرة.

أسأل الله للجميع حسن الخاتمة والفوز بالجنة والنجاة من النار إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ختاماً يمكن استخلاص جملة من النتائج ملخصها:

1 ــ الرحمة الإلهية وسعت كل شيء.

2 ــ التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

3 ــ الله يمهل ولا يهمل.

4 ــ شكر النعمة واجب شرعي.

قائمة المصادر والمراجع:

(*) القرآن الكريم برواية حفص ــ

1 ــ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هــ) ، ط3، 1384هــ - 1964 م ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة

2 ــ الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هــ)

دار الفكر – بيروت .

3 ـــ الدعاء للطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ــ360هــ) ط1 ــ 1413ه ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت .

4 ـــــــ السنن الكبرى ، لأبي بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، (المتوفى: 458هــ)، محمد عبد القادر عطا ،ط3، 1424 هــ - 2003 م دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

5 ــ المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: 956هــ) ، ط1 ــ 1425 هــ - 2004 م تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

6 ـــ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى:

261هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

7 ــ تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ،ط1 – 1419 هـ تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت .

8 ــ سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط – ، ط1، 1430 هـ – 2009 م دار الرسالة العالمية بيروت لبنان .

9 ــ فَتَّاوَى الإِمامِ النَّوَوَيِ المُسمَّاةِ: "بالمَسَائِل المنْثورَةِ" ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) ، ترتيبُ: تلميذه الشيخ علَاء الدِّين بن العَطّار ، ط6 ، 1417 هـ – 1996 م ، تحقِيق: محمَّد الحجَّار ، دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة للطبَاعَة وَالنشرَ والتوزيع، بَيروت لبنان .

10 ـــ لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ) ، ط3 – 1414 هـ ، دار صادر– بيروت.

11 ــ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ط3 ـــ 1420 هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

قائمة هوامش البحث

(1) لسان العرب 230/12

(2) الأعراف: الآية: 152

(3) الأحزاب: الآية: 43

(4) الإسراء: الآية: 110

(5) لسان العرب ، فصل الراء المهملة (رحم) 230/12

(6) ذكره الحافظ السيوطي في الدر المنثور (44/1) وعزاه إلى وكيع والثعلبي عن ابن مسعود، وذكره القرطبي، 407/10 تفسير سورة الكهف، وابن كثير، شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري 25/2

(7) الدعاء للطبراني، باب ما جاء في قول الرجل لأخيه جعلني الله فداك، 546/1 رقم 1961

(8) الأعراف، الآية: 204

(9) النمل، الآية: 46

(10) الأنعام، الآية: 54

(11) الشورى، الآية: 43

(12) البقرة، الآية: 155

(13) القصص، الآية: 76

(14) آل عمران: 188

(15) التوبة، الآية: 71

(16) آل عمران، الآية: 132

(17) الشورى، الآية: 43

(18) البقرة، الآية: 155

(19) القصص، الآية: 76

(20) آل عمران، الآية: 188

(21) التوبة، الآية: 71

(22) آل عمران، الآية: 132

(23) غافر، الآية: 15

(24) البينة، الآية: 5

(25) يوسف، الآية: 92

(26) البقرة، الآية: 178

(27) الأنعام، الآية: 160

(28) إبراهيم، الآية: 17

(29) المؤمنون، الآية: 99

(30) العنكبوت، الآية: 57

(31) ق، الآية: 19

(32) الواقعة، الآية: 60

(33) المائدة، الآية: 100

(34) الحشر، الآية: 20

(35) غافر، الآية: 5

(36) للزمر، الآية: 9

(37) فاطر، الآية: 22

(38) الدخان، الآية: 56

(39) الصافات، الآية: 33

(40) الزخرف، الآية: 75

(41) النساء، الآية: 18

(42) الأعراف، الآية: 96

(43) الأعراف، الآية: 156

(44) فتاوى النووي، باب التفسير، 240/1

(45) البقرة، الآية: 197

(46) الحشر، الآية: 18

(47) الأعراف، الآية: 49

(48) التوبة، الآية: 21

(49) الأعراف، الآية: 63

(50) يس، الآية: 45

(51) الحجرات، الآية: 10

(52) الزمر، الآية: 53

(53) أخرجه مسلم في صحيحه باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، 126/2رقم 1528

(54) مفاتيح الغيب للرازي ، تفسير سورة الزمر 464/27

(55) التوبة، الآية: 10

(56) الأنعام، الآية: 160

(57) النساء، الآية: 64

(58) سنن ابن ماجة كتاب السنن ، 321/5 رقم 4251

(59) النساء، الآية 1.

(60) غافر، الآية: 7

(61) النمل، الآية: 11

(62) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب لن يخل أحد الجنة بعمله 4//2171رقم 2818

(63) النساء، الآية: 1

(64) الأنبياء، الآية: 107

(65) الملك، الآية: 2

ظاهرة التعويض في اللغة العربية

د: عمارة امحمد الميساوي أبوزيد
كلية الآداب بالزاوية – جامعة الزاوية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق محمد بن عبد الله النبي العربي الأمين وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن البحث عن تأصيل المفردة أو الكلمة في لغتنا العربية قضية تحتاج إلى إعمال جهد وفكر وذلك للآثار المترتبة على هذا التأصيل، والمتعلقة بالبناء الصرفي والصوتي للكلمة اللذين يختلفان من مفردة إلى أخرى، فحروف الكلمة سواء أكانت فاء الكلمة أم عين الكلمة أم لام الكلمة قد يكون كل منها أصلي، وقد يكون منقلبا عن أصل، وقد يحذف حرف منها ويحل محله حرف آخر تعويضا عنه كما أسماه أغلب علماء اللغة، أو بدلا منه كما أسماه بعضهم الآخر، وقد رغبت في أن أفرد هذا الموضوع بالبحث والدراسة، وقد ارتأيت أن يكون عنوان هذا البحث:

(ظاهرة التعويض في اللغة العربية) ومن خلال اطلاعي على كثير من أمهات كتب علماء اللغة الأوائل لم أجد لهذه الظاهرة تبويبا في كتبهم لذا كانت آراء هؤلاء العلماء مبثوثة بين سطوركتبهم، وجمع شتات هذه الآراء وتصنيفها وترتيبها ليس عملا سهلا، وإنما الجهد فيه مضن ومرهق وقد جعلت محاور هذا البحث على النحو الآتي:

المحور الأول: بيان مفهوم التعويض .

المحور الثاني: أنواع التعويض وآراء العلماء فيها .

المحور الثالث: الفرق بين العوض والبدل .

ثم ذيلت هذه المحاور بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث. وبقائمة لهوامش البحث ومصادره وسأشرع الآن في الحديث عن هذه المحاور بشيء من التفصيل:

مفهوم التعويض:

ورد في لسان العرب (العوض البدل... والجمع أعواض، عاضه منه، وبه والعوض مصدر قولك: عاضه عوضا وعياضا... وعوضته إذا أعطيته بدل ما ذهب)[1].

والتعويض في اصطلاح العلماء هو: جعل الحرف خلفا عن الحرف. وللعلماء فيه مذهبان:

أحدهما: أنه يشترط كون الحرف المعوض في غير مكان الحرف المعوض عنه وهذا ضعيف وإن اشتهر عند الكثيرين.

والثاني: أنه يجوز فيه أن يكون الحرف المعوض في غير مكان المعوض منه وهو الغالب الكثير نحو: صفة وعدة ونحو ابن واسم بناء على أنه من السمو ويجوز أن يكون المعوض في مكان المعوض منه، كالتاء في أخت وبنت بناء على رأي ، وكالألف في اسم بناء على أنه من الوسم وكالياء في فرازيق وفريزيق فإنهما في مكان الدال من فرزدق.

من هنا يرى علماء اللغة أن بين الإبدال والتعويض علاقة تباين على المشهور إذ يشترط في الابدال كون المبدل في مكان المبدل منه، ويشترط في التعويض أن يكون العوض في غير مكان المعوض فيه، وعلى غير المشهور يكون بينهما العموم والخصوص المطلق، فكل إبدال تعويض ولاعكس إذ يجتمعان في نحو فرازيق وينفرد التعويض في نحو : عدة وزنة وابن[2].

أنواع التعويض:

من خلال استقرائي بعض أمهات كتب اللغة وبعض ما ذكره علماء اللغة فيها عن التعويض وجدت أن التعويض ينحصر في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: تعويض حرف من حرف.

النوع الثاني: تعويض حركة من حرف.

النوع الثالث: تعويض حرف من حركة.

وسأشرع الآن في الحديث عن كل نوع منها بشيء من التوضيح ،وبيان آراء علماء اللغة فيها:

النوع الأول: تعويض حرف من حرف:

قد يقع الحرف عوضا من حرف آخر محذوف، ومن الحروف التي تقع عوضا من حرف محذوف : التاء –الميم –الياء –الألف –الواو – ما[3].

هذا النوع من التعويض إما أن يكون الحرف الزائد عوضا من حرف أصلي محذوف، وإما أن يكون عوضا من حرف زائد محذوف. وفي هذا المعنى يقول ابن جني:

(اعلم أن الحرف الذي يحذف فيجاء بآخر زائدعوضا منه على ضربين أحدهما أصلي والآخر زائد)[4]، فقد يحذف الحرف في الكلمة سواء أكان فاء الكلمة أم عين الكلمة أم لام الكلمة، ويعوض عنه بحرف زائد، ومن أمثلة ما حذفت فاء الكلمة منه وعوض عنه بحرف زائد باب فعلةٌ في المصادر نحو: عدة وزنة وشية وجهة على وزن علة والأصل كما قال ابن جني:

(وعدة وزنة وشية وجهة فلما حذفت فاء الكلمة منه، وهي الواو هنا جعلت التاء بدلا وعوضا منها)[5]، وقد استدل ابن جني على هذا التأصيل[6] بقوله تعالى:{ولكل وجهة هو موليها }[7].

وبقول الشاعر أبو زيد:

ألم تر أنني ولكل شيء إذا لم تؤت وجهته تعادي [8]

وهو ما قال به الجوهري[9] وابن منظور[10]، وعلة هذا الحذف هي التخفيف، سواء أكان ذلك في الفعل المضارع منه أم المصدر. يقول سيبويه: ((فأما فعلة إذا كانت مصدرا فإنهم يحذفون الواو منها كما يحذفون من فعلها، لأن الكسر يستثقل على الواو وفاطرد ذلك في المصدر وشبه بالفعل إذ كان الفعل تذهب الواو منه، وإذا كانت المصادر تضارع الفعل كثيرا...فإذا لم تكن الهاء فلا حذف لأنه ليس عوضا))[11].

وهو ما ذهب إليه المبرد أيضا حيث قال: ((إن اعتلال المصدر من اعتلال الفعل إذا كان فيه مثل ما يكون في الفعل، فإذا كان المصدر من هذا الفعل على مثال فعل ثبتت واو لأنه لاعلة منها، وذلك قولك: وعدته وعدا ووصلته وصلا، وإن بنيت المصدر على فعلة لزمه حذف الواو... .

وذلك قولك: وعدته عدة ووزنته زنة وكان الأصل وعدة ووزنة ولكنك ألقيت حركة الواو على العين لأن العين كانت ساكنة، ولا يبتدأ بحرف ساكن والهاء لازمة لهذا المصدر لأنها عوض مما حذف...ولو بنيت اسما على فعلة غير مصدر لم تحذف منه شيئا، نحو قولك: وجهة لأنه يقع فيه فعل يفعل وإن كان في معنى المصادر))[12].

ويقول الجوهري: ((إن الواو تثبت في الأسماء كما قالوا : ولدة وإنما لا تجتمع مع الهاء في المصادر))[13]، ويقول ابن جني في باب الياء والواو هما فاءات: ((اعلم أن ما كان موضع الفاء منه واوا وكان فعلا وكان على فعل فإنه يلزم يفعل ويحذف في الأفعال المضارعة منه الواو التى هي فاء، ويكون المصدر فعلة محذوف الفاء، وتلقى حركة الفاء على العين فتصير العين مكسورة، وذلك قولك: وعد ووزن تقول في يفعل منه يعد ويزن ويثب، وعدة وزنة وثبة وكان الأصل فيه: يوعد، ويوزن ووعدة ووزنة ولكنهم اتقوا وقوع الواو بين ياء وكسرة فحذفوه استخفافا... وجعلوا المصدر معتلا فحذفوا فاءه فقالوا: عدة وزنة لأنهم استثقلوا وعدة ووزنة فألزموها الحذف))[14].

وهو ما علل له ابن السراج[15] وابن الأنباري أيضا[16]، ومما يدل على ذهاب فاء الكلمة من هذه الكلمات هو رجوعها عند التصغير، إذ يقال في عدة وعيدة وفي زنة وزينة وفي شية وشية[17]، ويرى ابن الأنباري أن القياس في كلام العرب أن ما حذفت فاؤه يعوض عنه بالهاء في آخره ومن حذفت لامه يعوض عنه بالهمزة في أوله [18].

وقد أرجع الفراء علة حذف الواو من مضارع هذه المصادر إلى التعدي، حيث قال: ((إن الواو حذفت من (يعد) و(يزن) لأنهما متعديان، وكذلك كل متعد ألا ترى أنهم قالوا: وجل يوجل، و وحل يوحل فأ ثبتوا الواو لما كان (وجل) و(وحل) غير متعديين[19].

ويرى المبرد أن ما ذكره الفراء لا وجه له حيث قال: ((إن التعدي وغير التعدي لا وجه لذكره في هذا الموضع، ألا ترى أنهم قد قالوا وقع يقع ووضع في السير يضع ووقدت النار تقد ووبل المطر يبل، ووأل يئل ونحو ذلك فحذفوا الواو وإن لم يكن في هذه الأفعال فعل متعد إنما ذلك من قبل)[20]، وفي علة حذف الواو من فاء الكلمة قال الرضي في باب الإعلال في حذف الواو والياء: ((وأما المصدر فلما كان أصل الفعل في الاشتقاق لم يجب إعلاله بإعلال الفعل ...

ولذا جاز حذف الواومن مصدر(يعد) وإثباتها في (عدة) و(وعد) إذ ليس فيه شيء من علة الحذف...وإنما كسر العين في عدة وأصله وعد لأن الساكن إذا حرك فالأصل الكسر، وأيضا ليكون كعين الفعل الذي أجري مجراه....))[21]، وهو ما ذهب إليه ابن مالك أيضا حين قال: ((وإنما أعل المضارع والأمر بالإعلال المذكور حمل عليهما المصدر المكسور الفاء الساكن العين فحذفت فاؤه، وحركت العين بحركتها ولزم آخره هاء التأنيث عوضا من الفاء المحذوفة، وذلك نحو: زنة وعدة وكانا في الأصل: وزنا ووعدا ثم فعل بهما ما ذكر لأن المصدر يصح بصحة فعله ويعتل لاعتلاله))[22].

وقد يعوض عن الواو الواقعة فاء الكلمة بتاء الافتعال مثل: تقي يتقي والأصل: اتقى يتقي فحذفت التاء فبقي تقي ووزنه تعل ويتقي وزنه يتعل[23].

وقال أبو علي الفارسي: ((ومما يقارب هذا قولهم: هو أتقى منه والتقية، والتقاة فأبدلت في هذه الكلمة التاء من الواو التي هي فاء الفعل من وقيته لأن هذا الباب كله من الوقاية فلما أبدلت الواو في افتعل نحو اتقى، ساغ البدل في سائر ما تصرف منه، وقالوا تقيت تتقي والأصل اتقيت تتقي فحذفت التاء الأولى المبدلة

من الواو التي هي فاء الفعل فسقطت همزة الوصل التي كانت في اتقى وبقيت تاء الافتعال في تقي فوزن تقي من الفعل بعد هذا الحذف: تعل وتتقي تتعل))[24].

ويرى ابن السراج أنه من الشاذ قولهم: تقيت يتقي ويتسع حذف الفاء لأن التاء تبقى متحركة ومن قال :تتقي يقدر أنه فخفف من اتقى[25].

وقد يعوض عن فاء الكلمة بالألف كما في كلمة: (الناس)، وفي هذا المعنى يقول ابن جني: ((وقد حذفت الفاء في أناس وجعلت ألف فعال بدلا منها فقيل :ناس ومثالها عال كما أن مثال عدة وزنة علة))[26]، وهو المعنى نفسه الذي ذكره سيبويه في معرض حديثه عن أصل كلمة لفظ الجلالة (الله)، حيث قال: ((وكأن الاسم – والله أعلم – إله فلما أدخل فيه الألف واللام حذفوا الألف وصارت الألف واللام خلفا منها... ومثل ذلك: أناس فإذا أدخلت الألف واللام قلت: الناس إلا أن الناس قد تفارقهم الألف واللام ويكون نكرة))[27].

ويرى ابن عصفور أن حذف الهمزة هنا هو حذف على غير قياس[28]، ويرى الكسائي : أن ناس وأناس لغتان أحدهما أولى من الأخرى يدل على ذلك أن العرب تصغر ناسا نويسا ولو كان ذلك الأصل لقالوا أنيس[29]، ونسب أبو حيان إلى الكسائي أنه يرجع مادة ذلك إلى نون وواو وسين ووزنه فعل مشتق من النوس وهي الحركة[30].

ويرى القيسي في مشكله أن الناس أصلها أناس أو ناس لقول العرب في التصغير نويس[31].

وذكر أبو جعفر الطوسي في تفسيره عن بعضهم أن الناس لغة غير أناس وأنه سمع تصغيره نويس، ولو كان أصله أناس لقيل في التصغير أنيس فرده إلى أصله واشتقاق الناس من النوس وهي الحركة ناس ينوس نوسا ،والنوس تذبذب الشيءفي الهواء ومنه نوس القرط في الأذن لكثرة وقد حركته مما حذف منه الهمزة[32].

وقد يحذف الحرف الأصلي الواقع عين الكلمة، ويعوض عنه بحرف زائد كالياء في (أينق) فالياء في هذه الكلمة – كما ذكرت بعض كتب اللغة –عوض من

الواو في (أونق) فيمن جعلها أيفلا ومن جعلها أعفلا فقدم العين مغيرة إلى الياء جعلها بدلا من الواو، فالبدل أعم تصرفا من العوض إذ كل عوض بدل وليس كل بدل عوضا[33]، ولسيبويه في هذه اللفظة (أينق) مذهبان :

أحدهما: أن تكون عين (أينق) قلبت إلى قبل الفاء فصارت في التقدير: (أونق)، ثم أبدلت الواو ياء لأنها كما أعلت بالقلب كذلك أعلت أيضا بالإبدال، والآخر: أن تكون العين حذفت ثم عوضت الياء منها قبل الفاء[34].

ومن قبيل هذا التعويض أيضا لفظة: سيد– ميت – هين – لين – أصلها فيعل حيث أورد سيبويه في باب ما تقلب الواو فيه ياء إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة والياء بعدها متحركة قائلا: ((وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إياهما وممرهما على ألسنتهم، فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها كان العمل من وجه واحد ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم لشبهها بالألف وذلك قولك في فيعل: سيد وصيب وإنما أصلهما: سيود وصيوب وكان الخليل يقول: سيد فيعل وإن لم يكن فيعل في غير المعتل))[35].

وقد قال بهذا التأصيل اللغوي أيضا ابن عصفور حيث ذهب مذهب سيبويه، والخليل فيها، وقد أنكر رأي الفراء في هذه المسألة لمخالفته القياس ولادعائه شيئا لا يحفظ في كلام العرب مثله.

يقول ابن عصفور ((وذهب الفراء إلى أن الأصل في سيد سويد على وزن فعيل ثم قلب فأدغم، وكذلك ما كان نحوه وحمله على عدم فيعل بكسر العين في الصحيح وهذا الذي ذهب إليه فاسد لأن القلب ليس بقياس وبابه على الظاهر من أنه من فيعل))[36]، وممن ذهب مذهب سيبويه في هذه المسألة من المتأخرين ابن مالك حيث يرى أن ما حدث فيها من تغيير هو من قبيل البدل، فيقول: ((من مواضع إبدال الواو ياء إذا التقت الواو والياء في كلمة وسكن سابقهما ولم يكن عارضا هو ولاسكونه أبدلت الواو ياء وأدغمت إحدى الياءين في الأخرى كسيد وطي أصلها

سيود وطوي ففعل بها ما ذكر))[37]، ومن قبيل حذف عين الكلمة والتعويض عنها بالياء ما كان من باب كينونة وقيدودة وصيرورة فأصلها فيعلولة حذفت عينها وصارت ياء فيعلولة الزائدة عوضا منها[38]، ومما حذفت عينه أيضا وجعلت التاء عوضا منه تاء التفعيل، فهي عوض –كما يقول ابن جني–من عين الفعال كقولهم :قطعته تقطيعا وكسرته تكسيرا، ألا ترى أن الأصل قطاع وكسار[39] لدلالة قوله تعالى: ﴿**وكذبوا بآياتنا كذابا**﴾[40]. ونقل لنا ابن جني عن الفراء قوله: سألت أعرابيا فقال: أحلاّق أحب إليك أم قصّار؟ وأضاف ابن جني قائلا: فكما أن التاء الزائدة في التفعيل عوض من العين، فكذلك ينبغي أن تكون الياء في قيدودة عوضا من العين لا الدال[41].

وما ذكره ابن جني أورده السيوطي بنصه إلا أنه خالف ابن جني في حرف التعويض، فقد جعل السيوطي ياء التفعيل عوضا من عين الفعال وليس تاء التفعيل كما قال ابن جني[42] ولعل اختلاف النصين راجع إما لاختلاف الرأي بينهما وإما لوجود تصحيف في أحد النصين المنقولين عنهما .

ويرى ابن جني في موضع آخر من كتابه الخصائص أن ياء التفعيل هي بدل من ألف الفعال[43]، وأغلب الظن أن ما قاله ابن جني هو الصواب لأنه رأي سيبويه من قبله، وهذا يظهر جليا وواضحا في هذا النص الوارد في كتابه يقول سيبويه: ((وأما فعلت فالمصدر فيه على التفعيل جعلوا التاء في أوله ،بدلا من العين الزائدة في فعلت وجعلوا الياء بمنزلة ألف الإفعال فغيروا أوله كما غيروا آخره، وذلك قولك: كسرته تكسيرا وعذبته تعذيبا وقد قال ناس: كلمته كلاما وحملته حمالا))[44] وقد تلحق هاء التأنيث آخر الكلمة عوضا من حرف محذوف كما في كلمة أقمت إقامة أردت إرادة ونحو ذلك، وقد اختلف في المعوض فقال ابن جني: ((إن الهاء فيه على مذهب الخليل وسيبويه عوض من ألف إفعال الزائدة، وهي في قول أبي الحسن عوض من عين إفعال))[45]، وقد يجوز مع الحذف عدم التعويض لوروده في كلام العرب ولنزول القرآن الكر يم به، وفي هذا يقول سيبويه في باب

ما لحقته هاء التأنيث عوضا لما ذهب: ((وذلك قولك: أقمت إقامة، واستعنت استعانة وأريته إراءة، وإن شئت لم تعوض وتركت الحروف على الأصل قال الله عز وجل :﴿**لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**﴾[46]، وقالوا اخترت اختيارا فلم يلحقوا الهاء لأنهم أتموه وقالوا: أريته إراء مثل: أقمت إقاما لأن من كلام العرب أن يحذفوا ولا يعوضوا))[47]، وقال ابن السراج ((إن إقامة أصلها إقواما فحذفت الألف وكذلك استعنت استعانة))[48]، وقد تحذف لام الكلمة ويعوض عنها بحرف زائد كتاء التأنيث وفي هذا المعنى يقول ابن جني: ((وأما ما حذفت لامه وصار الزائد عوضا منها فكثير منه باب سنة ومائة ورئة وفئة وعضة وضعة فهذا ونحوه مما حذفت لامه وعوض منها بتاء التأنيث))[49]، ولكن اختلف بعض علماء اللغة في تأصيل لام الكلمة المحذوفة من كلمة: سنة وعضة فقيل: أصل المحذوف منهما هاء وقيل: واو وقيل: ياء. حيث يقول ابن سيده في محكمه: ((إن الذاهب من كلمة (سنة) يجوز أن يكون هاء وواوا بدليل قولهم في جمعهم سنهات وسنوات كما أن (عضة) كذلك بدليل قولهم: عضاه وعضوات))[50]، وهو قول ابن بري أيضا[51] ويقول ابن منظور في هذا التأصيل أيضا: ((أصل السنة السنهة بوزن جبهة فحذفت لامها ونقلت حركتها إلى النون فبقيت سنة لأنها من سنهت النخلة وتسنهت إذا أتى عليها السنون))[52]، وقيل أيضا: إن أصلها واو حيث نقل لنا ابن منظور عن ابن الأثير قوله: ((إن أصل سنة سنوة بالواو فحذفت كما حذفت الهاء لقولهم: تسنيت عنده إذا أقمت عنده سنة وتصغيره سنيهة وسنية وتجمع على سنوات وسنهات))[53]، وقيل أيضا أصل لام (سنة) ياء أو هاء وفي هذا يقول ابن السراج في باب التحقير فيما ذهبت لامه: ((ومن قال في سنة سانيت قال سنية ومن قال سانهت قال سنيهة))[54]، ومثلها كلمة: عضة فقيل: أصلها عضوة من عضيت الشيء إذا فرقته، جعلوا النقصان الواو ومنهم من جعل نقصانه الهاء، وقال أصل العضة عضهة فا ستثقلوا الجمع بين هاءين فقالوا:

عضة كما قالوا :شفة والأصل شفهة))[55]، ويرى ابن عصفور أن حذف الهاء من كلمة: عضة وشفة هو حذف على غير قياس[56].

ومما حذفت لامه وعوض عنه بتاء التأنيث لفظة: (مائة) حيث أورد الأزهري نقلا عن الليث قوله: ((إن المائة حذفت من آخرها الواو وقيل حرف لين لايدرى أواو هو أو ياء))[57]، وقيل إن مائة أصلها مئية ساكنة العين فلما حذفت اللام تخفيفا جاورت العين تاء التأنيث فانفتحت على العادة أو العرف فقيل مائة [58]، وقد قال بهذا التأصيل أيضا ابن عصفور[59]، وقيل أيضا أصل مائة على وزن معية فحولت حركة الياء إلى الهمزة وجمعت مئيات على وزن معيات ولوقيل مئات بوزن معات لجاز[60]، ومنه أيضا كلمة (فئة)، وقد اختلف العلماء في لام الكلمة المحذوفة المعوض منها بالتاء أهي ياء أو واو؟ حيث يقول الأزهري :((الفئة الجماعة من الناس والجمع فئات وفئون على ما يطرد في هذا النحو والهاء عوض من الياء))[61]، وقد خطأه في هذا ابن بري ويرى أن صوابه أن يقال: والهاء عوض من الواو لأن الفئة الفرقة من الناس من فأوت بالواو أي فرقت وشققت وحكى فأوت فأوا وفأيا وعلى هذا يصح أن يكون فئة من الياء[62].

ولكن المتتبع لكلام الأزهري يجد أنه ذكر هذين التأصيلين معا، حيث يقول: ((والفئة بوزن فعة الفرقة من الناس من فأيت رأسه إذا شققته وكانت في الأصل فئوة بوزن فعلة فنقص))[63]، ومن أيضا كلمة (شاة) وأصلها – كما يقول ابن عصفور– شوهة فحذفت هاؤها لقولهم في تحقيرها شويهة وفي تكسيرها شياه[64] ومن أيضا كلمة (رئة) وهي – كما يقول ابن منظور– بالهمز وبدونه وتجمع على رئات ورئون[65]، وقد علل ابن سيده لجواز جمعها بالواو والنون لكونها أسماء مجمدة منتقصة....وتصغيرها رؤية[66]، ويرى الجوهري: أن لفظة (رئة) مهموزة وتجمع على (رئين) والهاء فيها عوض من الياء المحذوفة[67].

وقد تحذف لام الكلمة ويعوض عنها بالألف والتاء مثل: (هيهات) يرى ابن جني: أن الألف والتاء فيهما هي بدل من اللام المحذوفة فهو جمع هيهأة، وأصله

هيهية فقياس الجمع هيهيات لكنهم حذفوا اللام وعوضوا[68]، ويرى أيضا: أن من قبيل ما حذفت لامه وجعل الزائد عوضا منها كلمة: فرزدق، وفريزيد وسفرجل وسفيريج[69]، ومما حذفت لامه أيضا وعوض منه بالهاء كلمة: فم) يقول ابن سيده في محكمه: ((الفاء والفوه والفيه والفم سواء والجمع أفواه...فأصل (فم) فوه فحذفت الهاء كما حذفت من (سنة)، وكما حذفت من (شاه) ومن (شفة) ومن (عضة)... وبقيت الواو طرفا متحركة فوجب إبدالها ألفا لانفتاح ما قبلها فبقي (فا) ولا يكون الاسم على حرفين أحدهما التنوين فأبدل مكانها حرف جلد مشاكل لها وهو الميم لأنهما شفهيان وفي الميم هوي في الفم يضارع امتداد الواو))[70]، ومن العلماء من يعلل لحذف الهاء هنا تعليلا لطيفا فيرى ان العرب كانت تستثقل الوقوف على الهاء إذا سكن ما قبلها فتحذف هذا الحرف وتبقي الاسم على حرفين كما حذفوا الواو من أبٍ وأخٍ وغد وهنٍ والياء من يدٍ و دمٍ والهاء من (فوهٍ) و(شفةٍ) و(شاه) فلما حذفوا الهاء من (فوه) بقيت الواو ساكنة فاستثقلوا وقوفا عليها فحذفوها فبقي الاسم (فا) وحدها فوصلوها بميم ليصير حرفين حرف يبتدأ به فيحرك وحرف يسكن عليه ليسكن، وإنما خصوا الميم بالزيادة لما كان في مسكن والميم من حروف الشفتين تنطبقان بها[71]، وهناك من ذهب إلى أن الميم في (فم) هي بدل من الواو وليست عوضا من الهاء ومن هؤلاء العلماء ابن بري[72] وفي ما قاله ابن بري فرق واضح بين البدل والعوض.

النوع الثاني: حذف الحرف الزائد والتعويض عنه بزائد ومما حذف منه حرف زائد وعوض عنه بزائد كلمة: (اللهم) هذا الاسم من الأسماء المختصة بالنداء حيث نقل سيبويه عن أستاذه الخليل قوله:((اللهم نداء والميم ها هنا بدل من ياء...فهلا هاهنا فيما زعم الخليل رحمه الله آخر الكلمة بمنزلة ياء في أولها))[73].

ولقد خاف المبرد سيبويه والخليل في قولهما إن الميم بدل من الياء التي للتنبيه حيث قال: ((وزعم أن مثله (اللهم)إنما الميم المشددة في آخره عوض من ياء التي للتنبيه والهاء مضمومة لأنه نداء ولايجوز عنده وصفه ولا أراه كما قال لأنها إذا

كانت بدلا من ياء فكأنك قلت:يالله ثم تصفه كما تصف في هذا الموضع، فمن ذلك قوله تعالى:﴿ **قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة**﴾[74] وكان سيبويه يزعم أنه نداء آخر كأنه قال: يافاطر السموات والأرض[75]، وما قاله المبرد يؤيد ما ذهب إليه الفراء والكوفيون من أن الميم المشددة في (اللهم) ليست عوضا من (يا) التي للتنبيه في النداء. وفي هذا يقول الفراء بعد أن ذكر رأي سيبويه والخليل في (اللهم):((ولم نجد العرب زادت مثل هذه الميم في نواقص الأسماء إلا مخففة مثل الميم في (ابنم)، ونرى أنها كلمة ضم إليها (أم) تريد :يا الله أمنا بخير فكثرت في كلامهم فاختلطت))[76].

وما ذكره الفراء كان حجة للكوفيين في تدعيم مذهبهم ومما احتجوا به أيضا في هذا الاسم أن الميم المشددة فيه ليست عوضا من (يا) فالعرب تجمع بينهما كما في قول الراجز:

إني إذا ما حدث ألم أقول يا اللهم يااللهما[77]

فجمع بين الميم والياء ولو كانت الميم عوضا من الياء لما جاز الجمع بينهما لأن العوض والمعوض لايجتمعان. أما حجة البصريين فهي الأصل: يالله وأن الميم حرفان والياء حرفان، ويستفاد من قولك: (اللهم) ما يستفاد من قولك: (يا الله) فدل ذلك على أن الميم عوض من الياء. والميم قد أفادت ماأفادت الياء فدل على أنها عوض منها ولهذا لايجمعون بينهما إلا في ضرورة الشعر[78]، ومن الذين ذهبوا مذهب البصريين في هذه المسألة ابن الأنباري حيث يرى أن قولهم هو الصحيح وأن قول الكوفيين فاسد وقد أبطله من عدة وجوه ذكرها في كتابه من بينها: أن ما استشهد به الكوفيون من أشعار هي مجهولة القائل فلا يعرف قائلها، ولا تصلح أن تكون حجة حتى وإن صحت هذه الأشعار عن العرب، وجمع فيها بين العوض والمعوض عنه فذلك جائز للضرورة الشعرية[79]، وما قاله الفراء والكوفيون في هذه المسألة أنكره ،وأبطله الزجاج[80] وأبو جعفر النحاس[81]، وقد قال هذا الأخير((إن القول قاله الخليل وسيبويه))[82]، كذلك أبطله كل من ابن

الشجري والعكبري ويرى كل منهما أن الصحيح ما ذهب إليه البصريون، وأن الرأي ما رأوه[83]، ويرى ابن جني أن مثل هذا النوع من التعويض كثير في لغة العرب ومنه التاء في: فرازنة وزنادقة، وجحاجحة لحقنه التاء عوضا من ياء المد في زناديق وفرازين وجحاجيح[84].

ومنه أيضا: ما لحقته ياء المد عوضا من حرف زائد حذف منه نحو قولهم في تكسير مدحرج وتحقيره دحاريج دحيريج فالياء عوض من نونه، وكذلك مغاسيل ومغيسيل الياء عوض من تائه، وكذلك زعافير الياء عوض من ألفه ونونه[85] وغيره كثير.

النوع الثاني – تعويض حركة من حرف محذوف:

من أمثلة هذا النوع من التعويض ما يعرف بتنوين العوض كأن يحل التنوين عوضا من حرف محذوف، يقول ابن عصفور ((إذا كان الاسم الذي في آخره ياء قبلها كسرة غير منصرف فإن الفتحة تظهر في الياء في حالة النصب لحقتها نحو: رأيت جواري... وأما في حالة الرفع والخفض فإن العرب تستثقل الرفع والخفض فيها مع ثقل الاسم الذي لا ينصرف فتحذف الياء بحركتها فينتقص البناء فيدخل التنوين فيصير التنوين عوضا من الياء المحذوفة، فتقول هذه جوار ومررت بجوار[86] ويدلل ابن عصفور على صحة ما ذهب إليه بقوله: ((ومما يدل على إن التنوين في جوار وغواش وأمثالها عوض من الحرف المحذوف أنهم لا يحذفون في مثل الجواري، وجواريك لأنهم لو حذفوا لم يكن لهم سبيل إلى العوض لأن التنوين لا يمكن اجتماعه مع الإضافة ولا مع الألف واللام))[87].

النوع الثالث – تعويض حرف من حركة محذوفة:

قد يصير الحرف عوضا من حركة محذوفة وهو قليل في لغة العرب ومن أمثلة ذلك ما ورد في كلمة: (اسطاع) يقول ابن عصفور: ((وأما (اسطاع) فالسين عند سيبويه فيه عوض من ذهاب حركة العين فيها وذلك أن أصله (أطوع) فنقلت فتحة الواو إلى الطاء فصار (أطوع)، ثم قلبت الواو الفا لتحركها في الأصل وانفتاح ما

قبلها في االلفظ، ثم زيدت السين عوضا من ذهاب الحركة في العين وهي الواو بجعلها على الفاء))[88].

وما نسبه ابن عصفور إلى سيبويه ورد في كتابه[89]، ولكن المبرد لم يرتض هذا الرأي من سيبويه وقال: (إنما يعوض من الشيء إذا فقد، وأما إذا كان موجودا في اللفظ فلا وحركة العين التي كانت في الواو موجودة في الطاء[90]، ويرى ابن عصفور أن ما ذهب إليه سيبويه صحيح، وذلك أن العين لما سكنت توهنت لسكونها، وتهيأت للحذف عند سكون اللام وذلك في نحو لم يطع، وأطع، وأطعت ففي هذا كله قد حذفت العين لالتقاء الساكنين ولو كانت العين متحركة لم تحذف بل كنت تقول: لم يطوع وأطوع وأطوعت، فزيدت السين لتكون عوضا من العين متى حذفت، وأما ما قبل حذف العين فليس بعوض، بل هي زائدة لذلك ينبغي أن يجعل (اسطاع) من قبيل ما زيدت فيه السين بالنظرإليه قبل الحذف ومن جعل (اسطاع) من قبيل فالسين فيه عوض بالنظر إلى الحذف[91].

أما ابن جني فيرى أن (اسطاعوا) الواردة في قوله تعالى: ﴿**فما اسطاعوا أن يظهروه**﴾[92] أصله: استطاعوا فحذفت التاء لكثرة الاستعمال ولقرب التاء من الطاء، وهذا الاصل مستعمل بدليل قوله تعالى عقبها[93] ﴿**وما استطاعوا له نقبا**﴾[94]، وقد أورد ابن جني لهذا اللفظ خمس لغات: استطعت- اسطعت – استعت – أسطعت – أستعت[95].

الفرق بين العوض والبدل:

يرى بعض العلماء أن هناك فرقا بين التعويض والبدل ،حيث يقول الزمخشري: ((معنى العوض أن يقع في الكلمة انتقاص فيتدارك زيادة شيء ليس في أخواتها... والفرق بين العوض والبدل أن البدل يقع حيث يقع المبدل منه والعوض لا يراعى فيه ذلك ألا ترى أن العوض في (اللهم) في آخر الاسم والمعوض منه في أوله))[96] ويقول ابن جني: ((اعلم أن كل ضرب من ضربي التعاقب وهما

البدل والعوض قد يقع في الاستعمال موضع صاحبه، وربما امتاز أحدهما بالموضع دون وسيلة إلا أن البدل أعم استعمالا من العوض وذلك أنا نقول: إن ألف (قام) بدل من الواو في (قوم) ولا تقول إنها عوض منها، وتقول: إن الميم في آخر (اللهم) بدل من ياء في أوله كما تقول: إنها عوض منها وإن ياء (أينق) بدل من عينها كما تقول: إنها عوض منها، أو لاترى إلى سعة البدل، وضيق العوض وكذلك جميع ما استقريته تجد البدل فيه شائعا والعوض ضيقا، فكل عوض بدل وليس كل بدل عوضا))[97]، ويقول أبو البقاء العكبري: ((والعوض مخالف للبدل، فبدل الشيء يكون في موضعه، والعوض يكون في موضع المعوض عنه))[98] وهو ما ذهب إليه السيوطي أيضا حين قال:

((من حكم البدل أن يكون في موضع المبدل منه، والعوض ليس بابه أن يكون في موضع المعاض منه ألا ترى أن ياء (ميزان) بدل من الواو التي هي فاؤها وهي مع ذلك واقعة موقعها، وكذلك واو (موسر) دل من الياء التي هي فاؤها وهي في مكانها... وليس أحد يقول أن ياء (ميزان) عوض من واوه ولا ألف (قام) عوض من واوه... وسبب ذلك أن (ع وض) إنما هي لعدم الأول وتعويض الثاني منه، وليس كذلك الألف في (قام) و(باع) لأنهما فيهما كأنهما الواو والياء))[98].

الخاتمة:

من خلال هذا البحث توصلت إلى نتائج عدة من أهمها:

1- أن علماء اللغة اختلفوا في تحديد العلاقة بين العوض والبدل أهما بمعنى واحد؟ أم هناك فرق بينهما، فهناك من يرى أنهما بمعنى واحد، فالعوض هو البدل وهناك من يرى أن بين الإبدال والتعويض علاقة تباين على المشهور إذ يشترط في الإبدال كون المبدل في مكان المبدل منه ويشترط في التعويض أن يكون العوض في غير مكان المعوض. وقيل إن بينهما عموم وخصوص، فكل إبدال تعويض ولا عكس.

2- أن ظاهرة التعويض تنحصر في ثلاثة أنواع: تعويض حرف من حرف، وتعويض حركة من حرف، وتعويض حرف من حركة.

3- أن الحرف إذا وقع عوضا من حرف آخر محذوف فإما أن يكون الحرف الزائد عوضا من حرف أصلي محذوف ،وإما أن يكون عوضا من حرف زائد محذوف كما ظهر مفصلا في هذا البحث.

4- أن الحرف المحذوف والمعوض عنه بزائد إما أن يكون فاء للكلمة أو عينا لها أو لاما لها.

5- أن التعويض يكون بالحرف، وحروف التعويض هي: التاء والميم والياء والألف والواو و(ما).

6- أن هناك بعض الكلمات قد يحذف منها حرف ويعوض عنها إما بحرف وهو الغالب وإما بحرفين، كما في كلمة (هيهات) حيث حذفت لام الكلمة وعوض عنها بالألف والتاء.

وما توفيقنا إلا بالله والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث ومصادره :

(1) لسان العرب لابن منظور المجلد 6 / 521 باب العين مادة (عوض) مطبعة دار صادر بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1414هجرية

(2) ينظر ما قاله المحقق في هامش شرح شافية ابن الحاجب لمحمد بن الحسن الرضي الأستراباذي 3/ 70 تحقيق محمد محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1975م بدون وصف للطبعة

(3) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني 276/1 ، 82/2 – 83 تحقيق عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 2001م

(4) المصدر السابق نفسه 72/2

(5) المصدر نفسه 72/2

(6) المصدر نفسه 2 /73

(7) سورة البقرة 148/2

(8) لم أعثر على ديوانه وهو من شواهد ابن جني في الخصائص 2 /73

(9) تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري 6 /2254 مادة (وجه) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين الطبعة الرابعة 1987م

(10) لسان العرب لابن منظور المجلد التا سع 9 / 345 –346 مادة (وعد) 294/9 مادة(وزن) 316/9 مادة(وشي) مطبعة دار الحديث القاهرة 2003م .

(11) كتاب سيبويه أبي يشر عثمان عمرو بن قنبر 2/ 358 ؟ تحقيق وشرح عبد السلام هارون دار الجيل بيروت لبنان الطبعة الأولى بدون تأريخ للطبعة .

(12) المقتضب من كلام العرب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد 1/88 –89 تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة منشورات دار الكتب بيروت لبنان بدون رقم ولا تأريخ للطبعة .

(13) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري مصدر سابق 6 / 2255 مادة:(وجه)

(14) المنصف لأبي الفتح عثمان بن جني شرح كتاب التصريف للمازني 1/184–185 الطبعة الأولي 1954م وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري 1/13

(15) الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج 3/108 تحقيق د عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1988م

(16) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري 1/13

(17) الأصول في النحو لابن السراج مصدر سابق 3/83

(18) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري مصدر سابق 1/9

(19) معاني القرآن لأبي زكرياء يحي بن زياد الفراء1/ 90 عالم الكتب الطبعة الثالثة 1983م

(20) المقتضب للمبرد مصدر سابق 2/167

(21) شرح شافية ابن الحاجب لمحمد بن الحسن الرضي الاسترابادي مصدر سابق3/89

(22) إيجاز التعريف في علم التصريف لمحمد بن عبد الله بن مالك 1/191–192 تحقيق محمد المهدي عبد الحي عمار الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى 2002م

(23) الخصائص لابن جني مصدر سابق 2/73

(24) المسائل العضديات لأبي علي الفارسي ص121 تحقيق د/ علي جابر المنصوري عالم الكتب مكتبة النهضة العربية الطبعة الأولى 1986م

(25) الأصول في النحو لابن السراج مصدر سابق 3/432 –433

(26) الخصا ئص لابن جني مصدر سابق 73/2

(27) كتاب سيبويه مصدر سابق 196/2

(28) الممتع في التصريف لابن عصفور الاشبيلي394/1 الطبعة الأولى 1996م مكتبة لبنان .

(29) معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي ص62 دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة عبدة غريب1998م بدون وصف للطبعة .

(30) البحر المحيط في التفسيرلأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي 51/1 تحقيق صدقي محمد جميل دار الفكر بيروت تاريخ الطبعة 1420هجرية

(31) مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي 22/1 تحقيق حاتم صالح الضامن الناشر مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الثانية 1405هجرية

(32) التبيان للطوسي 87/1

(33) لسان العرب لابن منظور مصدر سابق 747/8باب النون مادة (نوق)

(34) كتاب سيبويه مصدر سابق 211/2، 518/2، 255/4 وينظر الخصائص لابن جني مصدر سابق1 /152، 76/2

(35) كتاب سيبويه 365/4

(36) الممتع في التصريف لابن عصفور مصدر سابق1/322

(37) إيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك مصدرسابق 145/1-146

(38) الخصائص لابن جني مصدر سابق 76/2-77 والأشباه والنظائرفي النحو لجلال الدين السيوطي155/1 -116

(39) الخصائص لابن جني مصدر سابق2/77

(40) سورة النبأ 28/78

(41) الخصائص لابن جني مصدر سابق 77/2

(42) الأشباه والنظائرللسيوطي مصدر سابق 117/1
(43) الخصائص لابن جني مصدر سابق 89/2
(44) كتاب سيبويه مصدر سابق 79/4
(45) الخصائص لابن جني مصدر سابق 89/2
(46) سورة النور 24 / 37
(47) كتاب سيبويه مصدر سابق 83/4
(48) الأصول في النحو لابن السراج مصدر سابق 3/ 132
(49) الخصائص لابن جني مصدر سابق 82/2
(50) المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده 219/4 حرف الهاء مادة (سنه) تحقيق عبدالحميد هنداوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 2000م
(51) لسان العرب لابن منظور مصدر سابق 4/ 720 باب السين مادة(سنه)
(52) المصدر السابق نفسه 720/4 والمادة نفسها
(53) المصدر السابق نفسه 720/4 والمادة نفسها
(54) الأصول في النحو لابن السراج مصدر سابق 3/55-56
(55) لسان العرب لابن منظور مصدر سابق 306/6-307
(56) الممتع في التصريف لابن عصفور مصدر سابق 398/1
(57) تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري 15 / 443 حرف الفاء تحقيق محمد عوض مرعب الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى 2001م
(58) لسان العرب لابن منظور مصدر سابق 190/8 مادة (مأي)
(59) الممتع في التصريف لابن عصفور مصدر سابق 397/1
(60) لسان العرب لابن منظور مصدر سابق 190/8مادة (مأي)
(61) تهذيب اللغة للأزهري مصدر سابق 15 / 416 باب النون والميم

(62) لسان العرب لابن منظور مصدر سابق 9/7 مادة (مأي)

(63) تهذيب اللغة للأزهري مصدر سابق 416/15 ولسان العرب لابن منظور مصدر سابق 9/7 مادة (مأي) باب الميم

(64) الممتع في التصريف لابن عصفور مصدر سابق 398/1

(65) لسان العرب لابن منظور مصدر سابق 21/4 مادة (رأى) باب الراء

(66) المحكم لابن سيده مصدر سابق 10 / 346 باب الراء والهمزة والياء

(67) تاج اللغة وصحاح العربية مصدر سابق 2349/6 مادة (رأى)

(68) الخصائص لابن جني مصدر سابق 83/2 –84

(69) المصدر السابق 86/2–87

(70) المحكم لابن سيده مصدر سابق 4 / 432 باب الهاء والفاء والواو مادة (فوه)

(71) لسان العرب لابن منظور مصدر سابق 196/7 باب الفاء مادة (فوه)

(72) المصدر السابق198/7 مادة (فوه) باب الفاء

(73) كتاب سيبويه مصدر سابق 196/2

(74) سورة الزمر 43/39

(75) المقتضب للمبرد مصدر سابق239/4

(76) معاني القرآن للفراء مصدر سابق203/1

(77) الرجز لأبي خراش في المقاصد النحوية 216/4 وبلا نسبة في المقتضب للمبرد 242/4 والمحتسب لابن جني 238/2 والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري 341/1 وأسرار العربية لابن الأنباري ص232 وأغلب المصادر النحوية الأخرى .

(78) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري 341/1 وأسرار العربية لابن الأنباري ص232 –223 والمقرب لابن عصفور ص250 وشرح الرضي

على الكافية 383/1 وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري 172/2

(79) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري 343/1

(80) معاني القرآن للزجاج 383/1 وإعراب القرآن المنسوب للزجاج 648/3

(81) إعراب القرآن للنحاس 150/1

(82) المصدر السابق 150/1

(83) أمالي ابن الشجري 340/2 -341

(84) الخصائص لابن جني 86/2

(85) المصدر السابق 86/2- 87

(86) الممتع في التصريف لابن عصفور 352/1

(87) المصدر السابق 353/1

(88) المصدر السابق 1أ152

(89) المقتضب للمبرد مصدر سابق 4 / 239

(90) الممتع في التصريف مصدر سابق 152/1 -153

(91) الخصائص لابن جني مصدر سابق 271/1

(92) سورة الكهف 97/18

(93) الخصائص لابن جني مصدر سابق 271/1 .

دلائليات الزمكانية في ديوان طين الأبدية

د.سليمان حسن زيدان
جامعة طبرق

مقدمة:

تتراوح الاستخدامات اللغوية بين أبجديتها الصوتية في بعدها التكويني، وبين قيمتها التواصلية على المستوى العادي كونها صلة خطاب تفاهمي بين المتكلمين بها، وعلى المستوى الخاص حينما تُنْتَخَبُ ألفاظها وتُسَخَّرُ معانيها لتكوين علاقات غير مألوفة بين العامة الذين سيميزونها عن لغته على الرغم من أنَّها لسانهم، وتلك هي اللغة العليا: اللغة الشعرية التي يرقى بها الشاعر عن المستوى الأدنى إلى مستوى أعلى يحتاج إلى إعادة ضبط الوعي لاستنباط دلالاتها.

ويسعى الشَّاعر لتوظيف حشد من العناصر التي تؤهله لخلق خطاب ذي سمة مميزة بقوة تأثيره في المتلقي، هذه العناصر تشكل دعامات وعلامات يتربَّص بها الشاعر في حالة دورانها في مجرتها المعجمية وينشئ منها تكتلات انفعالية، ثم يعيد إطلاقها إلى حيث يرسلها، ليلتقطها المرسلة إليه ويشرع في فك رموزها، وتصنيف مكوناتها ليقف على حقيقة فاعليتها في حيزها البسيط: السطر الشعري، وفي حيزها المركب: النَّص الشِّعري، ثم في الحيز الأكبر (المجموعة أو الديوان).

ولعل الزمان والمكان من بين هذه العناصر بل وأهمها كونهما يشكلان بنيتين أساسيتين في معمارية الفن بعامة والشعر بخاصة لما فيهما من حمولات دلالية ذات شحنات نفسية يدرك المبدع قيمتها في تحريك ذهن المتلقي فيهتدي بواسطتها إلى ما في النَّص من معانٍ وصراعات بين البُنى التعبيرية والتصويرية التي بالوصول إليها يكون قد ربط بين تجربته الشعورية والتجربة الشعرية التي يتعامل معها، والتي هي تجربة شعورية في أساسها تمخضت عن انعكاسات خارجية على داخل الشاعر فتسللت إلى أعماقه فلما اختمرت قذفها إلى وعاء القارئ بعد أن نمقها بإمكاناته الإبداعية، وهو ما نحاول أن نبرزه من المجموعة الشعرية (طين الأبدية)

للشاعر العراقي: أحمد محمد رمضان. شاعر مغمور ذو حس إبداعي انتقالي في الرؤى الشعرية. وإنَّنا نفرد هذه المساحة النقدية الموسومة بـــ (دلائليات الزمكانية في طين الأبدية) لقراءة تحليلية لخطابه الشعري، واتجاهه الدلالي كما يحدده السياق تحت عنوانين رئيسين هما:

ـــ التواتر الزمني مؤولة استرجاعية: الأسطورة أنموذجًا.

ـــ التفاعلية المكانية بوصفها دالا معنويًا.

استهلال:

إذا كان الشَّكل في اللفظ، والمضمون في المعنى ؛ فإن تراسل الدوال يقع بين كليهما، ليهيئ لتناسل المدلولات؛ فتتخلق الدلالة في اللغة التي هي الآلية الناضجة لتوصيل القصدية في النَّص الشِّعري إذا ما وجدت من أحسن توجيهها إلى حيث أداء الوظيفة الجمالية الكامنة فيها التي حتمًا ستنفلق حين يهبها تواتر السياق الحياة الجديدة عبر صلة التجاور والتبادل والإيحاء ،لتجد نفسها في زمرة تركيب لغوي ربما يخرجها عن معناها الحقيقي إلى المجازي، ومن صفتها الأصل إلى علامة أنتجتها ثقافة البيئة أو العصر بالرغم من أنها استمدت حيويتها مما حُمِّلَتْ به من شحنات مادية وشعورية من وجودها السابق لميلادها في الحيز الإبداعي الجديد: النص الشعري.

وتأسيسًا على المفاهيم التي ترشح عن ما سلف ذكره؛ فإنَّ المجموعة الشعرية (طين الأبدية) قد قدمت نفسها للمتلقي من العتبة الأولى العنوان الدال على التحام تام بين الزمان والمكان، وهو ما تعكسه لوحة الغلاف سواء على مستوى أكان في اللون كتب به العنوان ورسمت به اللوحة كلِّها، أو في نوع الخط المضلع الذي كتب به العنوان إذ احتاج إلى حيز مكاني أكبر مما لو كتب بخط آخر، ذلك على الامتدادات الثلاثة: الطول ــ العرض ــ الارتفاع. لقد احتاج إلى مساحة أكثر تتوازى مع المدلول الزمني لفظ (الأبدية) الذي هو من جنس الطين. كما أن الحجر المتناثر المزدوج الحجم بين الصغير والصغير جدًا، والكبير والكبير جدًا قدَّم ايحاء

بتعدد المراحل العمرية، وبالتعددات المكانية أيضًا، وهو ما يعطي انطباعًا معياريًا معماريًا لما ستكون عليه الهيكلية البنائية في النَّص الشعري.ويستشف من تمازج الألوان والظلال المُسْقَطَة على بعض أجزائها والنقوش مدى التعالق بين حَدَّي الوجود :البداية / النهاية.

ولافتأنَّ الإهداء يمثِّل علامة دالة على السيرة النفسية للشاعر وما فيها من مفارقات مهد لبثها في إلماعات الإهداء الذي تعمَّد الإعلان فيه عن التكوين الذي وظَّف الحيزين: الزماني والمكاني لبيانه ؛ فاستخدم لذلك الألفاظ المُعَيْنَة في اللغة كإشارات خطابية لأداء هذه الغاية، إذ بدأ بمفردة (ذكرى) التي لا تفسير ولا تأويل ولا تحويل يمكن أن يخرجها عن إطار الزمن الماضي؛ وأمَّا تحليل ما تحمل من مضمون فهذا يتكفل به السياق في بعده الثاني: المستوى الأفقي الذي كان للمستوى النحوي حضور فيه، حيث حددت الصفة (القديم) الزمان الدال على سمة المكان (السوق) ذلك بقوله في شأنه "في السوق القديم". كما أنَّللبدء بشبه جملة دلالة زمنية مضمرة تُفَرَغُ حمولتُها في القراءة الاستطلاعية (الاستكشافية) لتتضح صورتها بعد القراءة الاسترجاعية للإهداء حين الفراغ من القراءة الكلية للمجموعة الشعرية.

ويستحضر مرة أخرى ــ على صعيد البنية النحوية ــ الزمن الماضي لكن هذا الاستحضار كان بجملة فعلها ناقص وكان الشاعر فيها هو الاسم الذي سد مسد الفاعل " كُنتُ..." ولم يكتفِ بذلك بل أناب القارئ عنه ليكمل ما لم يفصح عنه لكنه أفسح مجالا لفهم المراد حيث جاءبعلامة أخرى(...) وهي علامة الترك في حزمة علامات الترقيم التي لها قيمتها الفاعلة في تفسير النَّص العادي ؛ فماذا عن أهميتها لتأويل النَّص الشِّعري وقد أصبحت تقنية فنية في الشِّعر الحديث.

ومفردتا (الطفل والبذرة) متساويتان في المشترك الثنائي حيث إن الطفولة يعقبها نضج وبلوغ وهذه ثنائية أولى: ولادة / بلوغ والبذرة تبدأ الحياة من الفلق الموازي للولادة ثم يعقبه نضج فاستواء، وهو الموازي للبلوغ وقد عبر الشاعر عنهما في صورة مشتركة بقوله "اكْتمَلتْ" وقد ورد الفعل مسبوقًا بها التنبيه، وحرف التحقيق

(قد)؛ فقال:"هَا قَد اكْتمَلتْ" كما يتلازمان في المعادل الدلالي إذ هما دالان يشتركان في مدلول واحد (البدء) ويتقاطعان في صلة واحدة مع المسند إليه في عنوان المجموعة الشعرية (طين)؛ فالطفل المنتمي لبني الإنسان مخلوق من طين في بدء الخلق، والبذرة تبدأ حياتها في الطين، ومن هنا يتحولان إلى علامة الصراع للبقاء في مكان واحد هو (الطين) الذي كان البداية ثم ستكون إليه النهاية ؛ فكما كان الطين دالا على الحياة ، فهو ــ أيضًا ــ دال على الموت؛ فآخرة الإنسان (الطفل) القبر، والقبر في الطين ومن الطين، وآخر البذرة: الموت في الطين أو اقتلاعها منه. ومن هنا فإن مفردة الطين التي بدأ بها الشاعر الإعلان عن تجربته الشعورية هي مؤولة حسية ذات دلالات معنوية متشعبة تصلح أن تكون الدليل على نووية التداخل بين مكونات النَّص بدءًا من الصوت وليس انتهاء بالمعنى الظاهر.

ــ التواتر الزمني مؤولة استرجاعية: الأسطورة أنموذجًا.

الخيال فسحة ذهنية تتخلق فيها إحالات إبداعية توفِّر في بعض الأحيان مادة تدخل في نسيج البنائية الفنية ، إذ إنَّ المبدع سيكون منها صوراً لأشياء جمالية يختار شكلها ويرسم دورها بما يضفي عليها من المميزات أو العيوب التي تمنحها القيمة المتخيلة لها ، وفي جانب آخر قد تكون هذه الأشياء في الأصل حقيقة لكنَّ تناول الإنسان لها وإضافته عليها سواء بدافع الإعجاب أو الإثارة ينقلها من الحقيقة ليضعها في إطار الأسطورة ، لكنَّه يرهن آفاقه الفكرية بها ؛ فيتم التعامل معها على هذا الأساس سواء أكان في القصص الشعبي أم في الروايات أو الشعر ، على اعتبار أنَّ " الإشارة الأسطورية صورة مكثفة للتعبير عن طريق التجسيد الشعري"[1]... وفي جانب الشعر– موضوع دراستنا – نجد أن الشاعر أحمد محمد رمضان وظف الأسطورة ليؤطر الزمن بتحديد وحدته، جاء ذلك في مستهل مجموعته الشعرية في القصيدة الأولى التي تحمل اسمًا يوحي بالزمن البعيد حيث البدء (نَضرةٌ أَزلِيّةٌ)*[2] فيبدأ للتأسيس لحوارية بين شخصيتين أسطوريتين رؤيويًا هما أنكيدو وجلجامس، ليجعل الأول قناعًا له، والثاني باثًا لرؤاه الفكرية لإكمال

دائرة الوعي الشعوري التي سيكون على المتلقي أن يحدد قطرها لينطلق منه في رحلة القراءة الاستكشافية، والتي سيحدد من خلالها معالم يعود إليها عند الشروع في التحليل ومدافعة التأويل، لما أودعه عنده الشِّاعر من معاناته، التي أنتجت تجربته الشعرية، والتي ليست إلا "حصيلة تفاعلات عدة تعتمد على جملة المدركات المتزاحمة في ذهن المبدع، والتي تكونت عبر تجارب متباينة، وفي أزمنة متباعدة، لذلك فالتجربة مليئة بالتعقيد والتداخل وبعض الغموض ، شأن العناصر الداخلة في تشكيلها ، والتي تمثل الحياة الإنسانية"[3].

نتقاسم المعرفة قي أنَّ الإبداع الإنساني نسيج يجمع جماليات يضفي بعضها على غيره قيمًا بنائية فنيَّة تعين المبدع في العملية التوصيلية لتجاربه بالوسيلة التي تقربه من الغاية إن لم توصله إلى ذراها، والشعر واحد من الإبداعات الإنسانية الخلاقة لعلائقيات التكامل والتكافل، والانصهار والتفاعل في الاتجاهين، وفي هذا السياق نتيقن من أنه " تفيد حركية التعبير الشعري كثيرا من لغة الحكاية الداخلةفي كيمياء النص الشعري وهي ترشح آليات سردها لتفعيل نظم الحركة في بنية النص ودفعها باتجاه شحن قوتها الشعرية بقوة سردية مضافة تنهض على تطوير العناصر السردية في الشعر ومساعدتها في التمظهر والتشكل داخل المشهد على نحو فاعل ومنتج ومحرك للفعل السرد شعري"[4] وإن إدراك هذا المفهوم ينعكس على ممارسة الكتابة في الذهن، ومن ثم على البياض كنتيجة منطقية لاستلهام الشَّاعر الطاقة الدافعة التي يستدرج بها وعيه ليرجع به من الراهن إلى الأزلي من تناقضه مع الواقع ؛ فيقول:

أَنكِدُو : جَلجَامشْ يَا صَديقِي
هَل جَرّبتَ أن تَركبَ غَيمةً ذَهبيّةً
غَفتْ عَلى ضِفّةِ الفُراتِ...،؟
تُغيّرَ مَلامحَ العَالمِ ابْتسَامَتكَ لِنعشِي...،؟
جَلجَامِش:

آهٍ...
كَم تَغيَّرتْ أَغصَانُ قُلوبنَا،
عِندمَا هَجرَتهَا عَصافِيرُ الآلِهةِ...
حَملهَا الطَّبّالونَ بِأعْراسِهِمْ،
تَملْملتْ عَلى تَوابِيتنَا آيةُ الأَرزِّ
لَياليَا و أَيّامَا
رَائِحةُ الغَابِ تُهلْهلُ صلَوَاتهَا،
.....

ليس انكيدو هذا إلا الصديق الودود للملك السومري جلجامش الذي عاش في القرنين الثامن والعشرين والسابع والعشرين قبل الميلاد وكانت له طموحاته الخرافية التي كانت سائدة في ذاك الزمن البعيد. يفتتح انكيدو الحوار بمناداة جلجامس بـــ (ياصديقي) ولهذه الصفة دلالة حرص الشاعر على توظيفها شعوريًا في خطابه للمتلقي الذي حدد نمط العلاقة وحدود المسافة بينهما، ثم يشرع في الحوار مبتدئًا بالاستفهام، وهو ما يجعلنانلحظ سمة التعاضد الأسلوبي بين النداء والاستفهام للرفع من مستوى الدفق الشعوري بهذه الازدواجية الأسلوبية لغاية تعبيرية أتبعهما بازدواجية زمكانية إذ قال"هَل جَرّبتَ أن تَركبَ غَيمةً" فالفعل (تركب) يحمل استحضارًا ذهنويًا للمكان، كما أن في قوله " غَفتْ عَلى ضِفّةِ الفُراتِ" نجد أن الفعل (غفت) دال زمني في مقابل تكرار الاستحضار المكاني المباشر (ضِفّةِ الفُراتِ) في مقابل العلاقة بين مكان السحابة (السماء) ومكان ضِفّةِ الفُراتِ(الأرض)، وهو تضاد ظاهر خلاق لتكاثف دلالي مضمر إذ لا تكتمل قيمة السماء إلا بوجود الأرض، كما أنَّ الواقع يُفضَح سرُّه بإسقاط الخيال الحافل بشحنات تفاعلية قادرة على حمل التجربة الشعورية، والأسطورة واحدة من كمٍّ

كبير من الأخيلة المستدعاة، حيث " إن الأسطورة عملية إخراج * لدوافع داخلية في شكل موضوعي"[5].

ويستطرد الشاعر في ممارسة الاستدعاء للمضمون الأسطوري الأمر الذي ينتج إيحاءات نفسية نستنبطها من دلائليات خلقتها الصلة بين المتجاورات من المتضادات التي أَلَّف بينها لتأصيل الرؤيا الشعرية التي بنيت على الفارق بين الآن (زمن القراءة) والأمس (زمن الأسطورة) وليدعم ذلك بالصورة الشعرية التي تبرز جماليات النَّص، ويأتي ذلك في سياق السَّرد الشِّعري في مضمون الرد على الطرح الرؤيوي الذي أطلقه على لسان قناعه، والذي مهد من خلاله للجواب الذي يريد أن يضمنه في رسالته للمتلقي؛ إذ يقول" كَم تَغيَّرتْ أَغصَانُ قُلوبنَا"؛ فبهذه الاستعارة أوصل ما أراد أن يعبر عنه من سخط على واقع لم يرضه حتى فرض عليه الهرب منه. إذا تغيرت الأغصان تغيرت الثمار، وأي أغصان تلك التي كشف لنا عن تغيرها؛ إنَّها أغصان القلوب التي هي في الأصل لا أغصان لها. ويصل المعنى بالمعنى بالربط بين السياقات في المستويين: الرأسي والأفقي حيث صلة النوع التي تحققت في مفردتي(أغصان/الغاب). الغاب وهو المكان الذي يوحي ــ بمجرد ذكره ــ بالخوف والوحشة وكثافة الظلمة كما هو الحال مع التوابيت التي ساقها في صيغة الجمع (تَوابِيتنَا) ثم ألحق بها في سطر شعري واحد متضادين (لَياليَا و أَيّامَا) شَكَّلَا حيزين زمنيين لكنهما مختلفين في الصفة والدلالة كما هي الموت والحياة ــ العالم العلوي// العالم السفلي، وهو الفكرة التي تحملها الأسطورة التي اتخذها وسيلة لتوصيل غايته والتي صاغها تجربة شعرية بلغة عليا.

يجلو لنا أنَّ الشاعر يغوص في أعماق الزمن الماضي لينطلق من خلاله إلى الحاضر بكل ما فيه من تعاسة وألم؛ ليعبر عن اغترابه النفسي في عالمه المعيش،

الذي سيطرت فيه الأنانية والانتهازية، فأصبحت الحياة جافة والواقع سوداوي مخيف، لقد تفاعل الشاعر مع تجربته الواقعية تفاعلاً نديًّا ألجأه إلى العودة إلى الوراء، لعله يجد العون الذي يعينه على الاستمرارية، ليخلق أسطورته المعاصرة وليفسح المجال لتجربته كي تتعامل مع الأساطير" تعاملاً شعرياً على مستوى الرمز فتستغل فيها خاصة الامتلاء بالمغزى أو بأكثر من مغزى"[6].

لا مراء في أنَّنا بالتتبع والاستقصاء لإنتاجه الإبداعي الشعري سنجد أنَّه تطفو عليه مسحة من الحزن والاغتراب، بل إنَّها هي المسيطرة على كثير من قصائده التي جسد من خلالها عمق المأساة: مأساته الخاصة، ومأساة الإنسان عبر حقب عدة، وهي التي كانت خصبة البراءة، دسمة الألفة الأمر الذي عبَّر عنه بقوله:

فِي قَلبِ هَذا العَالمِ وُلدتْ عَشتَارُ،
كَسائرِ المَلائِكةِ
لَولَا ثَورُ سَماوَاتهَا الأَبلهِ،

.....

لقد أعلن عن مولد عشتار وما تحمل من معانٍ للبشرى بالخير حيث تتجسد فيها دلالات الخير لارتباطها بسمة الخصب كما هو في الذاكرة من الأسطورة التي هي بطلتها وبفقدها افتقد الواقع متطلبات البقاء، لذا صار البحث عنها ضرورة، وهذا هو المفقود الأساس في الواقع الذي يعاينه الشاعر شعرًا يعبر به عما اختمر في أعماقه ليرسله إلى المتلقي الذي عليه أن يشاركه الرؤية والموقف لما يدركه من امتلاك القارئ لمخزون معرفي وطاقة شعورية تجعله يدرك قيمة اسم عشتار(الأسطورة) المعادل اللفظي للتأطير الزمني. وإن لتشبيه عشتار بالملائكة استكمال لدورة التعبير والتصوير الفنية لما يوحي به لفظ الملائكة من الاطمئنان والإحساس بالراحة الشعورية، وهو ما يحدد مقدار قوة وقع حالة الغياب لهاتين العلامتين (عشتار/الملائكة) التي دفع بأداة الشرط غير الجازمة (لولا) لأداء هذه المهمة، حيث نسف ما قبل (لولا) بما بعدها، لتجهيز المعاني لحمل انفعالات الذات،

وسوق الخطاب في السياق البِكر الموجه للدلالة على التلاقح الظرفي ما بين الذكرى التي يمثلها الماضي، والحاضر الذي يمثله اليوم لينتج الحدث الماثل في الأسى المتواتر وما كان للإنسان ــ الذي رمز له بالطين ــ من سبب فيه لما يحمل من دلائليات الوجود والفاعل والمفعول. وهو ما رسم صورته في الأسطر الشِّعرية التَّالية بما تحمل من مضامين ؛ فيقول:

جَلجَامِش:

فِي المَاضِي تَناوَلتْ أَقدَامنَا الطِّينُ

و اليَومَ قَد ابْتلعَ رَغبَاتنَا!

سَلَّتكَ لَم تَعدِ المَوجةُ فَقدْ بَانتْ لِعذُوبةِ تَغشِّيَاتهَا الخَفافِيشُ...

و لَملَمكَ المَوتَى

كَما يُلمْلمُ الأَرقُ عَلى بَابِ الأَبدِ

في سعي من الشاعر لكي يحافظ على التسلسل السياقي يحرص على حفظ وحدة الموضوع الذي طرحه على أسس تقنية سردية وبأسلوب الحوار لتحديد آليات سريان الموقف؛ فهو في هذا المقطع الشِّعري يجيب على لسان الشخصية المستدعاة من العصر القديم (جلشامش) بعد انحدارها إلى العالم السفلي؛ فيقول"سَلَّتكَ لَم تَعدِ المَوجةُ فَقدْ بَانتْ لِعذُوبةِ تَغشِّيَاتهَا الخَفافِيشُ... ليرد بذلك على تساؤل أنكيدو"ما زِلتَ تُلمْلمُ البُروقَ بِسلّةٍ مَثقُوبةٍ؟! " إذ تتنامى فاعلية السياق الذي له" علاقة بتكون النص وطريقة تشكله على مستوى اللفظ والدلالة"[7] وهو ما نراه في القيمة اللغوية لكلمة (سلَّة) التي يعززها موقعها بين الكلمات إذ تختلف دلالتها في هذا الجزء من معمارية النَّص، عن دلالتها الأولى وقتما ألقى باللفظ إلينا في مقطع سابق في سطر شعري أسبق للزوم السَّرد الشعري المنساب مع التراتب الزمني للرؤيا الشعرية التي يبثها تيار الوعي الشعوري على امتداد البياض لخلق التحام بينه وبين السواد لنشوء قيمة فنية تعبيرية مؤسسة على ثنائية الامتلاء (السواد) والفراغ (البياض) لاستنباط دلالات نفسية يكون الكلام واللغة وما يحملان من معنى وقصدية دوالها

ومدلولاتها، وبهذا نفى ديمومة الحال (الزمن الماضي) لتبدل الأشياء في (الزمن الحاضر) وهو زمن المقول// زمن القراءة. لقد تحوَّل السؤال كما تحوَّل الجواب إلى ما يمكن أن نسميه ــ كما سماه النقاد ــ الدليل. وهو الذي يسيطر على الرؤية التي توصل إلى التفسير المقبول لما تتضمن التراكيب اللغوية ــ من المفردات والجمل ــ من إشارات وأيقونات تكفل حسن التأويل لما يتواتر من معانٍ متلاحقة مترابطة مرتبطة بالعلامة الكبرى العنوان الخاص (نَضرةٌ[نظرة]أَزلِيّةٌ) ومن ثم العنوان العام أو العتبة الكبرى (طِينُ الأَبدِيّةِ)الذي يحوي التجربة الكاملة للشاعر.

ويستطرد الشّاعر في البوح بما يتردد صدى نداءاته، ويتكاثف لفح أواره في أقصى منطقة اللاشعور وهي المعادل الموضوعي للمكان المُتَخَيَّل الذي تجري فيه الأحداث (العالم السفلي) والذي أفلح الشَّاعر ليس في نقله إلى العالم العلوي وحسب بل في جذب المتلقي إليه معتمدًا على الإيقاع الصوتي ، كما في المقطع التالي الذي بدأه بها التنبيه إذ يقول:

أَنكِيدُو:
هَا هِي اَنتُم تُراودُ الذِّكرَى عَلى شَواطئِ الحُلمِ،
آهٍ...
لَقدْ أَحزَنتنِي يَا قَوسِي العَظيمَ...
لَم أَفهمْ تَرتِيلةَ المَاءِ حِينهَا
و لَم تُهدْهدْ لِي الآيةُ تِلكَ السَّريَانَاتِ
كَما الشَّهادةُ،
كُنتُ أُغنِّي لِأَفْرحَ و أَكتُب
قَصيدةُ الجَانِّ عَلى أَبوَابِ الجِنانِ،
جَلجَامشْ
مَا حَالُ صَيّادنَا!
لَم يَزلْ يَتثَاءبُ فِي البَرارِي...

أَ مَا حَملتْ مِنهُ حُوريَّةً؟
أَم أَنَّكَ أَعتقْتَ الفُؤادَ لِتكْملَ رِحلَتكَ نَحوِي...؟!

نلحظ أنَّه قد عطف بـــ (آه) الحاملة لدالة التوجع المشحونة بالنبر الحزين ذات الوقع الشديد كون مخرج الهاء من أقصى الحلق الدال على العمق النفسي وكلُّها أحيزة مكانية ذات دلالات معنوية وإيحاءات بتفاعلات وانفعالات مشتركة بين طرفي المعادلة الإبداعية (المُرسِل ــ والمُرسَل إليه) والتي أفضت إلى التصريح بالحزن ونفي الوعي بالواقع الذي أفسد الحلم.

وكما حرص الشاعر على انتقاء المستهل بالإفصاح عن الأسلوب؛ حرص ــ أيضًا ــ على الختام إذ جعله قطعة فنية محدودة الألفاظ لكنها مكثفة المعاني. يقول الشَّاعر:

أنكِيدُو:
دِجلةً عَلى الدُّفوفِ...
تُبرقُ فِضَّةَ حَلمتهَا،
جَلجَامِش: تُبرِقهَا يَا صَديقِي.

إن ما يضعنا على معرفة بالدلائلية المستخلصة من الاسم الشائع (دجلة) المعلوم للمتلقي أنه اسم لأحد النِّهرين المشهورين في العراق (دجلة والفرات)؛ هو ما يتدفق من المخزون المعرفي بما لدجلة والفرات منرمزية أزلية تربط بين الأزمنة الثلاثة: الحاضر/الماضي/المستقبل، إذ هما رمزان صريحان للحياة والحضارة، وهو ما نهتدي إليه من مفردة (حَلمتهَا) حيث إنَّها دال صريح يستدعي مدلوله المضمر في المعنى (الحياة) التي جعلها مضافًا إليه للقيمة المستقاة من لفظة فضة، والتي أنعش دلالاتها بالفعل تبرق.

ــ التفاعلية المكانية بوصفها دالا معنويًا:

لا مجادلة في أنَّ المكان مؤشر يستدلُّ به على الأفعال كونه عنصرًا أساسًا في تكوّن الحدث والتأريخ للوقائع انطلاقًا مجال نشوئها؛ وهذا ما يجعل المكان بؤرة

الانفعالات، ومنطلق الأفكار، وكذلك العواطف، كالخوف، والاطمئنان، والحلم، والضياع، والشقاء، والسعادة. والريبة، والتضمر...إلخ . ولكل منا علاقته بالمكان من غير الربط بينه وبين أين نكون على خارطة الوجود، أو النمط، أو التصنيف الذي ينضوي تحته هذا الوجود. يقول (برتراندراسل) :"إن المكان الطبيعي وحده هو الذي يمكن اعتباره محايدا ومشتركا، أما المكان الذي تدركه ، فهو مكان خاص بك... كل إنسان يحمل مكانه الخاص حيثما انتقل، فهناك من الأمكنة المدركة عدد ما هنالك من الأشخاص المدركين"[8].

وعنصر المكان في النص الأدبي هو أحد مقومات التقنية الفنية فيه؛ فبه يبدأ (الشاعر) رسم أول خطواته في أعماقه عندما تنطلق التجربة الشعورية في التبلور، ومن هذا المنحى يكون وسيلة تجميع أدوات التشكيل للتجربة الشعرية التي تنطلق من اللسان= (مكان)، أو على الصفحات= (مكان)؛ لأنه مرتبط بجميع الأحداث سواء أكانت التي ينقلها النَّص الشِّعري، أم التي تنقله إلينا، في إلمام بكل ما يخص وجود الإنسان أو ما يتعلق به، وعلى هذا الأساس ظل المكان، وسيظل موازياً لبقاء الإنسان، ومؤتلفاً معه.

وتطوَّر مفهوم المكان مع تطور الحياة وتطور الإنسان نفسه، حيث أصبحت قِيْمَتُهُ أكثر أهمية، ولقد تنوعت النظرة إلى هذا العنصر، ولم تعد مجردة من الغايات، بل قيمة لها حضورها الفاعل على كافة الأصعدة، على الرُغم من جغرافيتها في الأساس، ولكنها جغرافية سياسية تقاس بالمسافة التي يمكن أن تحتويها الملكية العامة والخاصة من جهة، وبالمسافة التي تحدد حرية الفرد أو تحد منها، أو التي تشكل مصدر فرح أو ترح، أو رغبة وقبول، أو قلق ونفور، ولذلك نجد أن نفسية الإنسان في الغالب رهن بمكان وجوده وهي مقياس الحكم على هذه النفسية، فإن كان إيجابياً كانت إيجابية، وإن كان سلبياً كانت كذلك.

ومِنْ أبرز مَنْ وصفوا المكان: "يورى لوتمان" حين تناول وظيفة المكان في النص الشعري. وما ينطبق على الشعر ينطبق على كافة صنوف الأدب؛ فما الشعر

إلا جنس من الأجناس الأدبية المتعددة . يقول لوتمان " إن وظيفة المكان في النص الشعري ليست وظيفة تعبيرية فقط يطرح الشاعر من خلالها انفعالاته وعواطفه، بل أيضا للمكان وظيفة معرفية حيث يتم تأسيـــس بناء معرفي في مجال إيهامى، إذ يجمع التخيل بين وعى محتمل وواقع (= مكان) مفترض، يتشكل بينهما عالم متخيل لا يقوم على التصوير الهندسي فحسب، بل أيضا على بنية متكاملة في المجال المعرفي والتشكيلي، تصبح بنية مكان النص نموذجاً لبنية مكان العالم، وتصبح قواعد التركيب الداخلي لعناصر النص الداخلية لغة النمذجة المكانية "[9].

ولغاستون باشلار مُؤَلَّف عن المكان: نقي الفكرة ناضج المضمون هو (جماليات المكان) يعد من الكتابات المهمة عن عنصر المكان ــ إن لم يكن أفضلها ــ وما يضفيه على الأدب من جمال و قيمة لدرجة ــ كما يرى باشلارــ أن المكان سواء كان كبيراً ــ كأفق الوطن ــ أو ضئيلاً ــ كخزانة الملابس ــ يترك أثراً يعلق بالنفس، ويخلق قيم الألفة والارتباط بالواقع والحلم، ويحول قارئ النص الأدبي إلى قارئ للحجرة، وقارئ للبيت، وقارئ للخزانة، ومن قبله الكاتب إلى كاتب للحجرة، وكاتب للبيت، وكاتب للخزانة. وكذلك الحال لباقي الكائنات الحية التي يشكل المكان لها عنصر وجود كالأعشاش والجحور والقواقع[10].

وقد حدد باشلار المكان تحديداً دقيقاً بعد أن سرد وصفاً لبعض الأمكنة المعروفة وعلاقتها بما عليها، أو ما يقبع بداخلها، ذلك بقوله: "الحق، أننا هنا لمسنا مسألة لابد لنا من تكشف صورها، وهي: كل الأمكنة المأهولة حقاً تحمل جوهر فكرة البيت "[11] والبيت كما هو متعارف عليه يشكل المكان الأول والمهم.

لا نمارس ما ليس واقعيًا ونحن نسجل رأينا في أن لشاعرنا الكثير من الوقفات عند القيمة الفنية التي يضفيها المكان، بل نوع المكان وصفته لكي يرسل عن طريقها ما أراد لرؤاه أن تبلغه، لكي يتمكن المتلقي من قراءة أفكاره في الاتجاه الذي ساقها إليه، والذي سيسهم في فك شفرات النَّص وصولا إلى الإفراج من المعاني المستترة التي تنشأ على ضفاف تقاطعات انبعاثات قصدية الشَّاعر مع

قصدية النَّص التي تترجمها دلالات الألفاظ والصور. يقول الشَّاعر في قصيدة (رِيلْكهْ)[12].

كَسائرِ المَوتَى كَانَ يُغنِّي...
تَطفُو الرِّياحُ بَينَ جِفنَي،
تَحملُ تُخومهَا النُّجومُ...
و عَلى قَبرِي تُلمْلمُ الحَيرةُ تَزاهِيدهَا،
كَما يُدنْدنُ لِصبْحهِ...
.....
سِدرةً تُسبلُ سُهدَ حَريرهَا،
عَلى شُعاعٍ سُتبُلةِ ...
عُدتُّ بِزخْرفةِ نَفسِي
بَردَا منَ السَّريَانَاتِ،
كَعصْفورٍ مَيِّتٍ حَزنتُ عَلى صَوتِي...
لَياليَا تَرقْرقتُ بِصدْرهِ
عِندمَا اسْتبَاحتِ النَّفحةُ طِينِي
سَجدتْ لَنا المَلائكةُ،
كَشبحٍ عَجوزٍ تَملْملتْ لِي المَشيئةُ...
وتَنامتْ بِغضِّ سُهدهَا
بَساتِينُ خَيالَاتِي.

يقابلنا في هذا الجزء من هذا النَّص شيئان يستوجبان التعاطي معهما بقراءة تأملية واعية في مستهل سيرورة التحليل النَّقدي للنَّص الشِّعري شكلاً ومضموناً؛ أولهما أن البداية جاءت بشبه جملة وهي دلائلية بنيوية لغوية، وبصورة مادتها التشبيه وهي بنيوية تصويرية، كما أن الخطاب الابتدائي كان للغائب، وثانيهما التآلف بين الأسطر الشِّعرية حتى كأنَّها حبَّات عقيق ضمَّها عقد تشي بدلائليات

البنائية الفنية للهيكل التعبيري الذي مادته الأساس: التقاطع بين التشكيلين التعبيريين على المستويين: العمودي والأفقي اللذين يعتمد عليهما السياق في ديمومة التوجيه السياقي للدلالة.

والجملة الشِّعرية "كَسائرِ المَوتَى كَانَ يُغنِّي..." التي بدأت بحرف التشبيه (الكاف) الذي كان أداة لتشبيه غير متجانس على مستوى الوعي؛ إذ لا غناء بل لا حياة للموتى بالمعنى الحقيقي، الأمر الذي يستدرجنا نحو إثبات المجازي بدلا عنه مدعمًا بتقنية الحوار الداخلي الذي أخذ ينقلنا إلى عوالم متغيرة من الخطاب يتناوب فيها الغائب والأنا المتكلمة لخلق ردود أفعال على ما تضمر الأحداث المُكَوِّنة لارتدادات التجربة الشُّعورية.

إنَّ كلمة الموتى تستدعى المكان (المقبرة) التي نستطيع أن نرى أنها الدال الحسي على مدلول معنوي هو الشعور باللاقيمة للكينونة، ولا أثر للوعي وهما اللذان لا مكانَ ماديًّا لهما، وفي المقابل يجعل الظرف (بين) دليلَ إدراك حسي تمثل في المكان الذي تطفو فيه الرياح في المضمون (جِفنَي). والرياح شيء محسوس بالأثر ، ثم تتدخل الأنا لتربط ــ بالذكر الصريح للفظ ــ بين المكان لمذكور بصلة النسب بين اللفظ والمعنى (الموتى/ المقبرة) إذ يقول "وعَلى قَبرِي تُلمْلمُ الحَيرةُ تَزاهِيدهَا" ومن ثم يبني علاقة طردية بالمقابلة بين لفظ هو بمثابة علامة للتواصل (أيقون) وهو (الحيرة) وبين علامة واضحة (مؤشر) وهي (علامة الترك"...") ليضاعف درجات الحيرة عند المتلقي الساعي لملء الفراغ بما يراه مناسبًا ليقيم أركان الصورة الفنية المتخيلة التي ــ بلا ريب ــ ستحجز حيزًا من الفكر تقوم فيه برصد الأبعاد الدلالية للرؤية التي يسوقها الشِّاعر من خلال القيم الفنية المترامية الشحنات النفسية المعبرة عن الموضوع. وإنَّ في هذا لتأسيس لمكان معنوي يصلح أن يكون إشارة إلى دلائليات الحركية في منطقة اللاوعي التي تُرسَل منها إيحاءات فكرية لتصل إلى حيث نقطة الوعي الأولى (المعنى) ومن ثم إلى نقطة الوعي الثانية (التفسير) الذي لزامًا أن يُبنَى على مُدخلات متجانسة من الألفاظ والمعاني.

ولا يمكن المضي دون أن يلفت انتباهنا التزام الشاعر بديمومة تذكيرنا بثنائية البداية والنِّهاية من خلال كثافة التذكير بهما منذ البداية الرئيسة (الغلاف) الذي يتوسطه عنوان المجموعة الشِّعرية (طين الأزلية) حيث لا يغيب عن أيِّ قارئ أن بدء الخلق كان من (طين)، ولا مناص من أن يستدعي اللفظ (طين) مكان وجوده ومكونه (الأرض) كذلك الشأن مع لفظ (القبر) الذي هو علامة النهاية للكائن البشري ، وهو الآخر يستدعي مكان وجوده (الأرض)؛ فتندمج العلامتان في علامة واحدة هي (الأرض) التي هي رمز للوجود الإنساني، وهذا الكائن البشري هو المعني بالرسالة.

يستوقفنا فعل الشاعر المتمثل في أنَّه يخلق الشاعر من الطين لغة للنَّص يستثمرها لتأسيس رابط بيننا وبينه من خلال تنبيهنا للمادة المشتركة بين الشاعر (المُرسِل) والمتلقي (المُرسَل إليه) وهي الرسالة التي مادتها الخام (الطين) ــ وأيضًا ــ للمشترك التكويني بين الشاعر (الإنسان) والقارئ (الإنسان) في استخدام لما يمكن ــ إذا استجاب لنا التوفيق ــ أن نسميه استعارة معنوية عناصرها (الطين ــ الإنسان ــ الشاعر ــ المتلقي ــ اللغة ــ الأرض ــ الورقة).

إنَّنا ــ بالقراءة ما بعد الاستكشافية ــ نعي أنَّها متواترة متناثرة هي الألفاظ التي تتشكل منها البنية الدلالية لثنائية (الحياة / البداية ــ الموت / النهاية، ومن شواهدها (الموتى ــ قبري ــ صبحه ــ الليل ــ حبة ــ شاطئ ــ بعث ــ ميت ــ طيني ــ عجوز) ونستنتج صلة غير ظاهرة بين الزمان والمكان في كثير من هذه الألفاظ تجعل الزمان والمكان كأنهما عنصر واحد؛ فمثلا مفردة الموت بأي صيغة كانت تحمل صفة زمنية إذ هي لحظة النهاية لكائن كانت له لحظة بداية وكذلك يكون التأويل مع مفردة (القبر). والقياس نفسه يصح أن نطبقه على مفردة حبة التي وردت في النَّص الشِّعري في سطرين شعريين= لوحتين فنيتين: "حَبَّةَ شَعيرٍ / لِغرْبيلِ الزَّمنِ مَضيتُ... سِدرةً تُسبلُ سُهدَ حَريرهَا/ عَلى شُعاعِ سُنبُلةِ..." فالحبة (البذرة) = زمن البداية بينما السنبلة تعادل زمن النضج / الحصاد = النهاية.

وكلاهما له صلة بالمكان الأول (الأرض) وهذا يمنحنا الجرأة على طرح اصطلاح فني يتوافق مع الحالة: التعالق السياقي، أو تعانق السِّياق كون الفكرة صارت تجدد نفسها من سطرٍ شعري لآخر.

إنَّ التلازم بين الزمان والمكان يجعل المكان يولِّد شفرات تنبثق منه على أساس أنَّه دال على حالة نفسية ، يلتقطها المتلقي ليحل بها الغموض الذي يكتنف التراكيب اللغوية، والصور الشعرية في أكثر من مكان في النَّص، تلك التي " يستخدمها الشاعر عن وعي لتقوية الجانب الإيحائي في الصورة، وبخاصة إذا كانت الصورة توحي بتلك الأبعاد الخفية المستترة من تجربة الشاعر"[13] والشاعر في النص الذي بين أيدينا يمارس شيئًا من هذا ؛ كمثل قوله:

ضَمَّنِي اللَّيلُ مُنتَشرَا و مُوحَّدَا،
مُلتَمعَا و مُتسَاقطَا بِحضنِ الوَردةِ،
غِبتُ...
حَبَّةَ شَعيرٍ
لِغرْبيلِ الزَّمنِ مَضيتُ،
طَيرَا مِن عَلى الأَرضِ رُمقتُ سَماءَ فِتنةٍ...
كَما تُهددُ الشَّجرةُ ثِمارهَا...
غَمرنِي العُشبُ مُتثَائبَا،
ليَشرَبنِي شَاطئُ آيَةٍ...
ثُمالةٌ تَشهدُ بَعثَ زَمهَريرهَا

فالمعادل القيمي للصورة الشِّعريَّة "ضَمَّنِي اللَّيلُ ــ بِحضنِ الوَردةِ" التي تستدعي فعل المعانقة التي محلّها الصدر تتقاطع مع الصور الشعريَّة " طَيرَا مِن عَلى الأَرضِ رُمقتُ سَماءَ فِتنةٍ... تُهددُ الشَّجرةُ ثِمارهَا... غَمرنِي العُشبُ مُتثَائبَا ــ ليَشرَبنِي شَاطئُ آيَةٍ..." كثافة في الصور الشِّعريِّة النَّاجزة لدلائليات فوق الشعورية تسهم في تأصيل الوحدة الفنيَّة التي من أوفى خصائصها إماطة الذهول عن ذهن

المتلقي الذي سوف يجد نفسه توَّاقًا لاستكمال ومن ثم إعادة القراءةلتتجلى أمام وعيه الرؤيا الشعرية التي يتجه فيها النَّص الشِّعري والمرتبطة بالعنوان (ريلكه)[14] الذي اتخذه الشاعر جسرًا تعبر عليه أفكاره ورؤاه كونه اسمًا لشاعر نمساوي معروف بإطلالته على قرائه من خلال سخطه على الواقع الذي يصعب فيه خلق الصلات ومد أواصر التواصل بين المكونات البشرية لعلة شأن العزلة والضيق والقلق بسبب عامل الكفر والقسوة وضبابية التَّعامل الإنساني.

يُظهر الشَّاعر على النَّص سلطة الإبداع التي تخوله توجيه البنية إلى المستوى الذي يريد لها أن تنتج اللذة الشعرية التي تتصيدها الذائقة ، وتتماهي في الوقت نفسه مع النسيج العام للمضمون، حيث " يغترف الشاعر من خزان الخطاطات العقلية والخطاطات اللغوية التي تفرض وجودها عليه وتشكل مشروعه، وتنظم مصطلحات مألوفة أغراضًا تبدو على الأقل في حالتها النهائية كنتيجة التصاق. فعبر أثر التجاذب والتداعي والامتداد التدريجي يحتفظ كل حافز غرضي لنفسه بوسائله التعبيرية الخاصة"[15]، وبهذا نخلص من التحليل إلى أنَّ العشب دلائلية زمانية (المواسم)، ومكانية (الأرض) والشاطئ دلائلية مجالها زمن نهاية الرحلة، ومكان الوصول إلى حيث الأمان، ثم أنَّه معلم ذو علامة فارقة لأفق مجهول كما أنهما يحملان دلائليات معنوية تكمن في كون العشب مولود المطر/الحياة في مقابل عدم وجوده = الجدب/الموت. كذلك الشاطئ الذي وجوده يساوي الأمان/الحياة، وعدم وجوده يعني العكس.

ولا يجب أن نغفل حقيقة أنَّ الشاعر قد خط لنفسه منهجًا سار عليه وهو الحرص على ديمومة العلاقة بين العناوين الفرعية (عناوين القصائد) والعنوان الرئيس للمجموعة (طين الأبدية)، كما جعل عنوان النَّص يستنسخ نفسه داخل النَّص عبر مؤشرات لفظية ومعنوية تعيد القارئ إليه كل مرَّة.

الخاتمة

تعاطي الشعر وليد وعي بما يصنع الفارق بين الأشياء في وضعها الظاهر لمن يتعاملون معها أو بها، وبين ما تحمل تحت غلافها، ومهمة الشِّاعر أن يهدي القارئ إلى المكان الذي يستطيع منه أن ينزع عنها غلافها ليصل إلى لبِّها، ويتذوقها ليعلم القيمة التي كانت متوارية عنه؛ فجاد عليه الشَّاعر ببيانها أو بمساعدته على كشفها، وهو ما حرص شاعر طين الأبدية على فعله بطرحه لكثير من الموضوعات التي لها صلة مباشرة بالمتلقي.

لقد اتكأ الشاعر في طرحه على ما يوفره عنصرا الزمان والمكان من دلالات لا تنفصل عن بعضها، ولا يستطيع القارئ أن يمرَّ بها ولا تستوقفه، لكن مروره ــ أبدا ــ لن يكون اعتباطيًا بل لزامًا عليه أن يلمَّ بقدر وافٍ من المعرفة التي هي مفتاح الولوج إلى روح النَّص الشعري واستخلاص ما فيه من الدلائليات التي يفك بها الغموض الذي هو أحد سمات الشعر الحديث، والذي تتوارى خلفه القصديات الحاملة لجماليات المعنى المكثف في الزمان الذي تمثله علامات عدة منها الاسم والفعل والخرف والظرف والصوت والصمت، وكذلك في المكان وما تدل عليه المسميات والإشارات والمعاني. ولقد ركَّز شاعرنا على هذه الخواص التي استطعنا أن نقرأه من خلالها ونستشف كثيرًا من الدلالات التي تولدت عن فهمنا، ومن ثم تفسيرنا للمقروء على صعيد المفردة أو على صعيد الجملة، أو بتتبع السياق، وبالفعل فقد أفلح الشاعر في الطرح الأمر الذي شكَّل مرجعية لنا نعود إليها لنتزود منها في رحلة التحليل حتى أوصلتنا إلى نتائج أهمها:

ــ المعجم الشعري غزير بالمفردات مزدوجة الدلالات.

ــ ثقافة الشاعر انعكست على أشعاره؛ فكثير من التراكيب اللغوية مستقاة من حسن توظيف واختيار.

ــ تتجلى دلائليات الزمان والمكان على مستويات عدة : النحوي واللغوي والدلالي.

ــ يحسب للشاعر حسن ربطه بين دلالات كثير من الألفاظ.

ــ الشاعر لايحجر على فكر القارئ إذ يمنحه الفرصة لاستخلاص ما يتوافق مع تجربته بلا توجيه منه.

الهوامش

(1) د. أنس داود: الأسطورة في الشعر العربي الحديث، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، د.ط/ د.ت، ص 232 .

(2) أحمد محمد رمضان: المجموعةال الشعرية (طين الأبدية). الدار العربية للعلوم ــ بيروت ــ لبنان ، ط1/ 2015م، ص6

(3) محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي)، دار الكتاب الجديد المتحدة ــ بيروت ــ لبنان ، ط1 / 2003م . ص ، 202/201.

(4) د. محمد صابر عبيد : تأويل النص الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد ــ الأردن، ط1 / 2010م ، ص 16.

(5) د. نبيلة إبراهيم :أشكال التعبير في الأدب الشعبي ،مكتبة غريب ــ القاهرة ــ ط3/ د.ت ، ص18

(6) د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة ودار الثقافة– بيروت – ط2 / 1981 م ، ص203

(7) جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النص "دراسة لسانية نصية"، النادي الأدبي بالرياض/المركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء ــ المغرب، ط1/ 2009م ، ص 405.

(8) منيب محمد البوريمى: الفضاء الروائي فى الرواية المغربية الحديثة (الاطار – النسق – الدلالة) رسالة جامعية، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، د.ط، د.ت ، ص 48 .

(9) يورى لوتمان: مشكلة المكان الفني،– ترجمة وتقديم د. سيزا قاسم، مجلة الف: 89.

(10) غاستونباشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3 / 1407 هـ – 1987 م، ص 43 .

(11) نفسه ، ص36.

(12) طين الأبدية (مجموعة شعرية) ص 37.

(13) د. علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة الآداب ــ القاهرة ــ مصر ، ط5 / 2008م ، ص 82.

(14) رينيه كارل فيلهلم يوهان يوزيف ماريا رايلكه الشهير بـــ راينر ماريا رايلكه 4) ديسمبر1875 – 29 ديسمبر 1926) شاعر نمساوي – بوهيمي / رومانسي/ حداثي، ويعد واحدًا من أكثر شعراءالألمانية تميزًا. ركّز في شعره على صعوبة التواصل في عصر الكفر والعزلة والقلق العميق، وهي المواضيع التي وضعته كشخصية انتقالية بين الشعر التقليدي وشعر الحداثة.

(15) جمال الدين بن الشيخ: الشعرية العربية " تتقدمة مقالة حول خطاب نقدي" ترجمة: مبارك حنون ــ محمد الوالي ــ محمد أوراغ، دار توبقال للنشر ــ الدار البيضاء ــ المغرب، ط1 / 1996م، ص 123.

المصادر والمراجع

أحمد محمد رمضان: المجموعة الشعرية (طين الأبدية)، الدار العربية للعلوم ــ بيروت ــ لبنان ، ط1 / 2015م.

أنس داود: الأسطورة في الشعر العربي الحديث، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، د.ط/ د.ت.

جمال الدين بن الشيخ: الشعرية العربية " تتقدمة مقالة حول خطاب نقدي" ترجمة : مبارك حنون ــ محمد الوالي ــ محمد أوراغ، دار توبقال للنشر ــ الدار البيضاء ــ المغرب، ط1 / 1996م .

جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النص"دراسة لسانية نصية"، النادي الأدبي بالرياض/المركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء ــ المغرب، ط1/2009م.

عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ودار الثقافة – بيروت – ط2 / 1981 م.

علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الآداب ــ القاهرة ــ مصر، ط5 / 2008م.

غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3 / 1407 هـ.

محمد صابر عبيد: تأويل النص الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد ــ الأردن، ط1 / 2010م.

محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي) ، دار الكتاب الجديد المتحدة ـــ بيروت ـــ لبنان ، ط1 / 2003م .

منيب محمد البوريمى : الفضاء الروائى فى الرواية المغربية الحديثة (الاطار ــ النسق ــ الدلالة) رسالة جامعية، جامعة محمد الخامس ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، د.ط، د.ت ، ص 78.

نبيلة إبراهيم :أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب ــ القاهرة ــ ط3 1986م.

يورى لوتمان: مشكلة المكان الفني، ترجمة وتقديم د.سيزا قاسم، مجلة الف: 89

تباين التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة وأثـــــــر تدهوره على النظم الإيكولوجية

أ. فوزية حسن المبروك عبدالله
كلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية

المقدمة:

يضع علم الجغرافيا جل اهتمامه على كوكب الأرض وخاصة مظاهره الجيومورفولوجية والإلمام بالعناصر والمتغيرات المؤثرة في بيئته الطبيعية والبشرية، ويعد فرع الجغرافيا الحيوية أكثر فروع الجغرافيا الطبيعية اهتماماً بدراسة التنوع الحيوي وأبعاده الجغرافية وتوزيعاته المكانية والزمنية، والعوامل المؤثرة في تباين توزيعاته وعلاقتها بالإنسان والبيئة.

وتظهر بصمات الإنسان وأنشطته المختلفة على الغلاف الحيوي، حيث تبدو آثاره المدمرة واضحة جداً في النظم البيئية المائية والأرضية، إذ فقدت الأحياء الكثير من مناطقها وتقلصت مساحتها، كما تسبب في قتل الكثير منها، وقد برزت أيضاً مشكلة التلوث الذي كان له الدور الأكبر في تدهور الغلاف الأحيائي وخاصة الغطاء الغابي، وقد طال هذا التلوث التربة والبحار والمحيطات، ولاشك أن هذا التدهور المستمر للغلاف الحيوي يحمل في طياته الكثير من الأخطار البيئية، منها تدهور النظم البيئية والتصحر والتلوث والتغيرات المناخية، والكثير من المشكلات التي لها ارتباط مباشر بالغلاف الحيوي، وقد كان للنشاط البشري الإنتاجي أثر واضح في حدوث هذه المشكلات، وأكد القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾،(سورة الروم الآية "41").

وفي ظل تسارع تدهور التنوع الحيوي وانقراض الكثير من أنواعه يتزايد على النحو ذاته قلق المجتمعات البشرية حول تدهور النظم الإيكولوجية المرتبطة به، فقد ناشدت المنظمات العالمية حكومات الدول إلى اتخاذ سياسات عاجلة للحد من آثاره،

والأخذ بالنتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسات العلمية والمؤتمرات الدولية في هذا المجال، ومن ناحية أخرى تحتاج دراسة التنوع الحيوي إلى تضامن جميع الخبرات المنبثقة عن ميادين العلوم الأخرى التي تعمل بدورها على تعزيز ورفع الوعي البيئي، وتوزيعه الجغرافي، وكيفية تطوير واستخدام الموارد البيئية الحيوية وتنميتها دون إحداث خلل في النظم البيئية، والتأكيد على أهمية المواد الحيوية ودورها في التوازن والاستقرار الكربوني، وإيجاد توازن بين قدرة الإنسان التنموية وحجم السكان ونموهم، والاهتمام بالقيمة الاقتصادية للتنوع الحيوي، ودراسة الخواص الحيوية والفيزيائية للبيئة، ومن ثم العمل على تطوير أساليب للتنبؤ باختلال توازن النظم البيئية.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة حالة التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة، وتفحُّص العوامل المؤثرة عليه، وتأثيرات هذه العوامل على النظم الإيكولوجية المدارية من خلال التعرف على خصائص هذه الغابات وطبيعة الحياة فيها، وما تمارسه من تأثير في بقية الأنواع النباتية والحيوانية، ومحاولة التوصل إلى استراتيجيات تخفف من حالة التدهور التي تتعرض لها، وتنمية عوامل إحلال حالة التوازن في النظم البيئية الغابية المدارية.

تلعب الغابات المدارية المطيرة دوراً كبيراً في الحفاظ على الموارد الطبيعية، وعند تحليل النظام البيئي لها كوحدة متكاملة يتم الترابط بينها بواسطة علاقات مختلفة لتبرز مشكلة البحث التي تتمثل في التساؤلات الآتية:

ما مدى تباين التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة، وما هي العوامل المؤثرة عليه؟ .

ما هي تأثيرات تدهور التنوع الحيوي على النظم الإيكولوجية في مناطق الغابات المدارية المطيرة المتضررة؟.

هل يؤثر تدهور الغابات المدارية المطيرة على مناخ الأرض ؟.

لكي ندرك حقيقة هذه التساؤلات صيغت فرضيات تمثل أجوبة مبدئية لها يجب فحصها، وهي على النحو الآتي:

يتباين التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة تبعاً لتباين العوامل الجغرافية.

تتفاوت تأثيرات تدهور التنوع الحيوي على النظم الإيكولوجية بالغابات المدارية المطيرة حسب أقاليمها الجغرافية وعوامل تدهورها.

يتأثر مناخ الأرض بحالة تدهور الغابات المدارية المطيرة.

التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة :-

يعرف التنوع الحيوي بأنه تباين الأنواع والأفراد في منطقة ما تتأثر بعوامل بيئية مختلفة، ويعد تباين الأنواع والأفراد أحد مقومات المجتمع الحي، لكي يحافظ على توازنه واستقراره، وخاصة على مستوى الأنواع، فكلما كان تباين الأنواع أكبر من عدد الأفراد كان النظام البيئي أكثر توازناً، ويشمل ثلاثة مستويات التنوع الجيني، تباين الأنواع الحية، وتنوع النظم البيئية.

وقد تعرّف العلماء على الكثير من أصناف الكائنات الحية التي تعيش على سطح الأرض، ولا يوجد حتى الآن إجماع على التقديرات الخاصة بأعدادها، إلاَ أن العدد الأكثر قبولاً بين العلماء هو 13-15 مليون نوع، في حين تقدر الأعداد التي تم التعرف عليها وتسجيلها ووصفها تقدر بحوالي 1.750 مليون نوع من أصل 13.620 مليون،[1] ولا زالت اكتشافات العلماء مستمرة في هذا المجال، وتعيش أكثر من حوالي 50% من هذه الأنواع في الغابات المدارية المطيرة، مما يجعلها تلعب الدور الأكبر في توازن النظم البيئية، وفيما يأتي دراسة لهذا التنوع، وقد تجسدت في العناصر الآتية:

أولاً: التوزيع الجغرافي للتنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة (الاستوائية):

تعد الغابات الاستوائية أهم المناطق الحيوية الأرضية، وتغطي المناطق التي تزيد فيها كمية الأمطار عن 2000 ملم في السنة، كما ترتفع درجة الحرارة فيها

طول العام، ويكون المدى الحراري قليل جداً، إلى جانب المعدلات العالية للتبخر والنتح.

يبين الشكل (1) توزيع الغابات المدارية المطيرة والتي تمثل مناطق حيوية فريدة من نوعها، وهي تغطي مساحات شاسعة في أفريقيا، حيث تتوزع في شمال حوض الكونغو وساحل غانا وفي مناطق شرق القارة في كينيا وشرق جزيرة مدغشقر وأراضي المستنقعات بأوغندة، كما تمتد في أمريكا الجنوبية، حيث تغطي معظم حوض الأمازون البالغة مساحته 7 مليون كم2، وتشترك في منطقة الحوض 9 دول منها البرازيل التي تمتد معظم مساحة غابة الأمازون بداخلها، وتليها البيرو، ومساحات قليلة في كل من كولومبيا، فنزويلا، بوليفيا،الأكوادور، سورينام، كويانا، وكويانا الفرنسية.

أما في قارة آسيا فتتوزع في جنوب شرق آسيا في كل من أندونيسيا والملايو وسومطرة وفيتنام وسيرلانكا، وسواحل تايلاند (غابات المانجروف)، كما تغطي بعض مناطق شمال أستراليا.

تتباين الغابات المدارية المطيرة في محتواها الحيوي وتنوع وتوزيع أنواعه، وكثافتها تغطي أكبر غابة مدارية مطيرة في العالم تتمثل في غابة الأمازون التي هي أضخم وأكثر كثافة من غابات حوض الكونغو، وذلك بسبب انتظام هبوب الرياح التجارية الجنوبية الشرقية والتي تتسبب في سقوط كميات كبيرة من الأمطار، في حين أن حوض الكونغو غير مفتوح أمام هذا النوع من الرياح، مما يجعل كمية أمطارها أقل من تلك التي تسقط على حوض الأمازون، وقد انعكس ذلك على صورة التنوع الحيوي وتوزيعه الجغرافي.

ثانياً: التنوع الحيوي:

تعيش في الغابات المدارية المطيرة أنواع نباتية وحيوانية تفوق الأنواع التي تعيش في باقي المنظومات البيئية الحيوية الغابية، حيث تهيئ الرطوبة العالية

ودرجات الحرارة والتربة الخصبة ظروفاً مناسبة لتطور أعداد كبيرة مـــن أنـــواع النباتات والحيوانات، مما يجعلها موطناً لعدد كبير من الكائنات الحية.

شكل (1) الغابات المدارية المطيرة

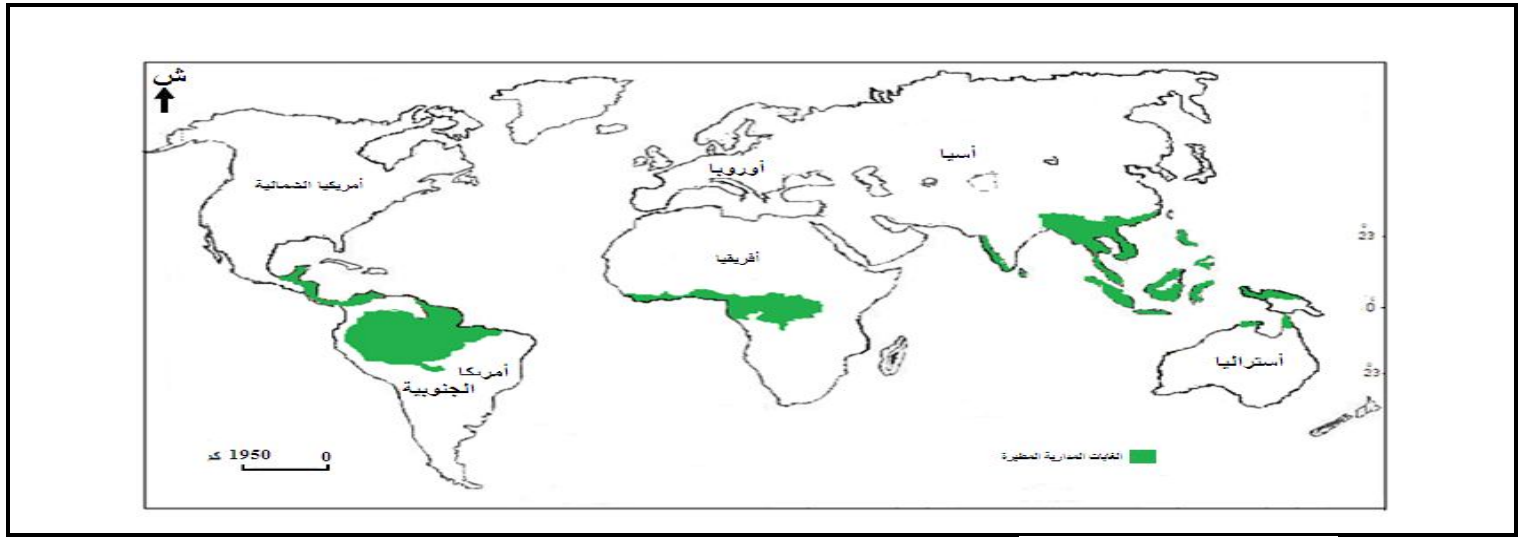

المصدر: إعداد الباحثة استناداً إلى: حسن أبو سمور، الجغرافية الحيوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص 142.

تتميز هذه الغابات بغناها النباتي والحيواني، فغابات الأمازون وحدها تشكل موطناً لحولي 25% من الثدييات في العالم، وخمس أنواع الطيور[2]، كما تم تسجيل 2500 نوع نباتي، وفي جزيرة جاوا أكثر من 3000 نوع من الأشجار، وفي جزر ماليزيا يصل العدد 20000 نوع ، ومن هذه الأشجار النخيل يقدر بحوالي 1500 نوع، والمطاط حوالي 4500 نوع، والقهوة حوالي 20 نوعاً غرب أفريقيا من أصل 35 نوعاً في العالم،[3] كما تنمو أشجار الكاكاو والموز والماهوجني وجوز الهند والكافور، كما تنمو نباتات المستنقعات وأشجار المانجروف الساحلية.

كما تعيش أنواع عديدة من الحيوانات، منها المتسلقة مثل القردة إلى جانب النمور والقطط المتوحشة والأفاعي والسناجب، كما تعيش الطيور مثل الببغاء والحشرات كالفراشات والذباب والبعوض، كما تعيش الزواحف والتماسيح.

تغطي الغابات حوالي ثلث مساحة يابس الكرة الأرضية، وتشكل الغابات الاستوائية المطيرة وحدها 6% من سطح الأرض، وهي موطن لحوالي 50% من الأنواع المعروفة، بل تذهب بعض الدراسات إلى أنها تحتوي على 80% من التنوع الحيوي المعروف في العالم،[4] وهي تتميز بغناها بالأشجار الشاهقة الارتفاع التي تصل إلى 60 متراً.

وتذكر الأكاديمية العلمية في الولايات المتحدة أن 10 كلم2 من الغابات الاستوائية يتواجد فيها حوالي 1500 نوعاً من النباتات المزهرة و 750 نوعاً من الأشجار، و400 نوعاً من الطيور، و150 نوعاً من الفراشات، و100 نوع من الزواحف، و60 نوعاً من البرمائيات[5].

وإذا تتبعنا تصنيف مناطق العالم الجغرافية بحسب التنوع البيولوجي نجد أن الدول الأكثر غنى في أمريكا هي المكسيك وفنزويلا وكولومبيا، والاكوادور، والبيرو والبرازيل، وفي قارة أفريقيا فإن الدول الأكثر غنى هي الكاميرون وزائير وأثيوبيا ومدغشقر وجنوب أفريقيا والكونغو، وفي آسيا الصين والهند وبورما

وماليزيا واندونيسيا والفلبين، كما أن قارة أستراليا هي أيضاً غنية بالتنوع الحيوي، وتشترك هذه الدول في أنها تقع جميعاً في منطقة المناخ الاستوائي، ويوضح الجدول (1) هذا التباين في التنوع الحيوي بين البلدان الاستوائية والبلدان الأخرى.

ثالثاً: تدهور التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة وتأثيراته :

لقد ظهر الإنسان في أغنى زمن للتنوع الحيوي من تاريخ الأرض، وهو أهم ثروات هذا الكوكب الذي ظهر عليه، وقد تحول نتيجة للتفوق العلمي والتقني إلى عامل مخرب ومدمر للغلاف الحيوي، ممَّا أدى إلى اختلال توازن النظم الإيكولوجية، وقد ارتفعت صيحات الحذر بخطورة القدرة البشرية التدميرية للغلاف الحيوي.

أدرك العالم مؤخراً أن الكائنات الحية النباتية والحيوانية أخذت تتناقص بصورة مخيفة للغاية، وهي تمر حالياً بوضع أشبه للكارثة التي تظهر بجلاء في انكماش رقعة الغابات وتلوث المياه، وتتالي موجات الجفاف والتصحر وخسارة الموائل الحيوية،• كل هذا وذاك سيقود إلى المزيد من المخاوف التي تهيئ ظروفاً مفرطة القسوة تزيد من تأزم مشكلات العالم في مجال التغذية والصحة، كما تزيد من عدم تمكن العلماء من معرفة ما ستكون عليه التأثيرات بعيدة المدى ومعرفة ما يبررها.

جدول (1) تباين التنوع الحيوي في بعض البلدان الاستوائية والبلدان الأخرى وفقاً للتقديرات المسجلة خلال الفترة من 2006- 2013.

الدولة	المساحة (كم2)	عدد الأنواع الثديية	عدد أنواع الطيور	عدد الأنواع النباتية
الكونغو	342.000	2000*	1185	6000*
الأردن	89.213	78	420	2500
فنلندا	337.030	223	248	1826
أيسلندا*	102.820	11	88	377
أندونيسيا	1.919.440	667	1604	30.000

• الموئل الحيوي: هو مساحة جغرافية تتميز بظروف بيئية معينة، وتوفر موطناً لمجموعات حيوية من النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة.

حوض الأمازون	7.000.000	427	1500	40000

المصدر: إعداد الباحثة استناداً إلى: محمود الأشرم، التنوع الحيوي والتنمية المستدامة والغذاء(عالمياً وعربياً)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص105 . * (بيانات حسب تقديرات عام 2000).

www.mareta.org.13/10/2016.

http://ar.ammannet.net.12/11/2016.

https://ar.wikipedia.org.5/9/2016.

رابعاً: عوامل تدهور التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة:

هناك ثمة عوامل عدة تؤدي إلى فقدان التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة، وفي ما يأتي أبرزها:

تدهور الغابات المدارية المطيرة وتراجع مساحتها:

تتعرض الغابات المدارية المطيرة للإزالة العشوائية عن طريق قطع الأشجار أو حرقها أو إزالتها لغرض تحويلها إلى أراض زراعية، ويعد الاحتطاب من الأسباب الرئيسية لتدمير هذه الغابات، لإمداد المصانع بالمواد الخام أو توفير مناطق للتمدن، فالعديد من المواد الخام المستخدمة في صناعة الأثاث والأرضيات مصدرها الغابات المدارية المطيرة، حيث يعتمد سكانها على إنتاج الأخشاب واستخدامها كحطب ومواد للبناء.

يتم كل عام قطع حوالي 16 مليون هكتار من الغابات، 15 مليون هكتار منها تقطع من المناطق الاستوائية،[6] وقد فقدت الغابات المدارية نصف مساحتها الأصلية، حيث تسارعت معدلات قطع الأشجار إلى أن وصلت إلى أرقام عالية تزامناً مع التضخم السكاني الذي يشهده العالم، ووفقاً للتقديرات العلمية أن الأشجار تقطع بمعدل هكتار كل ثانية، وقد تسبب القطع في خسارة الكثير من مساحتها،

فالغابات المدارية المطيرة الموجودة في دول ساحل العاج والأكوادور والسلفادور وغانا وأندونيسيا تشهد خطر الانقراض الغابي.

وقبل حلول منتصف القرن العشرين، كانت الغابات المدارية المطيرة تغطي حوالي 14% من مساحة أراضي العالم، وبحلول العام 1990 انخفضت إلى 6%، وإذا استمر المعدل بالانخفاض ستفقد هذه الغابات معظم مساحتها، وهو ما تشهده غابات الأمازون التي فقدت أكثر من 750 ألف كم2 من مساحتها.

كما أدى قطع الأشجار من الغابات وإزالتها لتحويلها إلى أراضي زراعية إلى تدهور ثلثي الغابات الاستوائية الواقعة جنوب شرق أسيا، وهلاك حيواناتها نتيجة الصيد الجائر والاتجار بلحومها، وقد كانت جزيرة سومطرة بأندونيسيا تُصنّف ضمن أغنى مناطق العالم بالغابات المدارية المطيرة فقدت حالياً ما بين 60% – 80% منها، ولا يزال هذا الانخفاض مستمراً.

وقد تسبب التدمير الهائل الذي تتعرض له الغابات المطيرة في فقدان الكثير من الموائل الطبيعية للكائنات الحية، وفقدت أجزاء أخرى قدرتها على احتواء الكائنات التي تقطنها، ويمثل ذلك أهم التهديدات التي تواجه التنوع الحيوي، حيث يعتقد أنه السبب الرئيس وراء انقراض ما يقدر بأكثر من 500 نوع من الكائنات الحية كل يوم.

الصيد الجائر:

يمثل الصيد الجائر إحدى الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى الإخلال بالتنوع الحيوي في الغابات المطيرة، فقد تُصاد الحيوانات بنسبة تفوق تكاثرها الطبيعي، وقد يكون وراء ذلك تحقيق مكاسب مادية مثل استخدام جلودها في الصناعة الجلدية كالحقائب وأنياب الفيلة العاجية، وتجدر الإشارة إلى أن الأنواع المهددة بالانقراض تكون المواد المستخدمة منها أكثر قيمة وأعلى كلفة من المواد المستخدمة من الأنواع الوفيرة.

إذاً فالنشاط البشري الإنتاجي من أكبر مسببات خسارة الموائل وانقراض الأحياء على الأرض، فأعداد الحيوانات والنباتات طبيعياً متوازنة، ولكن السكان يزدادون بشكل مطرد، وتلبية احتياجاتهم هي السبب الرئيس وراء تدمير موائلها، ويشكل تدهور الغابات والصيد الجائر عاملين رئيسين لتدهور التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة.

أكدت المسوح العلمية للمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي في نيويورك أن التنوع الحيوي يواجه أكبر انقراض في الوقت الحالي منذ انقراض الديناصورات في العصر الطباشيري، حيث شهدت الأرض انقراض أكثر من نصف أشكال الحياة عليها، وتواجه الكثير من الكائنات الحية في الغابات المدارية المطيرة خطر الانقراض، وهي أقصى درجة تهديد على القائمة مباشرة قبل درجة الانقراض في البرية، ومن هذه الأحياء: دب الشمس وهو من الدببة التي تشهد انخفاضاً مطرداً في أعدادها نتيجة للصيد الجائر الذي تتعرض له هذا النوع من الدببة.

ويعد حيوان الغوريلا أيضاً من أشهر الحيوانات في غابات أفريقيا الاستوائية، ويتعرض هذا النوع من القردة لخطر الانقراض، وذلك نتيجة ملاحقتها وذبحها والاتجار في لحومها، الأمر الذي تجاوز حد الاستخدام المحلي إلى درجة دفعت بالمنظمات الدولية لحمايتها من الانقراض، حيث يشكل انقراضه تهديداً لنظم البيئة الطبيعية، فهي تقلّم الأشجار وتأكل الثمار وتنشر البذور إلى درجة دفعت البعض إلى تسميته "بستاني الغابة"، إلى جانب أنها تشترك مع الإنسان في ما نسبته 95% من المادة الوراثية، فهي أقرب القردة للإنسان، ويواجه هذا النوع من القردة فيروس إيبولا، ويرجح العلماء أن انتشار هذا الفيروس بين البشر في أفريقيا يرجع إلى انتشار ذبح القردة وأكل لحومها، مما يترتب عنه انتقال العدوى، ويعد كل صنف من الكائنات الحية نباتاً أو حيواناً جزءًا من الذخيرة الوراثية، ومن ثم فإن نقص أو انقراض أي نوع حيوي يعد نقصاً في الذخيرة الوراثية.

كما تعد الغابات الاستوائية في أثيوبيا موطناً لنبات القهوة البرية التي تشتهر باسم قهوة أرابكا، ويتعرض هذا النوع من النبات للقطع العشوائي الأمر الذي يهدد تنوعها الجيني، ويدفع ذلك إلى إنشاء مراكز دولية لحفظ شتلاتها، حتى يتم حماية أصنافها من الانقراض والمحافظة على التنوع الحيوي بالغابات الاستوائية بأثيوبيا.

خامساً: أثر التدهور الحيوي على النظم الإيكولوجية في الغابات المدارية المطيرة:

تمثل الغابات الاستوائية المطيرة النظام البيئي الأكثر تنوعاً على الأرض، وهي ليس مجرد مساحات لنمو الأشجار فحسب بل هي نظم بيئية تحوي مجموعة من الوحدات الإحيائية التي تتعايش وتتبادل العلاقة الإحيائية مع بعضها، وتعمل كوحدة متكاملة مرتبطة بعلاقات مختلفة منها التنافس والمشاركة والغذاء، ولكي ندرك أثر تدهورها على النظم الإيكولوجية لا بد من التعرف على أهمية التنوع الحيوي في هذه الرقعة الجغرافية وخصائصها والدور التي تلعبه النظم البيئية فيها.

وتتميز بيئة الغابات المدارية المطيرة بخصائص جغرافية فريدة، حيث يسودها طقس دافئ وتسقط عليها الأمطار بغزارة مما أعطاها معالمها الحيوية الخاصة، فعندما تسقط أشعة الشمس تستقبلها أوراق الأشجار والشجيرات والأخشاب التي تنمو في الغابة، حيث تتميز بأشجارها العملاقة ذات الأغصان الكبيرة والكثيفة الأوراق، ونتيجة لخصائص الغابة الفريدة فإن الضوء والحرارة الواصلة إلى أرض الغابة قليلة جداً، مما يجعلها تكاد تكون مظلمة طيلة الوقت إلى جانب ارتفاع الرطوبة النسبية، وهذه العوامل مجتمعة تخلق بيئة ملائمة لتفسخ وتحلل البقايا والمخلفات بواسطة الفطريات والكائنات الحية التي تنمو على أرض الغابة مما يسمح بإعادة تدوير المخلفات النباتية والحيوانية والتي توفر بدورها غذاءً لكائنات أخرى، وتشير الدراسات إلى أن بعض الكائنات الحية الدقيقة على أرض الغابة تستطيع أن تحلل خلال اليوم الواحد إلى ما يعادل ضعف كتلتها البيولوجية بحوالي

100 مرة، ويصل بعضها إلى حوالي 1000 مرة، وتشكل أرضية الغابة قاعدة الهرم الغابي الحيوي المداري.

وبتتبع هرم الغابات المدارية المطيرة من أرض الغابة ننتقل إلى الغطاء التاجي وهو يمثل المنطقة الوسطى الواقعة بين سماء الغابة المطيرة وأرضها، حيث تشكل الأشجار الضخمة طبقة كاملة نتيجة تقارب الأشجار وكثافتها وتشابك أغصانها، وهي تستقبل أشعة الشمس ومع وجود ثاني أكسيد الكربون تقوم النباتات بعملية التمثيل الضوئي وإنتاج اليخضور لتكوين الأوراق، تشكل هذه المادة الحيوية العواشب وهي المستهلك الأول الذي يتبادل العلاقات الغذائية مع الكائنات الأخرى، والتي تشكل بدورها غذاء لآكلات اللحوم.

ويشكل الغطاء التاجي جزءاً فريداً في الغابة يتميز بالدفء والجفاف، ويمثل وسطاً بيئياً مناسباً لحياة الكائنات الحية التي تعيش هناك، حيث يذكر أن أكثر من 70% من حيوانات الغابة المدارية المطيرة تعيش هناك، وهي إما طائرة أو متسلقة.

وبشكل عام توصف الأنظمة البيئة في الغابات المدارية المطيرة بأنها معقدة وتتضرر بسرعة، وفي الوقت نفسه تتكيف بسرعة، فالأجزاء المقطوعة من الغابة تنمو فروع الأشجار المقطوعة تدريجياً، وتعمل على ترميم نفسها بنفسها، إلاَّ أن القطع الجائر لأشجار الغابات الاستوائية وحرقها وإزالتها فاق بكثير قدرتها الطبيعية على التجدد.

تلعب الحيوانات الكبيرة في الغابات الاستوائية مثل الثدييات كالقرود والغزلان والخنازير دوراً كبيراً في ترميم أجزاء الغابة المتدهورة التي تتعرض للاستخدام الجائر والعشوائي، وخير دليل على ذلك غابة هارابان المطيرة في جزيرة سومطرة، وهي من الغابات التي تعرضت سابقاً إلى تكثيف عمليات قطع الأشجار وحرقها لغرض تحويلها إلى أراضي زراعية، وقد بدأت تستعيد نظامها البيئي نظراً للدور الذي تقوم به الثدييات البرية الموزعة للبذور، حيث تعمل على تفريق بذور

أشجارها ونقلها بدلاً من مضغها إلى مناطق الغابة المتضررة، ومن ثم العمل على تجددها الطبيعي، وبالتالي كان لها نشاط كبير في ترميم الغابة والمحافظة على تنوعها الحيوي.

كما تؤثر الغابات المدارية المطيرة في الدورة الهيدرولوجية للمياه، حيث يعمل الغطاء التاجي بأوراقه الكثيفة وأغصانه المتشابكة على اعتراض بعض مياه الأمطار التي تتبخر وتعود إلى الغلاف الجوي، كما تعمل الجذوع والأغصان على إبطاء سرعة الجريان السطحي وبذلك الحفاظ على التربة من الانجراف، كما تعمل الجذور على وجود فجوات تسرع عمليات تسرب المياه.

وفضلاً عن ذلك فإن الغابات المدارية المطيرة تمثل مصفاة طبيعية لملوثات الهواء، إلى جانب ذلك تعمل الغابات كمصنعاً للأوكسجين، حيث تدل الدراسات العلمية أن الهكتار الواحد مـــن منطقـــــة غابية ينتج ما يعادل 8 أطنان من الأكسجين سنوياً، وهكتار الحشائش ينتج حوالي 4 طن أكسجين سنوياً،[7] كما أن 30% من الإشعاع الشمسي القادم من الشمس يستعمل في عملية التركيب الضوئي وإنتاج الأنسجة النباتية[8].

كما تعد الغابات المدارية المطيرة ذات أهمية اقتصادية وسياسية كبيرة كونها مصدراً مهماً لصناعة الأخشاب وتجارتها الدولية، إلى جانب أهميتها في مجال تصنيع الأدوية، حيث تصدر حوالي 25% من مكونات الأدوية الحديثة، كما يستخلص من النباتات الاستوائية عقار الكينين المضاد للملاريا، وكذلك ونكة مدغشقر المضادة لابيضاض الدم الليمفاوي، ويقدر وجود حوالي 1400 نبتة استوائية معالجة للسرطان.

ومن خلال التعرف على التنوع الحيوي في الغابات المطيرة وأهميته يتضح أثر تدهور الغابات على نظمها الإيكولوجية.

ويقتضي القول إن سلامة كل مكون بيئي تعتمد على سلامة المكونات البيئية الأخرى، وتشكل هذه النقطة الركيزة الأساسية للمحافظة على التنوع الحيوي

والنظم البيئية بمجملها، ومن غير المسلم أن التنوع الحيوي والبيئة تناقض إحداهما الأخرى، فاستغلال الغابات الجائر يعرض الكائنات الحية إلى الهلاك، وبهلاكها تفقد الأدوار التي تؤديها مما يسبب خللاً في النظم الإيكولوجية التي تعمل معاً.

إذاً فإن تصاعد تدهور وتراجع مساحات الغابات المطيرة يؤثر على نظمها البيئية، ويضعف سلسلة الخدمات المترابطة التي تقدمها النظم الإيكولوجية، والتي من بينها ضعف إعادة تدوير المواد العضوية وتوفير الغذاء للكائنات الحية والإخلال بالسلسة الغذائية، وفقدان موائل الأحياء، وضعف إنتاج الأكسجين، وقلة امتصاص الكربون من الجو.

وتتأثر الدورة الهيدرولوجية بإزالة الغابات المدارية المطيرة، ففي المناطق التي تتعرض إلى إزالة غاباتها يكون مناخها أكثر جفافاً، وتربتها أقل تماسكاً، حيث أن تدهور الغطاء التاجي للغابة يقلل من قدرتها على اعتراض المياه والاحتفاظ بها، مما يجعلها تتحرك على سطح الغابة بشكل أسرع من التدفقات تحت السطحية، وقد يتحول هذا الجريان إلى فيضانات وسيول وانهيارات أرضية، وهذا دليل على أن الغابات المدارية المطيرة المتضررة من سوء استخدامها تسبب في اختلال التوازن الطبيعي للدورة الهيدرولوجية بها.

ويشكل إزالة الغابات أيضاً تهديداً لمناخ الأرض، فقطع الأشجار العشوائي يخل بدورة الكربون في الطبيعة، وسيتضح ذلك لاحقاً في موضوع أثر تدهور الغابات المدارية المطيرة على مناخ الأرض.

سادساً: الانقراض البيئي يهدد الغابات المدارية المطيرة:-

يعتقد البعض أن خطر تدهور الغابات وإزالتها يقتصر على الانقراض الذي يهدد الكائنات الحية فقط، ولكن في الواقع إن الانقراض لا يهدد الأحياء فقط بل يهدد البيئات الحيوية ذاتها، بل إن الانقراض البيئي أشد خطراً من انقراض الأنواع الحية.

لاشك إن التدهور المستمر الذي تشهده الغابات المدارية المطيرة وتراجع مساحتها بالمعدلات العالية يهددها بالانقراض، فالغابات الاستوائية الممتدة في جنوب شرقي آسيا ونتيجة الكثافة السكانية العالية في الدول التي تمتد فيها هذه الغابات كالهند مثلاً تم تحويل مساحات شاسعة منها إلى أراض زراعية تنتج محاصيل معينة مثل زراعة المطاط حيث تساهم بنسبة 80% من الإنتاج العالمي[9] وزراعة الأرز الذي يعد المحصول الأساسي لغذاء سكان المنطقة.

وتعاني غابات الأمازون بأمريكا الجنوبية التي تغطي معظم حوض الأمازون البالغـــــة مساحته 7 مليون كم2 المشكلة ذاتها، إذ فقدت أكثر من 750 ألف كم2 من مساحتها، وغابات جزيرة سومطرة بأندونيسيا فقدت أكثر من 60% من مساحتها.

فضلاً عن ذلك فإن قطع أشجار الغابات وصناعة الأخشاب كفيلة بالقضاء عليها ما لم يتم استخدامها استخداماً مستداماً، وخاصة أن الأثاث الذي يصنع من أخشابها رائجة وجميلة، حيث تشق الجرافات قلب الغابة وتقطع كل شجرة ذات قيمة اقتصادية، فضلاً عن دخول الصيادين بأدواتهم للغابة بحثاً عن الحيوانات الثمينة والطيور الحية للاتجار بها، وتستمر هذه العملية حتى تترك الغابة بدون حياة حيث تنتهي بالكامل، وهذه المرحلة تشكل انتقالاً خطيراً من انقراض الأحياء إلى خطر الانقراض البيئي.

سابعاً: أثر تدهور الغابات المدارية المطيرة على مناخ الأرض.

تلعب الغابات دوراً مهماً في الحفاظ على استقرار المناخ، وتعمل على تنقية هواء المدن من الغبار والغازات السامة والأدخنة، وهي مصنع طبيعي للأكسجين، وتعد الغابات الاستوائية أكثر النظم البيئية احتواءً واستهلاكاً للكربون الموجود في الجو.

ويشكل إزالة الغابات تهديداً لمناخ الأرض، فقطع الأشجار العشوائي يخل بدورة الكربون في الطبيعة فهي تختزن نسباً لا بأس بها من عنصر الكربون الموجود في

الجو، وتستخدمه الأحياء الدقيقة في عملية التمثيل الضوئي، وعندما تزال هذه الغابات أو تحرق تتحرر كميات الكربون وتطلقها إلى الجو على شكل غاز، مما يطلق ملايين الأطنان من الكربون، وهو ما يزيد من تأزم ظاهرة الاحترار العالمي التي تشهدها الأرض، والتي تعرّف بأنها ازدياد درجة حرارة سطح الأرض مع زيادة كمية ثاني أكسيد الكربون والميثان وأكسيد النيتروجين والفلوروكربون وغيرها من الغازات الأخرى، وهو ما يعرف بالغازات الدفيئة، وتتركز تلك الغازات في طبقة البيوسفير، وهي المنطقة السفلى من طبقة التروبروسفير.

ويشير العلماء إلى أن الغلاف الجوي يحتوي الآن على 380 جزءاً في المليون من الغازات الدفيئة مثل الكربون والميثان، بينما تراوحت على مدى الخمسمائة ألف سنة الماضية تقريباً بين 180 و 280 جزءاً في المليون، ويتوقع أن تصل إلى 550 جزءاً في المليون تقريباً بحلول 2050،[10] ولا تزال انبعاثات الكربون تتصاعد بوتيرة سريعة، ولم تظهر مؤشرات تشير إلى انخفاضها، مما يزيد من رفع درجة حرارة الأرض، وربما يحول ذلك إلى نقطة الانقلاب التي يتحول عندها المناخ ضد الوجود البشري مثل تكرار الفيضانات المدمرة وموجات الصقيع.

وتعطي هذه الزيادة في نسب الغازات الدفيئة في الجو دلالات واضحة على تأثير تدهور الغابات على مناخ الأرض، وتشير الدراسات إن استخدام الطاقة مسئول عن 55% من الانبعاثات التي تتسبب في ظاهرة الاحتباس الحراري،[11] في حين يشكل إزالة الغابات وحرقها حوالي 20 % من انبعاثات الغازات المسببة لهذه الظاهرة، وقد كانت أهداف المنظمات الدولية لحماية أمن المناخ تركز على تخفيض انبعاثات الكربون من مصادر الطاقة المتمثلة في الفحم الأحفوري والنفط، وإحلال مصادر جديدة للطاقة مثل القدرة الشمسية والأبراج الهوائية لتوليد الطاقة من الرياح، غير أنه في الوقت الحاضر أصبح تدهور الغابات في البلدان النامية وخاصة الغابات الاستوائية باعتبارها أكثر الغابات التي تعاني من تكثيف الاستخدام تشكل مصدر قلق لعلماء البيئة، وبذلك ظهرت مسببات جديدة لظاهرة الاحترار

العالمي، وأفرزت دوافع إضافية لاستكمال السياسات المناخية، وبروتوكول كيوتو أصبح أشهر الاتفاقيات للمنظمات المهتمة بمكافحة إزالة الغابات، والتي تبحث عن آليات جديدة لخفض الانبعاثات الدفيئة الناتجة عن إزالة الغابات وتدهورها.

وتحوي غابات الأمازون الضخمة ما يتراوح من 90 إلى 140 مليار طن من الكربون، وتمتص حوالي ملياري طن في العام، وهي اليوم تواجه خطر الإزالة والقطع العشوائي لأشجارها غير المستدام، مما سيؤثر على هذا المخزون الضخم من الكربون الذي يتحرر من الغابة شيئا فشيئاً مما سيؤثر على المناخ.

تشير الدراسات العلمية إلى أن قدرة غابات الأمازون على امتصاص الغازات الدفيئة قد تراجعت بحدة خلال القرن الحالي من ملياري طن في تسعينات القرن الماضي إلى 1.4 مليار طن حالياً، وترجّح الدراسات ذلك إلى موجات الجفاف والتغير المناخي الذي تشهده والذي يؤدي بدوره إلى هلاك الأشجار[12].

يتبادل تدهور الغابات وعدم استقرار أمن المناخ الأثر السلبي لكل منهما على الآخر، فإلى جانب أن تدهور الغابات المدارية المطيرة يزيد من نسب الغازات الدفيئة في الجو، ويرفع من درجة حرارة الأرض، فإن ظاهرة الاحتباس الحراري على الطرف المقابل يضيف تهديداً لهذه الغابات فإذا زاد ارتفاع حرارة الأرض بضع درجات فإن معظم الغابات الاستوائية ستختفي، وبذلك خسران الموائل الحيوية وأنظمتها البيئية.

ثامناً: سياسات وإستراتيجيات المحافظة على التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة:

يرتبط مفهوم حماية التنوع الحيوي بمفهوم التنمية المستدامة الذي يعني في مضمونه عدم انخفاض أو تدهور الأصول البيئية، وهو الذي سَيُحدد موقفنا تجاه البيئة مستقبلاً بسبب فقدان التنوع الحيوي المترتب عن تدمير البيئة الحيوية للغابات المدارية المطيرة، مما يتطلب القيام بعمل عاجل وحاسم لمواجهة التحديات قبل أن

تأخذ أشكالها المدمرة، والخروج من هذه المشكلة، ويجب تركيز الاهتمام المحلي والدولي والإقليمي نحو مكافحة مسببات المشكلة، واتخاذ جملة من التدابير أهمها:

إن حماية الكائنات المهددة بالانقراض في الغابات المدارية المطيرة تكمن في حماية بيئتها الطبيعية أو إعادة تكوينها أي حماية الغابات ذاتها، وما تشتمل عليه بيئتها الحيوية، حتى يتم حفظ المصادر الوراثية للبيئات وتطورها.

الحفاظ على التنوع الحيوي خارج الغابات المدارية المطيرة، أي حمايته في موطن يتم إدارته بواسطة الإنسان مثل الحدائق والمنتزهات، وحفظ المادة الوراثية في بنوك خاصة (بنوك الأمشاج) يتم تجميد الأجنة فيها، وتحفظ الخلايا في سائل خاص تستخدم وقت الاحتياج إليها، حتى يتم الحفاظ على المنوعات الوراثية، وقد أنشئت العديد من المراكز الدولية لحفظ المصادر الوراثية الحيوية المعرضة للتدهور والانقراض.

دعم مشاريع المحافظة على الغابات والإدارة المستدامة لها بهدف قطع أشجارها دون أضرار تذكر، وتقييمها ووضع أسس استغلالها من أجل خلق توازن بين احتياجات ومتطلبات المجتمعات وبين التوازن البيئي والتنوع الحيوي.

منع الصيد غير المشروع والذي يفوق قدرة الطيور والحيوانات الغابية على التكاثر.

إصدار شهادات عالمية لأخشاب الغابات المدارية المطيرة التي تتبع نظام الإدارة المستدامة لخلق سوق الطلب عليها، ويمثل ذلك تحولاً غير مسبوق نحو تعزيز المحافظة على الغابات وتجددها.

دعم إيقاف قطع الأشجار في الدول الفقيرة، ومراعاة ضرورة تنفيذ القرارات والتوصيات التي توصلت إليها المنظمات الدولية المعنية بأمن المناخ والبيئة، ومن بينها مؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخي 2010 للحد من انبعاثات الكربون، ومن بينها دعم إيقاف قطع الأشجار في الدول الفقيرة، وبروتوكول كيوتو الذي يقترح توفير حوافز مالية لوقف إزالة الغابات وتدهورها، ومناشدة الأفراد والحكومات

وحثها على اتخاذ الخطوات الفورية الضرورية لوقف ضياع التنوع الحيوي بالغابات الاستوائية، وخلق ضغط عام على صانعي القرارات من أجل العمل بها.

رفع الوعي بأهمية التنوع الحيوي بمختلف الوسائل، مثل تقديم البرامج الإعلامية حول أهمية التنوع الحيوي والتهديدات الكامنة لضياعه، والتعريف بالبرامج العالمية الموضوعة له، وإعداد برامج له في مراحل التعليم المختلفة.

تاسعاً: معوقات تنمية التنوع الحيوي:-

على الرغم من القلق الواضح من القصور في تلبية مستلزمات الحياة والطاقة والغذاء والدواء المستمدة من التنوع الحيوي، وبعد إدراك أن الموارد الطبيعية وما فيها من تنوع حيوي هي في تراجع مستمر، وأن السكان في تزايد مستمر، هذه المعادلة واجهت المفترقات التي كانت بالغة التأثير في تغيير طبيعة واتجاه المسارات ذاتها للوصول بها إلى مستوى التوازن.

يمثل النمو الاقتصادي ضرورةً مطلقة للعالم، وأهداف التنمية المستدامة لم يكتب لها أن تتحقق حتى يومنا هذا في ظل عدم التوافق بين تحقيق هذا النمو والتوازن في حجمه ومستواه بما يوافق البيئة الحيوية وغياب التوزيع العادل لمنافعه، وعلى الرغم من أن سياسات حماية التنوع الحيوي مليئة بالاستراتيجيات والرؤى بعيدة المدى غير أن التنمية الاقتصادية غير المستدامة تضعف الأمل في بلوغ الأهداف التي تضمنتها هذه الاستراتيجيات.

إن معاهدة بروتوكول كيوتو لن يكون لها تأثير كبير في الحد من التغيرات المناخية وخاصة الاحتباس الحراري، حيث أن الهند والصين اللتين تضمان ثلث سكان العالم لم توقعا عليه، ولذلك فإن تأثيرها على الاحتباس الحراري بعد مئة عام سيكون تافهاً، وهذا سيخيب أمل الأشخاص الذين يضعون رهاناتهم في خفض انبعاثات الغازات الدفيئة من مصادرها المتعددة.

وقد عُقد مؤتمر المناخ والتنوع الحيوي عام 1995 في برلين، ولم يتمكن من تحقيق هدفه بسبب الاختلاف بين الدول النامية والمتطورة حول مصالحها

المادية،[13] كذلك مؤتمر قمة الأرض في ريودي جانيرو عام 1992 والذي شمل وثيقة حماية الغابات والتي تضمنت في أحد جوانبها التوقف عن إزالة الغابات الاستوائية بالدول النامية وتعويضها مالياً، وقد قوبل هذا الاقتراح بالرفض حيث تشكل هذه الغابات مصدراً للوقود وغذاءً للماشية.[14]

فضلاً عن عزوف سكان الدول النامية عن المشاركة الحقيقية في حل مشكلة تدهور الغابات الاستوائية، بل لا يزال طلب هؤلاء يتعاظم على زيادة استغلال أشجار الغابات وإزالتها بهدف تحقيق الأرباح على حساب تدهور التنوع الحيوي، كل هذا وذاك تسبب في تعميق الاختلال في البيئة الحيوية بدلاً من خلق ظروف تحقق التوازن في المنظومات البيئية الاستوائية.

لقد أظهرت الدراسات الحديثة أن معظم الغابات الاستوائية إن لم يكن جلها تفتقر للحماية الفعلية وفقاً لنظم الإدارة المستدامة، ومن خلال الجدول (2) يتبين أن في أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي يوجد حوالي 1.3 مليار هكتار من الغابات الاستوائية تم تخصيصها لتكون محميات طبيعية، إلاَّ أن ما يخضع للحماية الفعلية لا يتعدى 27 مليون هكتار، أي ما نسبته 3% فقط، أما في أسيا والمحيط الهادي قدرت المساحة المعلنة كمحميات طبيعية حوالي 415 مليون هكتار، والمساحة التي تخضع للحماية الفعلية لا تتعدى ما نسبته 12% فقط من إجمالي المساحة المستهدفة، وكذلك في أفريقيا لا تتعدى 5% فقط ، أي حوالي 14.8 مليون هكتار من أصل 272 مليون هكتار.

جدول (2) مساحة الغابات الاستوائية المستهدفة بالحماية الطبيعية، ونسبة ما يخضع منها للحماية الفعلية.

النطاق	المساحة المستهدفة بالحماية الطبيعية (مليون هكتار)	المساحة الخاضعة للحماية الفعلية (مليون هكتار)	النسبة المئوية للمساحة الخاضعة فعلياً للحماية
أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي	1.3 مليار هكتار	27	%3
آسيا والمحيط الهادي	415	48	%12

أفريقيا	272	14.8	%5
إجمالي المساحة	1.690	89.8	%5

المصدر : إعداد الباحثة استناداً إلى:

www.aadd2.net.8/11/2016

إن الجهود التي تبذل من أجل الحد من تدهور الغابات المدارية المطيرة يتطلب اتخاذ قرارات جريئة وسياسات عادلة من الحكومات التي تتجاهل إحضار المستقبل إلى عالمنا الحاضر، وتسخير الإمكانات من أجل الوصول إلى بيئة آمنة يؤدي فيها التنوع الحيوي والنظم الإيكولوجية تبادل الأدوار والوظائف الحيوية على مستوى التوازن، بل دائماً يبقون على المدى المنظور فقط، وعلى توفير الأرباح من تحويل الغابات إلى أراض إنتاجية متجاهلين تدهور التنوع الحيوي، فعند النظر إلى مشكلة الزيادة السكانية والركود الاقتصادي الذي يشهده سكان المناطق الاستوائية يتخلى الجميع بكل بساطة عن مفهوم الاستخدام المستدام للغابات، ويعودون إلى قطع الأشجار وإزالة الغابات وتحويلها إلى أراضي زراعية، حيث لا توجد تعويضات كافية بدل استغلال الغابات، وإن فوائدها في تخفيف الغازات الدفيئة بحسب وجهة نظرهم قضية تعني الدول الغنية المتقدمة فقط.

إذاً يجب إدراك حالة التوازن بين المُستغِل والمُستغَل للغابات المدارية، فالدول الكبرى هي المصدر الأكبر للغازات الدفيئة التي تزيد من حالة الاحتباس الحراري، والدول الفقيرة هي التي تريد الوصول إلى إطعام سكانها من استغلال الغابات وأراضيها، فالكل يساهم بقدر واضح، الأمر الذي يخلق حالة عدم التوازن في الجانبين، ومع ذلك فإن المصادر المُدمرة للبيئة الطبيعية هي التي تعقد هذه المؤتمرات، ولا تعمل بنصوص اتفاقياتها.

ولا بد من الإدراك إن كوكبنا الذي نعيش عليه معرض للخطر، وهذا آتٍ من عدم الاستغلال الأمثل للطبيعة، وقد سخر الله لنا الطبيعة لتكون حلاً لتلبية متطلبات

حياتنا، إلاّ أن تفكير الإنسان وسلوكه الجشع جعل استغلال الطبيعة الجائر مشكلة بدلاً من أن تكون حلاً، لذا يتوجب علينا أن نعيد التفكير بشكل جذري في استراتيجيات استغلال الطبيعة بأكملها، وإعادة توجيه المستهلكين وصانعي القرار لوقف ضياع التنوع الحيوي حتى لا نفقد سلسلة الخدمات المترابطة التي يقدمها النظام الإيكولوجي، وهذا لا يتحقق إلاَ بتهيئة الظروف الملائمة لإحداث تغيرات حاسمة في التوجهات القائمة.

النتائج:

من خلال دراسة تباين التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة وأثر تدهوره على النظم الإيكولوجية تتضح النتائج الآتية :

تباين توزيع التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة، وتلعب الخصائص الجغرافية دوراً كبيراً في توزيعه المكاني، وخير دليل على ذلك تباين الغابات المطيرة في حوض الأمازون، حيث تغطي مساحة أكبر من تلك الموجودة في الكونغو، فضلاً على أنها أكثر كثافة في أشجارها، وذلك بسبب انفتاحها على الرياح التجارية الجنوبية الشرقية والتي تسببت في سقوط كميات كبيرة من الأمطار على عكس نظيرها في حوض الكونغو، وينعكس ذلك على تباين الحياة النباتية والحيوانية من حيث التنوع والعدد، كما يتضح أيضاً تأثّر حالة الغابات المطيرة بعاملي إزالة وقطع الأشجار، والصيد الجائر، حيث أن الكثير من الحيوانات والنباتات أصبحت مهددة بالانقراض، مثل نبات القهوة فـــي أثيوبيا المعروفة بأرابكا، وقردة (الغوريلا) والتي تعد من أشهر حيوانات غابات أفريقيا الاستوائية، ودب الشمس، وهذا ما يؤكد تباين التنوع في الغابات المدارية المطيرة والتعرف على العوامل الجغرافية المؤثرة فيه، (وهو ما يثبت صحة الفرضية الأولى والتي كانت جواباً لمشكلة البحث الأولى).

كان لتدهور الغابات المدارية المطيرة أثر على النظم الإيكولوجية الناجم عن إزالتها وقطع أشجارها، والصيد الجائر لحيواناتها، ويتضح هذا الأثر من خلال

السلسة الغذائية للكائنات الحية، والدورة الهيدرولوجية للمياه، وما يترتب عن ذلك من جرف السيول التي تضرب الغابات المتدهورة وتأكل التربة السطحية الغنية بالمواد العضوية، ويتسبب ذلك في حدوث الانزلاقات الأرضية، إلى جانب أثرها في الإخلال بدورة الكربون في الطبيعة، وخسارة الدور الحيوي الذي تلعبه الحيوانات الثدية الكبيرة في ترميم أجزاء الغابة المتضررة من خلال عملية نقل البذور إليها، مثلما فعلت في غابات جزيرة سومطرة الاستوائية، زيادة عن ذلك فإن تراجع مساحات الغابات يهددها بالانقراض، وهذا يبين أثر التنوع الحيوي في الأقاليم الجغرافية للغابات المدارية المطيرة وتدهورها على النظم الإيكولوجية، (وهو ما يؤكد صحة الفرضية الثانية والتي كانت جواباً لمشكلة البحث الثانية).

أثّر تدهور الغابات المدارية المطيرة على الإخلال بدورة الكربون في الطبيعة، والذي ترتب عنه زيادة انبعاث الغازات الدفيئة، حيث تساهم بنسبة 20% من هذه الانبعاثات، مما يزيد من تفاقم مشكلة الاحترار العالمي، والتي بدورها ستضفي مزيداً من التدمير على الغابات المطيرة نفسها نظراً لتبدّل الظروف المناخية المتأقلمة معها، وهو ما شهدته تراجع قدرة غابات الأمازون على امتصاص الغازات الدفيئة نتيجة للاستغلال الجائر وتراجع مساحتها، ومن خلال ذلك يتبين أن الأقاليم الجغرافية للغابات المدارية المطيرة لها أثر كبير على مناخ الأرض، (وهو ما يؤكد صحة الفرضية الثالثة والتي كانت جواباً لمشكلة البحث الثالثة).

الخاتمة:

ناقش البحث تباين التنوع الحيوي في الغابات المدارية المطيرة من خلال توزيعه الجغرافي، والعوامل المؤثرة على هذا التوزيع، كما جاء البحث لتسليط الضوء على ما يتعرض له التنوع الحيوي في هذه الغابات من تدهور نتيجة لإزالة الغابات وقطع الأشجار والصيد الجائر للحيوانات، فضياع أو خسارة حيوان ثدي كبير الحجم أو كائن حي دقيق يؤثر في البيئة كما تتأثر البيئة الحيوية بعمق باختفاء هذا الكائن، وفقدان الأدوار التي يؤديها، وقد أولت الدراسة أيضاً أهمية خاصة

للغابات المدارية المطيرة كونها مأوى لأكثر من 50% من الأحياء الموجودة على الأرض، مبيناً الصورة المخيفة لعمليات التدهور التي تشهدها جراء الاستخدام غير المستدام لها، وما يترتب عنها من فقدان الموائل الطبيعية للكائنات، ومن ثم خطر الانقراض الذي يهدد اليوم العديد من الأحياء، هذا التنوع العجيب الذي يمثل سر الحياة الذي يتبلور في القاموس الوراثي (الحمض النووي دانا DNA).

إن استمرار تراجع مساحة الغابات المدارية المطيرة لا يهدد الأحياء المستوطنة فيها بالانقراض، بل يهدد الغابات ذاتها خطر الانقراض لينتقل الوضع إلى أشد خطورة من انقراض الأحياء إلى الانقراض البيئي.

كما تناول البحث الدور الكبير الذي تلعبه الغابات في الحفاظ على استقرار مناخ الأرض من خلال إمداد الهواء بالأكسجين وامتصاص ثاني أكسيد الكربون منه، وأثر تدهوره على زيادة انبعاث الغازات الدفيئة في الجو.

وقدم البحث اقتراحات من أجل حماية التنوع الحيوي داعياً من خلالها إلى جعل تدهوره محل اهتمام دولي مكثف، والحث على تنفيذ الاستراتيجيات الدولية والإقليمية، وحماية مواطنه الطبيعية وإقامة المنتزهات، ورفع مستوى التوعية بأهميته، كما يدعو إلى التفكير بشكل جذري في استراتيجيات استدامة التنوع الحيوي.

وخلُص البحث بمناقشة معوقات تنمية التنوع الحيوي وحمايته مبيناً أن تدهور وفقدان سلسلة الخدمات التي تقدمها النظم الإيكولوجية تشكّل تحديات ماثلة أمامنا، وإذ لم يتم معالجتها بشكل جذري، وتم صرف النظر عنها ستقوض كافة المحاولات والمساعي التي توصل إليها أصدقاء البيئة.

الهوامش:

1- محمد سليم اشتيه، رنا ماجد جاموس، التنوع الحيوي أهميته وطرق المحافظة عليه، سلسلة دراسات التنـــوع الحيوي والبيئة، مـــركز أبحاث التنوع الحيوي والبيئة، نابلس، فلسطيـــن، نيسان، 2002،ص3.

https://ar.wikipedia.org.5/9/2016.

2- حسن أبو سمور، الجغرافية الحيوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص 183، 184.

www.startimes.com. 4/9/2016

www.Green Area.me ،2016/5/22

www.startimes.com. 10/10/2016.

3- عبدالعباس فضيح الغريري، سعدية عاكول الصالحي، الجغرافية الحيوية "النبات والحيوان"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص173.

4- عبد علي الخفاف ، ثعبان كاظم خضير، المناخ والإنسان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2007، ص175.

5- عبدالعباس فضيح الغريري، سعدية عاكول الصالحي، مصدر سابق، ص111،109.

6- مأزق الطاقة والحلول البديلة ديفيد هويل وكارول نخلة، ترجمة أمين الأيوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص 34

7- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- الاسكوا، التكنولوجيات السليمة بيئياً في صناعة الأغذية، الأمم المتحدة، نيويورك، 2003، ص 87 .

http://www.dw.com.4/9/2016.

8- محمود الأشرم، التنوع الحيوي والتنمية المستدامة والغذاء(عالمياً وعربياً)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص142

9- محمد إبراهيم محمد شرف، جغرافية المناخ والبيئة، دار المعرفة الجامعية، قنال السويس، 2008، ص328.

مدى اهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية بالمرحلة الإعدادية

د. حسين علي رمضان سالم القنباوي
كلية التربية الزاوية– جامعة الزاوية

د. الشريف محمد علي الحراري
كلية التربية الزاوية– جامعة الزاوية

مقدمة:

إن العملية التربوية بكل أبعادها معادلة متفاعلة العناصر تتقاسم أدوارها أطراف عدة بحيث تتعاون جميعها في تأدية هذه الرسالة على خير وجه للوصول إلى نتائج المرجوة، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال توثيق الصلات بين البيت والمدرسة، فالتعليم قضية مجتمعية لابد أن يشارك فيها جميع الأطراف من الأسرة والمدرسة وجميع أفراد المجتمع ومؤسساته المختلفة.

لقد تضمنت برامج التطوير التربوي أبعادا جديدة كان من أهمها إعطاء دور أكبر لأولياء الأمور للمساهمة في دعم العملية التعليمية من خلال المساندة والمتابعة المستمرة للتحصيل العلمي لأبنائهم وكذلك دعم دور المدرسة في المجتمع المحلي، فالمدرسة لا تستطيع تطوير عملها وتحقيق أهدافها، والمضي قدماً في هذا الطريق دون عمل مخطط وجهد منظم ومشترك مع أولياء الأمور ومؤسسات المجتمع المحلي.

ويفيد البحث الحالي معرفة مجالات اهتمام أولياء الأمور بأبنائهم في النواحي الدراسية مع التركيز على أولويات هذه المجالات حتى يمكن مساعدة أولياء الأمور في تهيئة الفرص اللازمة لنجاح أبنائهم في دراستهم، وكذلك توثيق العلاقة بين البيئة المدرسية والبيئة لكي تتحقق العملية التعليمية أهدافها،حتى يمكن إزالة التناقض والصراع بين المدرسة في المرحلة الإعدادية في تربية الأبناء وتعليمهم.

كما يفيد إلى معرفة المتغيرات التي تؤثر في اهتمام أولياء الأمـــور بأبنـــائهم فـــي النواحي الدراسية، وتحديد أي هذه المتغيرات أكثر تأثيرا وذلك لزيادة فاعليـــة هـــذا الاهتمام وإزالة المعوقات التي تحول دون تحقيقه.

فالاهتمام بهذه المرحلة أصبح يمثل ضرورة لا غنى عنها في عالم اليوم ، كمـــا أن البحث في مجال هذه المرحلة الدراسية ، بغرض التعرف على متطلباتها وأنسب طرق رعايتها، يكتسب أهمية خاصة في أي دولة حيث أن الاعتماد علـــى الثـــروة البشرية هو الوضع الأمثل لعبور الفجوة أو المســـافة بـــين الواقـــع الـــذي تحيـــاه والمستقبل الذي تتطلع إليه.

مشكلة البحث:

تسلط مشكلة البحث الحالي الضوء على مدى اهتمام وفاعلية أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية بالمرحلة الإعدادية مما دفع الباحثين لدراسة هذا الموضوع، المتمثل في التلاميذ عن المدرسة مرتبطة بالاتجاهات الوالدية لآبائهم وتحدد في: عدم حرص الوالدين على حضور اجتماعات مجالس الآباء (الأمهات) الذي يوثق الصلة بين البيت والمدرسة، والذي يجعل التلميذ تحت الرقابة الدقيقة للوالدين والمعلمين، وتكون وسيلة للمتابعة من المدرسة للتلميذ في المنزل، ومن المنزل للتلميذ في المدرسة، و كذلك عدم زيارة الوالدين لمدارس أبنائهم والسؤال عنهم، هذا بالإضافة إلى عدم متابعة الوالدين لأبنائهم في المنزل والمدرسة بسبب انتشار الأمية لدى كثير من الآباء والأمهات، وكثرة الخلافات الأسرية، وعدم الاهتمام بتوفير الظروف المناسبة لاستذكار الأبناء في المنزل.

ولذا توصي دراسة (منسي وآخرون ،1990م) بضرورة إقامة العلاقات الوثيقة بين البيئة المنزلية والبيئة المدرسية، ودراسة الإمكانيات المتاحة في كل بيئة، محاولة اشتراك الآباء والمهتمين بالشئون التربوية مع المعلمين والمخططين التربويين لتحديد الإمكانيات المتاحة في هذه البيئات، والانطلاق بما فيها وجعله الأساس الأول في العملية التعليمية[1].

كما وضح (الضحاوي ،1988م) أن كلاً من الآباء والمعلمين على تحطيم القيود الجامدة التي أقامتها وجهات نظر بالية بين المدرسة والمجتمع المحيط بها، وكذلك تفهم الآباء لدورهم التربوي وأهميته في التكامل مع دور المدرسة، ومحاولة المواظبة على متابعة أبنائهم ومرافقتهم في البيئة المنزلية والبيئة المدرسية كلما أتيحت لهم الظروف والإجابة عن أسئلتهم بصراحة وصدق دائم[2].

جاء البحث الحالي للوقوف على مدى اهتمام وفاعلية أولياء أمور تلاميذ المرحلة الإعدادية باحتياجات أبنائهم المدرسية من وجهة نظر الأبناء – يكاد يكون فيها الاهتمام مفقوداً، ومن خلالها تتمحور مشكلة البحث بالتساؤل الرئيس الآتي:

ما مدى اهتمام أولياء أمور تلاميذ المرحلة الإعدادية باحتياجات أبنائهم المدرسية؟

ـ أهمية البحث:

تحدد أهمية البحث في أهمية التعامل مع الأبناء وأنماط الرعاية الوالدية التي يتلقاها الأبناء بوصفها الديناميات التي تحدد ما يمكن أن تكون عليه شخصية الأبناء.

وتتمثل أهمية البحث على أهمية هذا التفاعل بين الوالدين والأبناء وانعكاساته على رسم ملامح شخصية الأبناء، وترى أن هناك ارتباطاً بين أساليب المعاملة الوالدية المختلفة وبين أنماط الشخصية، وأن السمات المميزة لشخصية الطفل تستمر معه حتى سن متقدم.

كما تتمثل أهمية دور أولياء الأمور في تنشئة البناء، نراهم يحرصون على إبراز أهميتها باعتبارها صاحبة الدور الأول والرئيس في عملية التنشئة الاجتماعية المبكرة ، وما تتركه من بصمات واضحة على شخصية الأبناء .

وتكمن أهمية البحث في الآتي:

1- يستمد هذا البحث أهميته من أهمية الموضوع .

2- تسهم في توعية أولياء الأمور باهتمام أمور أبنائهم المدرسية.

3- بناء جيل منجز يلاحق تطورات العصر الحديث .

4- إزالة التناقض والصراع بين سياسة المدرسة والمنزل في تربية الأبناء وتعليمهم .

5- مساعدة أولياء الأمور في تهيئة الفرص اللازمة لنجاح أبنائهم في دراستهم .

6- يعد هذا البحث مكملاً للدراسات السابقة ولإسهام في فتح المجال أمام دراسات أخرى .

7- تقديم بعض التوصيات والمقترحات التي تهم هذا الموضوع من خلال نتائج التي توصلت إليه .

8- يمكن الاستفادة منه مستقبلا داخل مؤسسات التعليم الإعدادي .

9- تعد مرجعاً لطلاب الدراسات العليا للاستفادة منها في دراستهم مستقبلاً .

ـ أهداف البحث:

يسعى الباحثان في هذه البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- معرفة مدى أهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية بالمرحلة الإعدادية بمدينة زلطن.

2- معرفة مدى اهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية بالمرحلة الإعدادية بمدينة زلطن.

ـ تساؤلات البحث:

انطلاقاً من مشكلة وأهداف البحث يمكن صياغة التساؤلات الآتية:

س1 – هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية على مستوى (0.05) بين آراء عينة البحث في درجة اهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية بالمرحلة الإعدادية تبعاً لمتغير(الجنس)؟.

س1 – هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية على مستوى (0.05) بين آراء عينة البحث في درجة اهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية بالمرحلة الإعدادية تبعاً لمتغير(مستوى الصف)؟.

الدراسات السابقة:

يتناول الباحثان الدراسات السابقة وفقاً لتسلسل التاريخي لنشر الدراسة من الأقدم إلى الأحدث وهى على النحو الآتي:

1-دراسة بركلي (Bricklin,1967) في دراستها إلى أن أقصر ما يهم أولياء الأمور بالنسبة لأبنائهم هو مستوى إنجازهم الدراسي، ومدى تفوقهم على أقرانهم في الامتحانات حيث اتضح أن الوالدين أو أحدهما يستمد مركزه من إنجازات طفله[3].

2-دراسة نيسون (newson,1976) تم جمع البيانات من (700) طفل في سن السابعة عن مصروف الجيب الذي يحصلون عليه من آبائهم أثناء ذهابهم إلى المدرسة، وجد الباحثان أن أكثر من (50%) من أفراد عينة الدراسة تحصل على نقود من الوالدين زيادة عن مصروفهم العادي، كما لم يكن هناك فروق بين الطبقات الاجتماعية في تشجيع الآباء لأطفالهم على الادخار أو استخدامهم الحرمان من مصروف الجيب كعقاب للأبناء[4].

3-دراسة (نادية كمال،1987) عن ظاهرة الواجبات المنزلية في مرحلة رياض الأطفال ، توصلت الدراسة إلى أن (91.9%) من عينة أولياء الأمور أكدوا أن الأم تشرف على أداء الطفل للواجب، وأن (27.6%) من الآباء يعاونون الأمهات في هذه المهمة. وقد وافق الآباء بنسبة (86.7%) على أن الواجبات المنزلية ضرورية[5].

4-دراسة كاتز (Katz,1987) بدراسة عدة قضايا في مرحلة الطفولة بأمريكا، وفي مقدمتها قضية اشتراك أولياء الأمور في تعليم أطفالهم، باعتبار أن الأسرة لها دور كبير في اكتساب الطفل القواعد والسلوكيات والاتجاهات والقيم والأسس والمبادئ التي تساهم في تشكيل الطفل وتربيته، وقد توصلت الدراسة إلى أن من مداخل هذه المشاركة البدء بالتعرف على مطالب الآباء في تعليم أطفالهم[6].

5-دراسة (حسن،1991)على مجموعات من الأطفال بدور الحضانة والمدارس الابتدائية بالمنيا، حيث طبق عليهم مقياس للعلاقات الأسرية كما يدركها الأطفال، توصلت الدراسة إلى عدم اهتمام أولياء الأمور بشئون أطفالهم(7).

ـ تعقيب على الدراسات السابقة:

إن معظم الدراسات السابقة تناولت مرحلتي الطفولة والمراهقة، حيث نجد دراسات عيناتها على الأطفال، ودراسات تنوعت عيناتها ما بين الأطفال والمراهقين. وأشارت نتائج الدراسات السابقة إلى أن أكثر ما يهم أولياء الأمور فيما يخص باحتياجات أبنائهم المدرسية هو مستوى إنجازهم المدرسي ، والنجاح في الامتحانات ثم أداء الواجبات المنزلية بالترتيب.

في حين اتفقت جميع الدراسات على وجود ارتباط موجب دال بين اهتمام أولياء الأمور.

ومن هنا لم يجد الباحثان دراسات تناولت أثر كل من جنس التلميذ ومستوى الصف الدراسي والتفاعل بينهما على اهتمام أولياء الأمور .

أدبيات البحث :

ـ أولياء الأمور:

من المعلوم بداهة أن قلب الأبوين مفطور على محبة الأبناء، ومتأصل بالمشاعر النفسية و العواطف الأبوية لحمايتهم والرحمة بهم والاهتمام بأمرهم، ولولا ذلك لانقرض النوع الإنساني من الأرض ولما صبر الأبوان على رعاية الأبناء، ولما قاما بكفالتهم والسهر على أمرهم والنظر في مصالحهم.

إن وظيفة الوالدين تستمر رغم كل شيء في أداء وظائف الأبوة والأمومة، والقيام بمختلف الأدوار التي تتطلبها منهما استمرارية الحياة وصنع الأجيال، فالأب إلى جانب توفيره حاجات الأسرة الاقتصادية يقوم بإشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية للأبناء، كالرقابة على سلوكهم والمسئولية عن تصرفاتهم مثلاً وربما توصيلهم للمدرسة وإعادتهم منها لوقايتهم من خطر المواصلات، وحضور

اجتماعات مجلس الآباء واستدعاءات إدارة المدرسة لمتابعة تقدم الأبناء الدراسي، وشرح وتوضيح للأبناء ما يصعب عليهم فهمه أثناء الاستذكار... وما يمكن للأب القيام به نحو الأبناء[8].

وإن دور الأم في الاهتمام بالأبناء، يُوصف بأنه دور مركزي وهو بمثابة النواة بالنسبة لخلية الأسرة، ويشير في هذا الصدد إلى تفاني الأم اليابانية في رعاية أبنائها، خاصة مع اقتراب مواعيد الامتحانات، حيث تكرس معظم أوقاتها لتوفير الظروف المريحة وتقديم التسهيلات لهم لاستذكار دروسهم، ويرى أن أحد أسباب تقدم اليابان يرجع إلى قيام الأم بدورها التربوي داخل الأسرة[9].

إن اهتمام الآباء والأمهات بأبنائهم له صور ووسائل ومجالات متعددة منها: تشجيع الأبناء ودفعهم نحو الاستجابة لبرامج المدرسة ومشروعاتها، وإقامة علاقات اجتماعية سوية، مساهمة الآباء والأمهات في تطوير برامج أنشطة المدرسة من خلال الاشتراك في الاجتماعات المدرسية التي تناقش هذه البرامج وتقرها، ومشاركة أولياء الأمور في الأنشطة المدرسية مثل الخدمة العامة والرحلات والأنشطة الرياضية والمعارض المدرسية وحفلات توزيع الجوائز التشجيعية على المتفوقين[10].

ويجب على الأسرة أن توفر لأبنائها الإمكانيات المناسبة والظروف الملائمة ومجالات التفكير والعمل التي تسمح بإظهار مواهبهم وتنميتها منذ وقت مبكر.

وفي هذا الصدد يمكن للآباء بأساليب بسيطة غير مكلفة وبموارد محدودة تشجيع أبنائهم في هواياتهم مثل زيارة دور الكتب وشراء بعض الكتب الجذابة وزيارة المتاحف والاشتراك في المسابقات الرياضية، كل ذلك يساعد في استثارة بعض ميول الأبناء ورغباتهم ومواهبهم. وإذا كان قاموس الاجتماع (1979) يعرف الاهتمام Interest بأنه ميل واضح إلى موضوع أو نشاط معين وتفضيله على سائر الموضوعات أو الأنشطة الأخرى. وتنطوي المصلحة بهذا المعنى على التأكيد بأن موضوعها أو الأنشطة المتصلة بها تمثل عند الفرد بؤرة اهتمامه[11] .

وفي ضوء أدبيات البحث والدراسات السابقة، قام الباحثان بإعداد مقياس لاهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية (من وجهة نظر الأبناء)، حددا فيه الأبعاد الآتية:[12]

- الاهتمام بالمقررات الدراسية: وتعني اهتمام أولياء الأمور بمناقشة أبنائهم في المقررات الدراسية من حيث محتواها ومناسبتها لأبنائهم. ومدى فهمها والمشكلات التي تقابلهم فيها وكيفية تحسين مستواهم، ومساعدتهم في تحقيق ميولهم الدراسية وشراء كتب خارجية متصلة بتلك المقررات.
- الاهتمام بالمقررات النوعية: وتعني اهتمام أولياء الأمور بمعرفة ميول أبنائهم في تلك المقررات (مثل الرسم، و الموسيقى، الألعاب، والمجالات)، إظهار أهمية دراستها، توفير الإمكانيات اللازمة لها، التشجيع على التفوق فيها وحل مشكلاتها مع التنسيق بينها وبين المقررات الدراسية الأخرى.
- الاهتمام بدروس التقوية: وتعني باهتمام أولياء الأمور بإعطاء أبنائهم دروساً للتقوية في المقررات التي يعانون من ضعف فيها، مع تنظيم تلك الدروس واختيار المدرسين الأكفاء والتنسيق مع إدارة المدرسة بهذا الشأن.
- الاهتمام بالامتحانات من حيث المحتوى والشكل وطريقة الإجابة عنه.
- الاهتمام بالنواحي الشخصية للمتعلم، من حيث المظهر الخارجي وحسن السيرة والسلوك والنواحي الشخصية .
- الاهتمام بالمصروف اليومي .
- الاهتمام بالزيارات المدرسية .
- الاهتمام بالواجبات المنزلية .

إجراءات البحث:

تتضمن إجراءات البحث من المنهج وأدواته وطرق استخراج الصدق والثبات له مع حصر شامل للمجتمع الأصلي إلى جانب الأساليب الإحصائية الذي يستخدم لعلاج البيانات، وفيما يلي عرض هذه الإجراءات في الآتي:

ـ منهج البحث:

استخدم الباحثان من أجل تحقيق أهداف البحث المنهج الوصفي التحليلي،نظرا لملائمته لطبيعته وأهدافه، الذي من خلاله وصف الظاهرة موضوع البحث، وتحليل بياناتها، وبيان العلاقة بين مكوناتها، والآراء التي تطرح حولها، والعمليات التي تتضمنها، والآثار التي تحدثها[13].

عينة البحث:

اعتمد البحث في الحصول على عينة ممثلة للمجتمع الأصلي على الطريقة العينة العشوائية البسيطة، حيث قام الباحثان بتطبيق أدوات البحث وهي مقياس اهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية على تلاميذ المرحلة الإعدادية بمدارس مدينة زلطن. وتكونت عينة البحث من (460) تلميذاً تتراوح أعمارهم بين(12-14) سنة موزعة كالآتي:

أ. من حيث الجنس :(209) من الذكور و(251) من الإناث

ب. من حيث المستوى الفصل: (234) بالمستوى الأول، و(102) بالمستوى الثاني، و(124) بالمستوى الثالث.

أداة البحث:

قام الباحثان بتطبيق استفتاء مقترح على (50) من أولياء أمور تلاميذ المرحلة الإعدادية بالصفوف الثلاثة بطريقة عشوائية بهدف تحديد احتياجات أبنائهم المدرسية التي يهتمون بها في هذه المرحلة الدراسية، وأعقب ذلك عمل مقابلة مع بعض وأولياء الأمور والمدرسين والمديرين والموجهين بهدف مناقشتهم في تلك الاحتياجات المدرسية، وبلورتها على نحو أكثر شمولاً وتحليلاً، وقد ترتب على هذين الإجرائين تكوين مقياس مبدئي يحتوي على أكثر الأمور المدرسية شيوعاً والتي يهتم بها أولياء الأمور.

وقد تم إجراء آخر وهو مراجعة ذلك المقياس المبدئي في ضوء الإطار النظري والدراسات السابقة والتعريف الإجرائي الذي توصل إليه الباحثان .

وقد توفر من هذه الإجراءات السابقة بناء مقياس اهتمام أولياء الأمور لتلاميذ المرحلة الإعدادية، وكل سؤال يتطلب الإجابة عنه من قبل الأبناء (تلاميذ المرحلة الإعدادية) بحيث يختار التلميذ استجابة واحدة من بين ثلاث استجابات متدرجة (3) إلى (1) بحيث تحمل المعاني الآتية:

(3) نعم: إذا كان يوافق على السؤال .

(2) إلى حد ما: إذا كان يوافق على السؤال إلى حد ما .

(1) لا: إذا كان لا يوافق على السؤال .

وتضمن القياس ثمانية أبعاد رئيسة، تم عرضها في أدبيات البحث وهي: الاهتمام بالمقررات الدراسية، والاهتمام بالمقررات النوعية والاهتمام بدروس التقوية، والاهتمام بالامتحانات، الاهتمام بالنواحي الشخصية للتلميذ، والاهتمام بالمصروف اليومي، والاهتمام بالزيارات المدرسية، والاهتمام بالواجبات المنزلية

- **صدق الأداة:** تم عرض المقياس على بعض الأساتذة المتخصصين في العلوم التربوية لإبداء الرأي في مدى صلاحية الأسئلة للأبعاد الثمانية التي تنتمي إليها وفحص صياغة ومضمون كل سؤال، والتأكد من شمول المقياس للأمور المدرسية التي يجب أن يهتم بها أولياء أمور تلاميذ المرحلة الإعدادية، حيث زادت نسبة الاتفاق بشأنها عن 90%من قبل المحكمين .

ثم طبق المقياس على عينة عشوائية قوامها (200) تلميذ من الجنسين بالمرحلة الإعدادية بالصفوف الثلاثة و ذلك لحساب الثبات كما يأتي:

- **ثبات الأداة:** تم حساب الثبات بطريقة إعادة الاختبار، بفاصل زمني قدره ثلاثة أسابيع، وكانت النتائج كما يأتي:

*ر = 0.148 (عند مستوى 0.01) عند (ن) = 200

وقد وجد أن جميع قيم معاملات الثبات دالة عند مستوى (0.05) (وذلك باستخدام المنظومة الإحصائية (SPSS).

- الوسائل الإحصائية المستخدمة:

ثم قام الباحثان بتطبيق مقياس اهتمام أولياء الأمور على تلاميذ الصفين الثاني والثالث بنفس المرحلة لدراسة أثر مستوى الصف الدراسي – بشكل خاص – على اهتمام أولياء الأمور.

ثم قام الباحثان بحساب كل من: المتوسط الحسابي، والوسيط، والانحراف المعياري ومعاملات الالتواء لعينة الدراسة للتحقق من مدى اعتدالية التوزيع .

نتائج البحث:

أولاً –الإجابة عن السؤال الأول:

ينص السؤال الأول على أنه: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية على مستوى (0.05) بين آراء عينة البحث في درجة اهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية بالمرحلة الإعدادية تبعاً لمتغير (الجنس)؟.

وللإجابة عن هذا التساؤل تم استخدام تحليل التباين ذي التصميم العاملي (2×3)، وتحليل التباين لثلاث مجموعات بطريقة شيفيه (Scheffe) (باستخدام المنظومة الإحصائية SPSS).

* –عند دراسة الجنس ، كانت نتائج تحليل التباين لدرجات مقياس الاهتمام هي:

–لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في درجات كل من الاهتمام بالمقررات الدراسية، بدروس التقوية، وبالامتحانات وبالنواحي الشخصية للتلميذ.

– توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في درجات كل من الاهتمام: بالمقررات النوعية، بالمصروف اليومي، بالزيارات المدرسية، بالواجبات المنزلية والاهتمام الكلي عند مستوى (0.05).

وبتطبيق طريقة شيفيه وجدت فروق ذات دلاله إحصائية بين الذكور والإناث لصالح الذكور عند مستوى (0.05).

وبالنظر إلى هذه النتائج نجد أن اهتمام أولياء الأمور بكل من المقررات الدراسية، الامتحانات، دروس التقوية والنواحي الشخصية لدى أبنائهم من الجنسين

بدرجة واحدة. وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن هذه الأمور مازالت تمثل عناصر أساسية في الانجاز الدراسي لدى الأبناء من وجهة نظر أولياء الأمور وهذا ما أكدته نتائج السؤال الأول .

بينما نجد اهتمام أولياء الأمور بكل من المقررات النوعية ، والزيارات المدرسية، المصروف اليومي، الواجبات المنزلية والاهتمام الكلي لدى أبنائهم من الجنسين ليست بدرجة واحدة، فالاهتمام بهذه الأمور لدى الأبناء الذكور أكثر من الاهتمام بها لدى الأبناء الإناث. وقد يكون ذلك راجعاً لطبيعة الدور لكل من الذكر والأنثى في مجتمعنا، فلا تزال الفرص متاحة لدى الذكور أكثر من الإناث في ممارسة الأنشطة المدرسية وحضور الحفلات والندوات والرحلات المدرسية. كما أن اهتمام أولياء الأمور بالمصروف اليومي لدى الأبناء الذكور أكثر من الإناث وما يستتبعه من سلوكيات جيدة ومطلوبة لتعويد الأبناء الذكور على هذه السلوكيات، قد يكون ذلك راجعاً إلى أنه مازالت نظرة الأسر تولي مسئوليات الإنفاق المادي على عاتق الذكور أكثر من الإناث.

كما أنه بشكل عام يهتم أولياء الأمور بأبنائهم الذكور أكثر من الإناث في النواحي المدرسية بالمرحلة الإعدادية لتأهيلهم لمستقبل مطلوب فيه مسئوليات لدى الذكور أكثر من الإناث في بناء حياتهم الأسرية والعملية، على الرغم من أن الثقافة الآن دخلت في مرحلة التوازن بين الجنسين في الحقوق والواجبات لكن قد يبدو ذلك في المراحل المتقدمة من التعليم.

ثانياً-الإجابة عن السؤال الثاني:

ينص السؤال الثاني على أنه: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية على مستوى (0.05) بين آراء عينة البحث في درجة اهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية بالمرحلة الإعدادية تبعاً لمتغير (مستوى الصف)؟.

وللإجابة عن هذا التساؤل تم استخدام تحليل التباين ذي التصميم العاملي (2×3)، وتحليل التباين لثلاث مجموعات بطريقة شيفيه (Scheffe) (باستخدام المنظومة الإحصائية SPSS).

*–عند دراسة مستوى الصف، كانت نتائج تحليل التباين لدرجات مقياس الاهتمام هي:

– توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ المستويات الثلاثة (الأول، الثاني، الثالث) في درجات مقياس الاهتمام عند مستوى (0.05). وبتطبيق تحليل التباين لثلاث مجموعات وطريقة شيفيه، وجدت النتائج على النحوالآتي:

– توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ المستوى الأول و تلاميذ المستوى الثاني في درجات مقياس الاهتمام لصالح تلاميذ المستوى الأول.

– توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ المستوى الأول و تلاميذ المستوى الثالث في درجات الاهتمام: بالمقررات الدراسية، بالمقررات النوعية، بالمصروف اليومي، بالزيارات المدرسية، بالواجبات المنزلية والاهتمام الكلي لصالح تلاميذ المستوى الأول، بينما لا توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الاهتمام: بدروس التقوية، بالامتحانات وبالنواحي الشخصية للتلميذ.

– لا توجد فروق دالة إحصائيا في درجات مقياس الاهتمام بين تلاميذ المستوى الثاني وتلاميذ المستوى الثالث، باستثناء الاهتمام بالامتحانات حيث توجد فروق بينهم لصالح تلاميذ المستوى الثالث.

وتعني هذه النتائج أن أولياء أمور تلاميذ المرحلة الإعدادية يهتمون بأبنائهم في المستوى الأول أكثر من أبنائهم في المستويين الثاني والثالث، وذلك في الأمور المدرسية – باستثناء الامتحانات ودروس التقوية– وقد يكون ذلك راجعاً إلى صغر سن تلاميذ المستوى الأول ومن ثم يحتاجون إلى اهتمام ورعاية أكثر من وجهة نظر أولياء أمورهم، لكن بالنسبة للامتحانات ودروس التقوية فإنها تمثل اهتماماً كبيراً لدى أولياء الأمور لدى أبنائهم في المستوى الثالث لأنهم في سبيل اجتيازهم

امتحان الشهادة الإعدادية. كما أن الاهتمام الواحد لدى تلاميذ المستويين الثاني والثالث من قبل أولياء أمورهم قد يكون راجعاً إلى أن أولياء الأمور يعتبرون أن السنة الثانية ضرورية للنجاح في السنة الثالثة والتي فيها امتحان نهاية مرحلة دراسية.

استخلاص أهم النتائج:

تتلخص نتائج البحث في الأتي:

1- أولياء أمور ذكور المستوى الأول لديهم اهتمام بأبنائهم أعلى من أولياء أمور باقي مجموعات الدراسة (0.05) وذلك في الأمور التالية :الامتحانات، المقررات النوعية النواحي الشخصية للتلميذ، المصروف اليومي، الزيارات المدرسية والاهتمام الكلي باستثناء تساوي درجة الاهتمام بينهم وبين أولياء أمور ذكور المستوى الثالث في الاهتمام بالامتحانات .

2- أولياء أمور إناث المستوى الأول لديهم اهتمام ببناتهم أعلى من أولياء أمور ذكور المستوى الثاني في الامتحانات (0.05)، والنواحي الشخصية للتلميذ (0.05)، والاهتمام الكلي (0.05) وكذلك لديهم اهتمام ببناتهم أعلى من أولياء أمور إناث المستوى الثالث في المصروف اليومي (0.05) والزيارات المدرسية (0.05)، والاهتمام الكلي (0.05) .

3- أولياء أمور ذكور المستوى الثالث لديهم اهتمام بأبنائهم أعلى من أولياء أمور ذكور المستوى الثاني في الامتحانات (0.05) والنواحي الشخصية للتلميذ (0.05).

4- أولياء أمور ذكور المستوى الثالث لديهم اهتمام بأبنائهم أعلى من أولياء أمور إناث المستوى الثالث في الزيارات المدرسية (0.05).

5- أولياء أمور إناث المستوى الثالث لديهم اهتمام ببناتهم أعلى من أولياء أمور ذكور المستوى الثاني في الامتحانات (0.05).

6- أولياء أمور ذكور المستوى الثاني لديهم اهتمام بأبنائهم أعلى من أولياء أمور إناث المستوى الثالث في الزيارات المدرسية (0.05).

7- أولياء أمور إناث المستوى الثاني لديهم اهتمام ببناتهم أعلى من أولياء أمور ذكور المستوى الثاني في النواحي الشخصية للتلميذ (0.05).

8- أولياء أمور ذكور المستوى الثالث لديهم اهتمام بأبنائهم أعلى من أولياء أمور إناث المستوى الثاني في الامتحانات (0.05).

9- أولياء أمور المستوى الثاني لديهم اهتمام ببناتهم أعلى من أولياء أمور إناث المستوى الثالث في الزيارات المدرسية (0.05).

الاستنتاجات:

بناء على نتائج البحث يستنتج الباحثان الآتي:

إذا نظرنا إلى هذه النتائج نجد أن عدم وجود تفاعل بين جنس التلميذ ومستوى الصف على درجات مقياس اهتمام أولياء الأمور في حالة: المقررات الدراسية ودروس التقوية والواجبات المنزلية، قد يرجع إلى هذه الأمور، تمثل عناصر أساسية في الإنجاز الدراسي لدى التلاميذ ومن ثم يهتم بها أولياء الأمور بغض النظر عن جنس التلميذ أو صفه الدراسي، كما أن الدراسة الحالية لم تصل إلى فروق ترجع إلى جنس التلميذ أو مستوى الصف في هذه الأمور، ومن ثم فإن التفاعل بينهما غير دال.

أما في الحالات الدالة الخاصة كل من: الامتحانات، النواحي الشخصية للتلميذ، المصروف اليومي، الزيارات المدرسية والاهتمام الكلي، فيمكن تناولها كما يأتي:

1- بالنسبة للامتحانات: نجد أن اهتمام أولياء أمور تلاميذ المستوى الثالث سواء أكانوا من الذكور أم من الإناث أعلى من اهتمام أولياء أمور تلاميذ المستوى الثاني سواء أكانوا من الذكور أم من الإناث أيضاً، وقد يكون ذلك راجعاً إلى تلاميذ المستوى الثالث سوف يجتازون امتحانات الشهادة الإعدادية، وهذا ما أكدته نتائج الفرض الثاني سابقاً.

2- بالنسبة للنواحي الشخصية والمصروف اليومي: نجد أن الفروق القليلة المشار إليها سابقاً كلها دالة عند مستوى (0.05) وهو مستوى ضعيف، وهذا يعني أن

الاهتمام من قبل أولياء الأمور بأبنائهم في النواحي الشخصية والمصروف اليومي واحد، كما أن المجموعة الأقل في هاتين الناحيتين هي مجموعة ذكور المستوى الثاني (0.05) وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن تلاميذ الصف الأوسط عادة ما يهملون أكثر من تلاميذ الصف الأول (الأصغر سناً)، وتلاميذ الصف الثالث (لديهم امتحان شهادة) وهذا ما تؤكده النتيجة السابقة الخاصة بالامتحانات .

3- بالنسبة للزيارات المدرسية: نجد أن أولياء أمور إناث المستوى الثالث لديهم اهتمام أقل من أولياء أمور باقي المجموعات (0.05)، وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن إناث المستوى الثالث قد بدأن مرحلة المراهقة، فإذا كانت الزيارات المدرسية تعني هنا اهتمام أولياء الأمور بحضور مجالس الآباء والحفلات والندوات، وحل المشكلات لدى أبنائهم من خلال الزيارات الدورية للمدرسة، فإن أولياء الأمور قد لا يهتمون بمثل هذه الأمور بالنسبة للأنثى التي تجاوزت مرحلة الطفولة ودخلت مرحلة المراهقة، بل يهتمون باستقلالية الإناث في حياتهن الخاصة وعدم الاختلاط مع الذكور، وتحجيم دور الأنثى في الحفلات والندوات تمشياً مع العادات والتقاليد التي مازال المجتمع يتمسك بها وبشكل خاص بالنسبة للأنثى في مرحلة المراهقة .

3-بالنسبة للاهتمام الكلي: نجد أن أولياء أمور إناث المستوى الأول لديهم اهتمام ببناتهم أعلى من أولياء أمور كل من ذكور المستوى الثاني (0.05)، وإناث المستوى الثالث (0.05) وبالرغم أنها عند مستوى ضعيف من الدلالة إلا أنها مؤشر يؤكد ما ذكرته سابقاً أن الاهتمام من قبل أولياء الأمور المدرسية ينصب على الأبناء الأصغر سناً سواء أكانوا من الذكور أو الإناث، حيث كما ذكرت سابقاً أن أولياء أمور ذكور المستوى الأول لديهم اهتمام بأبنائهم أعلى من أولياء أمور باقي مجموعات الدراسة (0.05) وكذلك مع الحصر نجد أولياء أمور إناث المستوى الأول لديهم اهتمام ببناتهم أعلى من أولياء أمور خمس مجموعات من الدراسة هي: ذكور المستوى الثاني (في الامتحانات)، ذكور المستوى الثاني (في النواحي الشخصية)، إناث المستوى الثالث (في المصروف

اليومي)، ذكور مستوى الثاني (في الاهتمام الكلي) ، إناث المستوى الثالث (في الاهتمام الكلي).

الجدول (1) يوضح درجات اهتمام أولياء الأمور باحتياجات أبنائهم المدرسية

البعد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1-الاهتمام بالمقررات الدراسية	0.220	0.01
2-الاهتمام بالمقررات النوعية	0.150	0.05
3-الاهتمام بدروس التقوية	0.052	غير دال
4-الاهتمام بالامتحانات	0.153	0.05
5-الاهتمام بالنواحي الشخصية	0.240	0.01
6- الاهتمام بالمصروف اليومي	0.125	غير دال
7-الاهتمام بالزيارات المدرسية	0.1530	0.05
8-الاهتمام بالواجبات المنزلية	0.1930	0.01
9-الاهتمام الكلي	0.223	0.01

التوصيات:

يوصي الباحثان بما يأتي:

- ضرورة إقامة العلاقات الوثيقة بين البيئة المنزلية والبيئة المدرسية، وذلك من خلال إشراك الآباء والمهتمين بالشئون التربوية مع المعلمين والمخططين التربويين لتحديد الإمكانيات المتاحة في هذه البيئات، والانطلاق بما فيها وجعله الأساس في العملية التعليمية .

- الاستفادة من مجهود الآباء في التزاوج بين البعدين النظري والتطبيقي في صيغة تعليمية واحدة، وتشجيع الآباء على الاهتمام بأبنائهم في الأنشطة الثقافية والمجالات العملية وذلك من خلال عقد ندوات ومحاضرات لهؤلاء الآباء تناقش فيها هذه الأمور، وتبرز فيها أهمية هذه الأنشطة والمجالات في بناء شخصية أبنائهم.

- حث الآباء على تفهم دورهم التربوي وأهميته في التكامل مع دور المدرسة، وتشجيعهم على متابعة أبنائهم في المدرسة، وذلك من خلال قيام المدرسة باتباع بعض الأساليب مثل إرسال نشرات دورية لأولياء الأمور عن أداء أبنائهم

المدرسي، عمل دليل للمدرسة يساعد الآباء في التعرف على كافة الأدوار والأنشطة التي تقوم بها المدرسة حيال أبنائهم، إنشاء مجلات مدرسية للطلبة وأولياء الأمور بحيث يشاركون في إنجازها تشجيع المشاركات التطوعية لأولياء الأمور في المناشط المدرسية والاهتمام بمجالس الآباء بحيث يكون له دور فعال في الحفاظ على التعاون و التكامل بين البيت والمدرسة.

– محاولة القضاء على ظاهرة الدروس الخصوصية – وما يستتبعها من اعتماد بعض أولياء الأمور على المدرسين في أمور أبنائهم المدرسين في أمور أبنائهم المدرسية مما يساعد هؤلاء الآباء على فقد الاهتمام بأبنائهم – وذلك من خلال تحسين وضع المدرسين مع العمل على تشجيع دروس التقوية المعمول بها في المدارس بحيث تكون في شكل منظم وغير مكلف للتلاميذ الذين يحتاجون إليها فقط وتحقق الأهداف المرجوة منها.

– توجيه الآباء إلى الاهتمام بأبنائهم في النواحي المدرسية في جميع مراحل التعليم وفي جميع سنوات الدراسة على اعتبار أن النظام التعليمي متكامل ومتتابع، ولا يقتصر الاهتمام فقط على نهاية المراحل أو بدايتها أو على نهاية المرحلة الدراسية الواحدة و بدايتها.

– توجيه الآباء إلى خطورة التفرقة في المعاملة الوالدية بين الأبناء وخصوصاً بين الذكور والإناث، وكذلك الاهتمام بالأبناء في أمورهم المدرسية لدى الجنسين بدرجة واحدة، لأننا أصبحنا في عصر تتحمل الأنثى فيه مسئوليات الحياة جنباً إلى جنب مع الذكر.

الهوامش:

1- محمود عبد الحليم منسي، منصور أحمد غوني، فوزية إبراهيم دمياطي: أسباب غياب التلاميذ والتلميذات عن المدارس في ضوء آراء تلاميذ وتلميذات المرحلة المتوسطة. مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العلوم التربوية، م3، 1990م، ص301-372 .

2- بيومي محمد ضحاوي: التوازن المفقود بين الأسرة والمدرسة، المؤتمر السنوي الأول للطفل المصري، جامعة عين شمس، مارس، 1988م، ص77- 88 .

3- السيد إبراهيم السمادوني: إدراك المتفوقين عقلياً للضغوط والاحتراق النفسي في الفصل المدرسي وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والبيئية، المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس في مصر، يناير، 1990م، ص736 .

4- Newson , J . &newson , E : Sewven Years old In The Home Environment , London , Allen &Unwin , 1976,p244.

5- نادية يوسف كمال: ظاهرة الواجبات المنزلية في مرحلة رياض الأطفال، دراسة ميدانية، مؤتمر معلم رياض الأطفال: الحاضر والمستقبل، جامعة حلوان، إبريل، 1987م، ص136-140 .

6- Katz , L . , G . , Current Issues In Early ChidHood Education , Washington , ERIK , Resources In Education , Sept . 1987,p158 .

7- نبيل السيد حسن: العلاقات الأسرية وأثرها في الاستعداد الذهني والتحصيل الدراسي لدى الأطفال، المؤتمر السنوي الرابع للطفل المصري، جامعة عين شمس، ابريل، 1991م، ص485 .

8- كمال الدسوقي: النمو التربوي للطفل والمراهق، بيروت، مكتبة دار النهضة العربية، 1979م، ص335 .

9- علي محمود التويجري: الأسرة والتحصيل السلوكي والدراسي للطالب، مجلة كلية التربية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، قطر، 1990م، ص108-109

10- عائشة السيار: الأسرة والأنشطة المدرسية، مجلة التربية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم -قطر، 1990م ، ص 109.

11- محمد فوزي عبد المقصود: دور التربية في رعاية أطفالنا الموهوبين، المؤتمر السنوي الأول للطفل المصري، جامعة عين شمس، مارس، 1988م، ص472 .

12- سيد إبراهيم الجيار: التربية ومشكلات المجتمع - مجموعة دراسات، القاهرة، مكتبة غريب، ط2، 1977م، ص36-39 .

13- سامي ملحم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، عمان،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2000م ، ص67.

تقنية أشغال النسيج لدى طلبة الفنون بين الإبداع والتطبيق

د.حسن مولود الجبو
كلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية

مقدمة:

التقنية في اللغة العربية هي العمليات التي يمر بها إنتاج أي عمل فني أو صناعي حتى يصبح منتجا[1] قائما.

وفي لسان العرب كلمة تقن "أتقن الشيء: أحكمه" إحكامه، والإتقان الإحكام للأشياء وفي تنزيل العزيز الحكيم (صنع الله الذي أتقن كل شيء) ورجل (تقن) وتقن متقن للأشياء حاذق، وتقن اسم رجل كان يجيد الرمي ويضرب به المثل ولم يسقط منه سهم وفي مختار الصحاح "تقن" تعني إتقان الأمر إحكامه ويرى "كولدج وود "أن كلمة تقنية مشتقة من اليونانية وهيTEXVH، والدالة على الفن وهي تشمل كل المهارات والعمليات الداخلة في الفن، فالتقنية في صنع إناء مزخرف تتضمن ما في هذا المنتج من مهارات لازمة لإنتاجه، كذلك تتضمن النواحي الجمالية أما "توماس منرو " فالتقنية عنده تعني جانبين

الأول: مجموع المهارات والعمليات الفعلية نفسها التي يمر بها الفرد المشتغل للوصول إلى منتج قائم محدد المعالم فعلا .

والجانب الثاني: فهو يعني المعرفة النظرية أو العلم الذي ينمو ويتطور بصدد المهارات التي تكتسب من خلال التطبيق[2].

ويرى أهل علم النفس أن التقنية مصطلح يستخدم للدلالة على مجموع الطرق العلمية الكفيلة بتقدير ردود الفعل الإنساني، ويأتي منها التقنين كاصطلاح مستخدم في تصميم وتصحيح الاختبارات من أجل حصر الأخطاء وانتقائها والسعي للتقليل من وقوعها.

إن التقنية بعد هذا السرد نستطيع أن نقول عنها بأنها مجموع العمليات والمهارات التطبيقية والنظريات العلمية والمعرفية المرتبطة واللازمة لإنتاج أي

عمل فني، هي كذلك تصبح مجموع الأسس والقواعد التي يمكن أن يقاس بها قدرة الفنان على ممارسة الفن والتعبير عن الموضوع الذي يمارسه.

إذن فالتقنية هي القاعدة التي تقاس بها مهارة الأداء عند الممارسين سواء للفن أو لغيره من الممارسات التي تحتاج تحديد مستوى الأداء .والمهارة ترتبط بالتقنية عن طريق المدى الذي يمتد ليصل إلى البعد الذي يرغب فيه ممارسة المهنة .

مشكلة البحث:

لاحظ الباحث من خلال الممارسة العلمية في التطبيقات النسيجية للطلبة الدارسين في قسم التربية الفنية بكلية التربية الخمس جامعة المرقب بأنها يمكن أن تكون مصدرا مهماً لما تحتويه من تأثيرات[3] إبداعية وتطبيقية في الأساليب والتقنية اليدوية العالية والقدرة الهائلة والإبتكارات الزخرفية في الوحدات والعناصر والانسجام في اللون والمساحات المنسوجة، فهي تعود بالنفع الكبير في تنمية الثقافة الفنية في مجال التربية الفنية .

هذه الأساليب والحرف الفنية والتقنية في الإبداع والتطبيق خاصة المتمثلة في العناصر الزخرفية والمساحات اللونية بالرغم من قيمتها الفنية والاهتمام بها مازالت تفتقر إلى اهتمام علمي اختصاصي بمجال التربية الفنية للكشف عن الأبعاد الفنية والثقافية[4] بأسلوب علمي يكون محوره التطور للاستفادة منه بشكل أكثر في مجال التربية الفنية، الأمر الذي يمكن أن يوفر فرص عمل لخريجي المستقبل في بلادنا الحبيبة واستثمار اقتصادي يمكن أن ينهض بثروة الخامة الحيوانية الطبيعية (الصوف) والتي مازالت مهدورة إلى غاية تاريخ إعداد هذا البحث بحسب علم الباحث الأمر الذي يمكن أن يكون من أهم المصادر للثروة الطبيعية والصناعية والاقتصادية.

لذلك رأى الباحث وضع دراسته هذه في التساؤل الآتي:

هل لأشغال النسيج أبعاد فنية وثقافية وصناعية واقتصادية وهل لها دور كبير يسهم في التقنية والإبداع لدارسي التربية الفنية.

أهمية البحث:

1- هذا البحث يعتبر ذا أهمية مباشرة بالنسبة لطلبة التربية الفنية لأنه يعد مرجعاً علمياً يكون مسانداً لهم في دراستهم المنهجية الحالية والمستقبلية.

و- يعتبر هذا البحث إضافة جديدة للمكتبة الليبية في مجال أشغال النسيج اليدوية.

2- تكمن أهمية هذا البحث في كونه تجريبي في دراسات الفنون الأمر الذي يساهم في انتشاره والاهتمام به وذلك للحاجة الضرورية لهذا المنهج والابتعاد عن المناهج النظرية في تدريس الفنون لأنها لا تساعد في تشكيل مواهب الطالب.

أهداف البحث:

1- يهدف البحث للاستفادة من أعمال الطلبة المنفذة في مادة أشغال النسيج في تطوير وترسيخ مجال الفنون وأهميتها في بناء المجتمع من جميع النواحي الصناعية والاقتصادية.

2- إبراز التباين المختلف بين أعمال الطلبة في مجال أشغال النسيج اليدوية وجودتها التقنية وبيان الأبعاد الجمالية والإبداعية.

حدود البحث:

تتجسد أبعاد هذا البحث في تناول فنون أشغال النسيج بالتجربة العملية مع طلبة التربية الفنية للسنة الجامعية الأولى بكلية التربية بالخمس بجامعة المرقب في العام الجامعي 2013 - 2014م.

منهج البحث:

اتبع الباحث في دراسته هذا المنهج الوصفي التطبيقي للوقوف على إمكانيات التقنية اليدوية والأبعاد الفنية والأدائية والخامات والأدوات المستعملة في عمليات التسدية بمادة أشغال النسيج.

تطبيقات التقنية في أشغال النسيج:

تعتبر الدراسة في هذه المادة أي أشغال النسيج من المواد التطبيقية الضرورية والمهمة لأنها تغرس في الممارس أخلاق الصبر والذوق والإبداع فهي تعطي القدرة على التفكير العلمي السليم بالنسبة للمتخصص في مجال التربية الفنية خاصة فهي تسمح بإظهار القدرات المكنونة داخل الإنسان، والتي يخفيها مع نفسه البشرية فتنطلق من خلال ممارسته للتقنية التطبيقية والإبداع والتشكيل الفني، فالنشاط التطبيقي حوار بين الطالب والعمل الفني.

إن العمل الفني الذي يحاول فيه الطالب المتخصص في مجال الفنون من خلاله إبراز ابتكارات جديدة لما يسمى تأثيرات إبداعية في التطبيق من خلال التقنية والمساحات في اللون والقيم للقطع النسيجية بأشكالها المختلفة والمتمثلة في تكرار المساحات اللونية وبأحجام مختلفة بهدف الإبداع، فالفنان بطبيعته لابد أن يكون مبتكراً تحت التجريب بمعنى أنه يريد أن يقدم الجديد دائما وهذا ما يؤكده "جون ديوي" فهو يعتبر من السمات الجوهرية[5] للفنان أنه يولد مجرب وبدون هذه السمة أو الخاصية يصبح الفنان مجرد أكاديمي نظري وإذا كان الفنان الطالب ملزما أن يكون مجربا فذلك لأن عليه أن يعبر عن خبرة ذات طابع فردي عميق لذلك، فالنشاط التجريبي في الفنون التطبيقية يعني التدريب على كيفية تكوين أعمال تطبيقية مبتكره[6] وجديدة ومركبة تركيبا فنيا مبدعا تتضمن معاني ودلائل معينة تصبح بواسطتها اختلافا إلى حد كبير عن الأعمال السابقة نجد أنها تمثل بذاتها أحد المحاور المهمة في النشاط التجريبي فهي بذلك تعتبر الوسيط المادي الذي به ومن خلاله يتم التعبير والتشكيل في عملية التسدية والتكوين اللوني من خلال التقنيات النسيجية المختلفة. من هنا تبدأ حاجة الإنسان إلى الإبداع كنظام كوني محكم البنيان يتميز بقدرة الخالق المبدع العظيم الذي أحكم نظام بناء كل شيء على نسق غير مسبق بإبداعية مطلقة يؤكدها قول الله تعالى في كتابه العزيز﴿**الله الذي رفع**

السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (الرعد:2)

كذلك ينبهنا الله تعالى في كتابه العزيز إلى التأمل في الطبيعة، فيقول ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾** (الغاشية17-20)

وإن هذه الحاجة المتصلة بحاجتنا إلى الإبداع كأحد أهم روافد التعريف بأهمية الإبداع والنظام البنائي الكوني بمقدراته المتنوعة في التنسيق والإخراج الإبداعي، الأمر الذي يجعل التعريف بالإبداع على أنه التطبيق العملي لمجمل النظريات العلمية بالوسائل التي تحققها حيث نجده مرتبطاً بها من يحمله من القواعد الخاصة التي تستخدم في أداء حرفة ما مثل حرفة أشغال النسيج من أجل إثارة انتباه الآخرين، فالتطبيق القصدي[7] أي التدريب الذي يمارسه الطلبة في مادة أشغال النسيج نجده يرتبط بالكشف عن نظام البناء في كل المكونات سواء من الناحية المادية أو الناحية الوجدانية، يدل على أهمية الفن والإبداع بالنسبة للمشاهدين فكيف يمكن أن تكون حياة المتذوقين بدون أن تعتمد على نظام يحققها، فالإبداع في نظر الكثير من أهل الفلسفة هو الذي يحقق ذلك التوازن المنشود في الحياة العامة للناس وفي ذلك نجد "جون ديوي " يقول: " لا سبيل إلى فهم الفن في ذاته، بل لابد من اعتباره عنصرا مؤثرا في عملية تكيف[8] عامة تتم بين الإنسان والعالم الخارجي" من هذا المنطلق نرى أن الإبداع ذلك الأداء الذي يحققه فنان أو ممارس له ويستمتع به إنسان آخر لابد وأن يكون هناك قدر مشترك بين من أنتج ومن استمتع بالنظر له، وهذا القدر المشترك يتصل إتصالا مباشرا بالبنية الإبداعية التي ترتبط بالعلاقات الممكنة في تحقيق الممارسة الفنية، وهذه العلاقات تتم عن طريق مجموعة من الأجهزة الساعية في البحث النظامي والبنائي بناء كمجموعات إنسانية فتحقق دورة بناء العمل في الفنون الإبداعية.

إن التطبيق الفني يعد ممارسة ميكانيكية ذاتية الأداء في التذوق الإبداعي بها يحقق للممارس في أشغال النسيج رصيدا كبيرا من المعرفة التطبيقية والرمزية[9] التي من شأنها أن تسهم في بنية قوية لممارسها كمهنة وظيفية، وهذه العملية هي التي توضح العلاقة بين الابتكارية والدافعية في الانطلاق حيث نجدها قوة دفع بمثابة المولد الأساسي للطاقة الموجهة في النشاط وهي عامل جوهري في التفكير، وبدون دافعية وافرة لن يستطيع الممارس استخدام التفكير بطريقة مثمرة تتصف بالنشاط والقوة، فبذلك يتأكد لنا وجود علاقة موجية متبادلة بين الابتكارية والدافعية، فالعمل الفني التطبيقي يعتبر محصلة نتاج تفاعلي بين الفنان كإنسان له تكوين داخلي تتمثل في المشاعر والأحاسيس بأسلوب متميز والإنسان في العقل والمعرفة والتفكير والوجدان والانفعال والجسم والحركة ومهارة الأداء هذا التكوين يتفاعل مع البيئة المحيطة بمكوناتها المادية والمعنوية .

وفي هذا السياق يؤكد "موريس باريت" على أن التعبير الفني يمكن التعرف عليه أو تمييزه في كليته أو في وحدته في العناصر[10] المكونة له كما يمكن تحديده بواسطة مكوناته السطحية الثلاثة الأساسية وهي :

1- الإدراك = Perception

2- الأداء = Performances

3- التركيب = Structure

إن هذه المكونات تتواجد في أسلوب مترابط ومتداخل في العملية الفنية التي تنتهي بإبداع فني يوصف في شكل بصري ناتج عن عمليات تنظيم في الخبرات والمفاهيم الذاتية باستخدام وسيلة مناسبة حيث تناول "باريت" هذه المكونات الثلاثة في دراسته الآتية :

1- **الإدراك:** اعتبره أحد المكونات المتصلة بالمفاهيم حيث يهتم بالواقع الفردي والاستجابة للشعور والخبرة، والتعرف على الظاهرة والرموز، وتؤدي العناصر

المكونة للعمل الفني (الإدراكية) من خلال الحس والعاطفة وتداعي الأفكار والاستدلال.

2- **الأداء:** كون في العمل الإبداعي من خلال الاهتمام بالطبيعة الفيزيقية للعالم وطرق استغلالها كوسائل لفهمها والعمل على تطويرها بخامات أكثر اقتصاديا فهي الوسيلة التي من خلالها يمكن التعبير وتوصيل الأفكار والدوافع والمشاعر التي تعبر عن الإدراك والاستخدام الفعال لهذه الخامات، فيتحقق من خلال هذه الأساليب المتطورة الأداء الممكن.

3- **التركيب:** فهو يهتم ببناء الشكل البصري الذي يستخدم لتوصيل المفهوم من خلال التكوين في الخامات .

فيما سبق يمكننا أن نستنتج أن الفن والإبداع ينتج عن تطبيق وممارسة هادفة إلى تحويل العمل الفني إلى أسلوب ذاتي يقوم بها فنان أو ممارس لعمل فني يتميز بالموهبة وقدرات إبداعية وثقافية.

فالعمل الفني المبدع ما هو إلا تفاعل مجموعة من العوامل مع بعضها ويحولها الممارس بتكوينه وأسلوبه المميز بنظام خاص به، وأن العمل الإبداعي ينتج عن تفاعل عمليات تفاعلية[11] معقدة بين وحدتين أساسيتين هما:

أولا: وحدة الداخل يكون منها الممارس بكل مكوناته الجسمية والعقلية والوجدانية والنفسية والاجتماعية .

إن المكونات الفعلية لهذه الوحدة تشتمل على ثلاث فئات ألا وهي الجسم والعقل والنفس، ومن الجسم نحصل على القدرة الحركية التي تزود جميع أعضاء الجسم بميكانيكية الأداء المطلوب في ممارسات الفن وخاصة تلك التي لها اتصال مباشر بهذه التطبيقات، وهي عملية النظر وتحقيقها على توصيل ما تراه إلى العقل وتصنيف الأشكال والرموز والنظم الجمالية والإبداعية المحيطة، وتميزها فهي تساهم في دفع الفنان نحو ممارسة عملية الإبداع في العمل الفني، أما اليدين والأصابع فهما وسائل الممارسة المباشرة والتي تتطلب قدرا كبيرا من القدرة على

الحركة الأدائية السلسة كالمساعدة على أن يحقق الطالب الممارس غايته في صياغاته الفنية المتنوعة بتنوع مجالات الفن.

أما العقل بما يطلب منه في القدرات العامة الذكاء الموجه أو ما يطلق عليه الذكاء الفني أو الذكاء الجمالي ,وترمز هذه القدرة إلى العلاقة بين الذكاء العام والقدرة على الأداء الفني، فالعمل الفني ينتج عادة من وجهة نظر "مايز" عن تنظيم ذكي لمادة الخبرة التي يحصل عليه الفنان، هذا التوظيف المقصود لحصيلة خبر الفرد هو في الوقت نفسه نوع من الذكاء الموجه في مجال الفن كذلك يصنف الإدراك بمتطلبات العقل الأساسية حيث نجده في العملية البصرية للفنان الممارس للفن ,فهي تعد ذات اهتمام كبير بمركز التنشيط الفني لدى الإنسان، الأمر الذي يؤسس الخبرة له لأنها تربطه مع الناس الآخرين المحيطين به، بالإضافة إلى الإدراك والتصورات البصرية والمعالجات الذهنية، والإدراك يجمع بين فئتين إدراك حسي وإدراك كلي.

أما القدرات الخاصة بمجالات[12] الفن التشكيلي والتي يجب أن تدخل ضمن إطار الجانب العقلي من مكونات الممارس للفنون التطبيقية، فإن التفكير المتشعب أو المتعدد أو المتفتح فهي كلها مسميات دالة على التفكير غير التقليدي المرغوب عند القيام بوضع ابتكارات لمعالجة مشكلة فنية معينة، وقد أكدت الدراسات التربوية والنفسية وكذلك الفنية على أن هذا النمط من التفكير يتميز بوجود عوامل الأصالة[13] والطلاقة والمرونة فيه، وهي العوامل التي يتضمنها العمل الفني خاصة في مجال أشغال النسيج وأيضا فهي تدخل من ضمن المكونات الأساسية الدالة على أسلوب الممارس للعمل الفني، فهو يجعل الممارس في استفادة كبيرة لمجالات الفنون التطبيقية الخاصة، لأنه يعيش فيه الجانب العقلي على مساحة من عوامل التذوق الفني الذي يعتمد على قدرات التفكير الناقد الناتج عن عمليات التقويم متعددة الخاصية، فهي عملية معيارية تدخل في تحقيق قدرة الملكية على إصدار الأحكام

على المكونات المحيطة بالممارس واختيار النظم وتحليلها والتعامل معها لتكون دوافع ابتكارية لممارس الفنون التطبيقية.

وفي الجانب النفسي فإن الانفعالات والوجدان هما رصيد الطاقة النفسية التي يعتمد عليها الممارس لعمله الفني وعلى رأسها دافعية التعبير الفني لما تحققه عمليات التهيؤ لممارسة الفنون التطبيقية، الأمر الذي يدخل من ضمن العوامل الذوقية للأعمال الفنية مثل الحساسية الجمالية والتفضيل الفني والحكم الجمالي والتي يستخدمها الفنان كعوامل أساسية تساعده على الكشف عن قوانين الجمال وقوانين الإنشاء القيمي في كل ما يحيط بالممارس من مكونات يتعامل معها، وينفعل بها ويحدد من خلالها الإطار التي يعمل في كنفها.

كذلك تأتي القدرة على إمكانية التحويل بشكل عملي والتي تعتبر على درجة كبيرة من الأهمية، فمن غير الضروري أن يتفاعل الممارس مع المكونات المحيطة به وأن يستمتع بها ويكتشف ما فيها من علاقات جمالية، وإنما المهم السعي نحو التعرف على القوانين الإنشائية لهذه المكونات الجمالية، ثم العمل على تحويل هذه المكونات إلى تعادل فني عن طريق إظهاره القدرة على وضع الرمزية وإضافة عناصر جديدة مبتكرة تحددها طبيعة المجال الفني الذي يقوم به الممارس، فهي تعتبر القدرة على التحويل والإنتاج وهي كذلك تحول الأشكال المحيطة إلى أشكال ورموز تعبيرية فنية مكونة للعمل الفني.

ثانيا:وحدة الخارج فهي تشتمل في مكوناتها الفعلية على فئتين هما البيئة والمجال الفني .

أ- **البيئة:** فهي شاملة لطبيعة الكون ونظامه العام في قوانينه الأساسية التي أوجدها الله سبحانه وتعالى وحده دون شريك في هذه القدرة الربانية، والفنان يستطيع أن يأتي بالجديد لباقي الإنسانية، ولكن يبقى خاضعاً إلى قوانين ونظم الإنشاء التي أوجدها الله سبحانه وتعالى فهو القدير العلي، وأن هذه القوانين والنظم يراعي فيها الفنان لمسات الجمال والإبداع سواء أكانت تلك الأعمال مادية محيطة بنا مثل

الجبال والسماء والأشجار والطيور والحيوانات والحشرات وغيرها من مكونات أخرى غيبية عظيمة الدلالة مثل الجنة والنار والملائكة والشيطان .

إن الفن ماهو إلا مضاهاة للطبيعة وما تحمله من جمال يسعى الفنان دائما بالتدريب أن يعبر به في إبراز القدرة الإبداعية من خلال مشاهدته للعديد من الأشكال في الطبيعة ويحولها إلى نظام خاص به يكون الابتكار.

فالنظام الكوني البنائي والجمالي العام الذي يستمد فيه الفنان مفردات القيم الفنية[14] التي يبحث عنها ويعمل على تحقيقها في أعمال الفن خاصة التطبيقية منها مثل التراث الحضاري الذي استطاع ممارسوه أن يؤسسوا بعض القوانين والنظم والقواعد التي كانت مساهمة في تأسيس حضاراتهم، فأصبحت بعد ذلك تراثا يتم دراسته والاستفادة منه، الأمر الذي ساعد على تنمية موارده الثقافية وإضافة تراث جديد إليه من تراث موروث مسبقا، مما يعمل على تحقيق النمو الحضاري وهو ما جعلنا الآن نعيش عصر التكنولوجيا والتطور والتقدم الذي وصلت إليه الإنسانية مرورا بعصور كثيرة.

ب- المجال الفني يكون من خلال المصدر الأساسي في بناء العمل الفني والنظام الذي يتبعه الفنان ويعتمده عمليا لتحقيق التعلم والممارسة، فهو يعد ذا مقومات ودلالة وخصائص وعلى كل يمارس الفن أن يمتلك هذه اللغة بكل مقوماتها وخصائصها التي تنتج لنا من خلال بنية العمل الفني مثل :

1- عناصر بناء العمل الفني مثل الخط والمساحة والحجم واللون .

2- قواعد بناء العمل الفني مثل الضوء والمنظور والمسافة والنسبة والتناسب .

3- وسائط بناء العمل الفني مثل الخامات والأدوات والمعدات .

4- قيم التعبير الفني وهي أن يعمل الفنان على تحويل القيم الجمالية في العمل الفني إلى قيم فنية تفاعلية مع بعضها داخل حدود هذا العمل، وذلك من أجل تحقيق لحظة الشد والاستمتاع المستمر خاصة للمتذوقين.

الإطار العملي:

أجريت هذه التجربة العملية المرتبطة بالدراسة التطبيقية مع طلبة التربية الفنية بكلية التربية الخمس بجامعة المرقب الأولى في العام الجامعي2013 – 2014م وقد استهدف النشاط التجريبي الأهداف الآتية:

1- التعرف على التأثيرات التصميمية واللونية والجمالية المبدعة منها في أشكال مختلفة.

2- إدراك الدور الإيجابي للنشاط التطبيقي في مجال أشغال النسيج.

3- تحقيق القيم الإبداعية في أشكال مختلفة للاستفادة منها في تجميل الأماكن المخصصة لها بطرق مناسبة .

4- تعريف الطالب بأنواع التسدية وطرقها وأنواع الأنوال المستخدمة في صناعة النسيج اليدوي.

حدود النشاط التطبيقي:

اقتصر النشاط التطبيقي في هذه الدراسة على كيفية التسدية بالأنوال اليدوية (التدريبية)

يقتصر النشاط التطبيقي في هذه الدراسة على الخامات الآتية:

خيوط اللانه بألوان مختلفة

مسامير 3سم –إطار خشبي تكون مقاساته –60×40مطرقة صغيرة.

خطوات النشاط التطبيقي:

1- تعريف الطلاب بالإطار العام للنشاط التطبيقي، وقد اشتمل ذلك على جوانب معرفية مرتبطة بإبعاد هذه التقنية كأحد أساليب الصناعة في النسيج بالطريقة اليدوية (التدريبية) من حيث المتطلبات للأدوات والخامات المستخدمة وطرق التقنية وأنواع التسدية والسمات المميزة لهذه الطريقة من التسدية .

2- إجراء تجارب تدريبية أولية حرة على كيفية تحقيق تأثيرات مختلفة باستخدام قطع إبداعية مبتكرة بأذواق الطلبة في أشكال مختلفة بهدف تعريف الطلاب بالإمكانيات العلمية المختلفة لتلك الأنواع من التسدية .

3- تدريب الطلاب على كيفية استحداث تأثيرات تصميمية جديدة من حيث التركيب في اللون والأشكال في المساحة

4- العمل على إتاحة الفرصة لكل طالب متخصص في مجال الفنون التطبيقية خاصة لاستثمار مكتسباته المعرفية والمهاراتية المتكونة لديه في تحقيق مجموعة من التأثيرات التقنية المختلفة في أشغال النسيج.

شكل رقم (1) يوضح تكوين النول اليدوي (التدريبي) وكيفية تركيب خطوط السدى واللحمة عليه

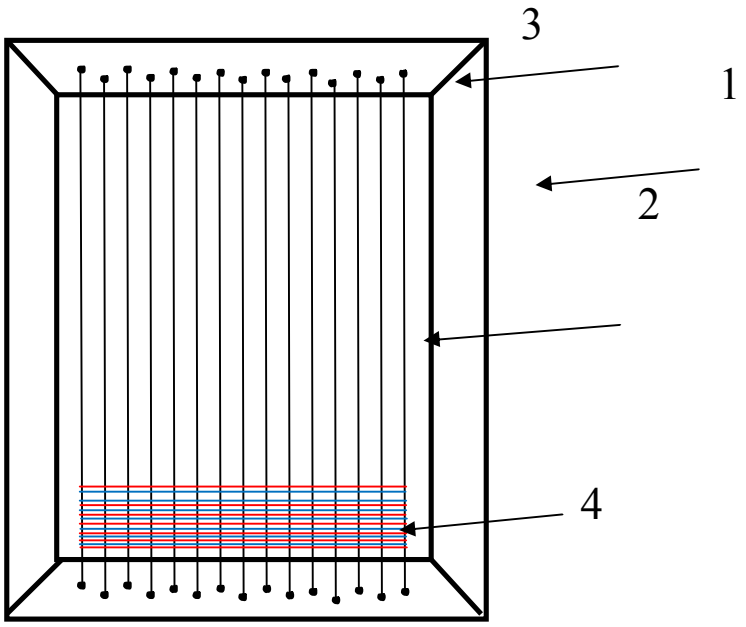

1 - إطار خشبي متين بمقاسات: الطول 60سم، العرض 40سم، سمك الخشب 3سم.
2 - خيوط سدى (جداد).
3 - مسامير حديدية مقاس (3) سم.
4 - خيوط اللحمة (خيوط لانه بألوان مختلفة).

وفي ما يأتي نعرض عليكم عدد من أعمال الطلبة في أشغال النسيج اليدوي.

الأعمال من 1 – 4 توضح تقنية نسيج $\frac{1}{1}$

الأعمال من 5 – 8 توضح تقنية نسيج $\frac{1}{2}$

الأعمال من 9 – 12 توضح تقنية نسيج $\frac{1}{3}$

الأعمال من 13 – 16 توضح تقنية نسيج $\frac{1}{4}$

الأعمال من 17 – 20 توضح تقنية نسيج $\frac{1}{5}$

نتائج الدراسة:

1- إن الأسلوب التطبيقي لأشغال وتقنية النسيج يمنح قدرا كبيرا من الإحساس بأهمية التعلم والدفع بعملية الذوق ومستواه لدى الطلبة الممارسين في هذا المجال .

2- التقنية في أشغال النسيج تعتبر من أساسيات العمل الجماعي المفيد في العملية التعليمية بمجال الفنون.

3- طريقة التسدية اليدوية لأشغال النسيج تمنح الاستثمار والابتكار لخامات ترتبط بالعمل التراثي في المجتمع الليبي.

4- النشاط التطبيقي يكون تجارب إبداعية مبتكرة من خلال تجارب الطلبة في أشغال النسيج.

المراجع

(1) جمال الدين بن منظور :لسان العرب ,دار صادر ,بيروت 1968,م,ص 190

(2) أرنست فيشر:ضرورة الفن(ط) (2ترجمة اسعد حليم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ,القاهرة 1986م,ص .14

(3) ايتان سوريو :الجمالية عبر العصور)ترجمة ميشيل عاصم(منشورات عويدات ،بيروت1982,م,ص.34

(4) اردنولد هاوزر:الفن والمجتمع عبر التاريخ)ج 1ط (3ترجمة فؤاد زكريا ,دار الكتاب العربي ,القاهرة ,1969,ص .33

(5) علي محمد المليجي :الابتكار و دافعية التعبير عند الفنان التشكيلي ,حولية كلية التربية ,العدد السادس ,الدوحة 1985م ص.57

(6) سيرل بيرت كيف يعمل العقل)ج) (2ترجمة محمد خلف الله) لجنة التأليف والترجمة والنشر ,القاهرة 1946,م,ص.82

(7) فؤاد ابوحطب :التفضيل الفني وسمات الشخصية ,المجلة الاجتماعية القومية ,القاهرة 1973م ,ص 22

(8) حمدي خميس :التذوق الفني ,المركز العربي للثقافة والعلوم ,بيروت 1975م ص43

(9) عبدالفتاح رياض :لتكوين في الفنون التشكيلية ,دار النهضة ,القاهرة ,1973,ص.142

(10) فايقة حنا :الفن في حياتنا اليومية ,مكتبة الأنجلو المصرية والقاهرة ,1971,ص23

(11) مصطفى الرزاز :التجريب والتصميم في التربية الفنية ,صحيفة التربية ,العدد الثاني 1984,م,ص .13

(12) فتحي الباب عبدالحليم وأخر :التصميم في الفن التشكيلي عالم الكتاب ,القاهرة 1971,م,ص16

(13) هربرت ريد كالفن والمجتمع)ترجمة فارس متري صناهر (دار العلم ,بيروت 1975,م ,ص 31

(14) نبيل الحسيني :الفن والتوافق الجمالي ,مؤسسة الشرق الدوحة 1984م ,ص51

Literary Devices Used In Hamlet: An analytical study

أ. فجرة سليمان الكيلاني
كلية الآداب بالزاوية ـ جامعة الزاوية

Abstract

In general,theliterary devices are a collection of universal artisticstructures that are so typical of all works of literature frequentlyemployed by the writers to give meanings and a logical framework to their works through language. When such works are read by readers, they ultimately recognize and appreciate them. Because of their universality, they also allow the readers to compare a work of one writer to that of the other to determine its worth. They do not only beautify the piece of literature but also give deeper meanings to it,testing the very understanding of the readers along with providing them enjoyment of reading. Besides, they help motivating readers' imagination to visualize the characters and scenes more clear.

Introduction

This study deals with an analytic study on literary devices used in Shakespeare's play: Hamlet. In this study, the researcher examines the deviceswhich are important in any literary work. The main purpose and concern of this study is to add another perspective look to the enormous existing body of the literature review. The audience or the reader expects to receive wisdom and pleasure by adopting the dramatic devices which help in unity and probability of the drama. Theyshould pay attention to the auditory material of a play. In fact, all aspects of sound should be taken into consideration. For example, one should pay attention to the repetition, rate, and quality of sound. Also, the visual aspects of production should be taken into consideration. Shakespeare is the most popular dramatist of the Renaissance. Heis known not only to his age but to all ages. Shakespeare

produced 37 plays and his career has been divided into four periods. In the period of tragedies, he wrote many plays like Hamlet, King Lear, Macbeth and Othello. Shakespeare's language is highly poetic, beautiful and powerful. This is because of his comparison, imagery, puns and word play.

What is a literary device?

A literary device is a technique used by a writer to convey a message. Shakespeare used many different literary devices in his plays, and this research will discuss some examples found in Hamlet. This research discusses repetition, metaphor, simile, anadiplosis, anaphora, alliteration, allusion, archaic, analogy,kairos, hendiadys, personification, meter and soliloquy.

Repetition

Repetition: the repeating of words for emphasis.

Hamlet: I humbly thank you; well, well, well.

Hamlet: Words, words, words.

These two quotes use a repetition of a single word three times for emphasis.

Metaphor

Metaphor: a comparison between two things (that does not use 'like' or 'as'). Hamlet: Whether 'tis nobler in the mind to suffer

The slings and arrows of outrageous fortune,

Or to take arms against a sea of troubles, and by

Opposing end them?

In this quote, Hamlet compares his troubles to a sea. This tells us that Hamlet sees his troubles as vast, large, and seemingly endless, much like a sea.

Hamlet: who would fardels bear,

to grunt and sweat under a weary life,

but that the dread of something after death,

theundiscover'd country from whose bourn,

no traveller returns.

Hamlet compares death to an undiscovered country. This comparison tells us that Hamlet sees death as something unknown or foreign.

Another implied metaphor is when Hamlet explains that he has little value for his miserably saddened life, thus little fear of losing it from an encounter with a ghost. When Horatio worries about his friend approaching Old Hamlet's ghost, Hamlet notes: Why, what should be the fear?

I donot set my life in a pin's fee; (Hamlet, Act 1, Sc. 4, lines: 67-68).

What Hamlet means is that the cost of a pin(an insignificant cost as pins are usually sold many at a time for one price)is worth more than Hamlet's life, or so he feels in his tragic circumstances of a dead king and father and an abominably remarried Queen and mother.

Also, there is another example for this device:

"Doth make the night laborer with the day?" (line: 77).

Marcellus uses this metaphor to explain the difference between day and night that means both work together. In fact, here he is referringto the preparations of warriors for war, which is a twenty-hour operation.

Simile

Simile: a comparison using the words 'like' or 'as'

Hamlet: A little month, or ere those shoes were old with which

shefollow'd my poor father's body, like Niobe, all tears.

This quote compares Queen Gertrude to Niobe, a character from Greek mythology. The gods killed Niobe's children and she wept bitterly, unlike Queen Gertrude who did not seem to show much emotion for the death of her husband, Hamlet's father.

Claudius:His beard was as white as snow.

In this quote,Claudius is talking to himself about Hamlet's father, who he murdered. He compares the beard of Hamlet's father to snow because of its white color.

Gertrude: These words, like daggers, enter in mine ears.

Hamlet's cruel words to his mother are more than she can bear. Gertrude compares the words to daggers because they hurt her feelings like daggers might hurt her body.

Anadiplosis

Anadiplosis: ending a phrase with a word and starting the next phrase with the same word.

Hamlet: To die, to sleep;

To sleep: perchance to dream.

One phrase ends with 'to sleep' and the next phrase begins with the same set of words: 'to sleep'. This literary device creates a flow and connection between the two phrases.

Anaphora

Anaphora :repeating the same word at the beginning of each phrase.

Polonius: Doubt thou the stars are fire;

Doubt that the sun doth move;

Doubt truth to be a liar;

But never doubt I love.

The word 'doubt' is repeated at the beginning of each phrase except for the last phrase. The point of this literary device is to repeat the things to doubtto build correlation, and then emphasize in the last line that his love cannot be doubted.

Alliteration

Alliteration: the repetition of the same sound or letter in words.

There are many examples of the repetition of words with the same letter in Hamlet.

O, 'tis too true!

Bare bodkin

Single spies

Bad begins

Marcellus tells Horatio about the ghost in these lines. Shakespeare here uses alliteration to intensify the effect of horror of the Ghost. The letter 'w' is repeated here in this line as:

"with us to watch."

"Therefore I have entreated him alone,
With us to watch the minutes of this night." (lines: 26-27)

Allusion

Allusion: references to other symbols, stories, and pieces of literature.

There are two main types of allusion in Hamlet: allusion to Christian symbols and stories and allusion to Greek and Roman mythology.

Hamlet: The spirit that I have seen.

"The fair Ophelia. -Nymph, in thy orisons / Be all my sins remembered"(a nymph is a mythological entity, or mythological allusion).

As an allusion, Polonius notes that he once acted the part of Julius Caesar and was stabbed by Brutus. This is an historical allusion to the Roman Emperor, Julius Caesar, and one of his assassins. The allusion also provides foreshadowing of what will come because it will be the way that Polonius dies: Hiding in Gertrude's room behind a curtain ("arras"), Hamlet stabs him believing him to be a traitor in Queen Gertrude's room. I did enact Julius Caesar; I was killed i' the Capitol;

Brutus killed me. (Hamlet, Act 3, Sc. 2, lines: 98-99).

Other lines in Hamlet:

" In the most high and palmy state of Rome,
A little ere the mightiest Julius fell,
The graves stood tenantless and the sheeted dead,
Did squeak and gibber in the Roman streets."
(lines: 113-117).

Horatio uses a notable literary device, allusion. In these lines, he alludes to the assassination of Julius Caesar, while comparing this Ghost's arrival to that of the eruption of the graves. Here "palmy" means growing and flourishing robustly. He refers to the time when the imperial Rome was at its full glory, and became a huge empire with the rise of Julius Caesar. The murder of Caesar caused a turning point in the history of Rome. Then, it was

followed by a series of events, finally leading to utter chaos and disorder.

Archaic

Shakespeare has used several archaic words, as was the tradition at that time.A few examples are given below:

BARNARDO. "Tis now strooktwelf. Get thee to bed, Francisco.

FRANCISCO. For this relief much thanks. 'Tis bitter cold And I am sick at heart. (lines: 7-9).

The words "Tis, Strook, Twelf" are all archaic words. In fact, the very first scene is full of archaic words, as they were common during the Elizabethan period.

Analogy

An analogy is a comparison in which an idea or a thing is compared to another thing that is quite different from it. It aims at explaining that idea or thing by comparing it to something thatis familiar. Horatio compares the situation of the preparation of war with that of chaos in Rome when Julius Caesar waskilled, as he states, "A little ere the mightiest Juliusfell " (114). That is why it is exactly like the chaos prevailed in Denmark following the assassination of King Hamlet, while the same situation has been demonstrated as Shakespeare puts it that the "heaven and earth together demonstrated. /Unto our climatures and countrymen"(lines: 124-125).

Kairos

Kairos is a rhetorical device that means appropriate time for an action. The character of Horatio is a complete example of this device, as he is not only studded with philosophy but also knows everything about what is metaphysical like the ghost, as he first terms is merely a fantasy; but when he sees it again, he approves its arrival. Then his colleagues Marcellus and Bernardo also approve it. That is why they coax him,

" Though art scholar speak to it, Horatio " (line: 43).

Hendiadys

Shakespeare used a rhetorical device hendiadys in which an author expresses a complex idea by joining two words with a conjunction. It is found in the words, "gross and scope."

" But in the gross and scope of mine opinion " (line: 67).

The objective of using hendiadys in the first scene is to make the scene more verbose, so that the complexity of the situation could pose a serious challenge to the audience.

Personification

Personification is a term of a comparison in which a lifeless object is shown as if it is alive. For example:

"But look, the morn, russet mantle clad.

Walks o'ver the dew of yon high eastward hill."(lines: 165-166)

By the end of this scene, Horatio makes use of another literary device personification. He uses it by describing the arrival of dawn and says, "the morn, in russet mantle clade/ walks o'ver the dew of yon high eastern hill." We know that morning cannot wear or walk; however, here Horatio is using personification in order to depict the action and color of the rising sun in the morning.

Meter

Meter, though is a technical device,has strong relationship with the overall theme of a piece. Shakespeare is master in dealing with meter, and he has demonstrated his mastery in Hamlet by using iambic pentameter. For example:

Did squeak and gibber in the Roman streets

Is stars with trains of fire and dews of blood. (lines: 115-116)

He has used iambic pentameter, (five iambs in each line) here as stated above. This metrical pattern can be observed in the lines given above.

Soliloquy

A soliloquy is a literary device that is used to reveal the innermost thoughts of a character. Shakespeare uses soliloquies to expose fascinating insights into the thoughts and actions of

Hamlet and in doing so: the readers can grasp his character. The first soliloquy of the play, introduces the main theme for the rest of Hamlet's thoughts and actions, this soliloquy allows the audience to understand Hamlet's inner thoughts and that are repetitive throughout the play.

Secondly, Hamlets famous soliloquy "to be or not to be" portrays him as a perplexed man, who is unsure of himself and often fluctuates between two extreme endings. In this soliloquy Hamlet reveals to the audience he is both suicidal and indecisive.

The third soliloquy indicates to the audience the unmasking Hamlet's character revolution into a murder. In this soliloquy the readers are able to conclude their idea of Hamlet's character which stimulates his thoughts of revenge and his procrastination. In the play Hamlet, written by William Shakespeare, literary techniques are used to expose compelling insights of the main character Hamlet. Hamlet's opening soliloquy is a remarkably telling and revealing speech that presents a theme of attitude that will supersede continuously throughout the play.

The main focus of this soliloquy is the rottenness of the King, Queen and the world in general, thus the audience gets there first glimpse into Hamlet's character. Through this speech the readers are introduced to Hamlet's depressed and sadden thoughts. This characteristic is emphasized though the opening lines of the soliloquy, "How weary, stale, flat, and unprofitable seem to me all the uses of this word" (Hamlet, Act 1, Sc.2, lines: 133-134).He saddened at the death of his father, whom he admired as a king and husband to his mother. His grief over his father's death is compounded by his mother's hasty marriage to Claudius. Hamlet believes that even a beast that has no power of reasoning, would mourn longer but she had not. The worst part is that he cannot tell them how he feels.

This soliloquy kindles an interest in the readers and provides a glimpse on Hamlet's thoughts while informing the audience of the history of his family's tribulations.In the next soliloquy, Hamlet calls on the audience 'the distractedglobe' to hear his vow

to take revenge on his uncle. Now he promises to erase all the foolish lessons in order to remember the commandment of the ghost. The ghost that resembles his father has told him that King Claudius has murdered his father and his soul cannot rest until the revenge is taken. The audience here learns Hamlet's promise to make Claudius pay for this unnatural crime. Already the audience is excited at Hamlet's promise because it is giving them something to look forward. In the other soliloquy, Hamlet admits to the audience that he is a coward. So for his inaction like a day dreamer, he is chiding himself in this way. "O, vengeance!

Why, what an ass am!!

Then he is telling the audience about his new idea of justifying the credibility of the news provided by the ghost. This results in delay to reach his goal. Although heaven and hell urge him to take revenge, he must examine the truth through the play with the poison pouring scene.If his uncle reacts to the scene, he will be confirmed of his uncle's involvement in the murder. Now the audience have even more of a build up of what is to come.

In conclusion, it is clear from the above discussion that the audience is always being included in Hamlet's thinking process through the use of the soliloquies. Such involvement of the audience, helps the real meaning of the play shine through.It is clear from this study that an analysis shows what a piece of art means and how it means it. It shows the resources of literature are used to create the meaning of the text.

Therefore, I would like to call the literature majors for further descriptive, analytical, critical, comparative and historical studies of any literary work to clarify the hidden ambiguities in the works of others. I would like also to see literature majors devoting themselves to analytical studies of all the world literary works to understand the way ideas and feelings are talked about.

Finally, let the literature majors search for the aesthetic pictures hidden in the works of others to elevate their

understanding of the nature of things through a well developed faculty of imagination.

References

I. Books

Bigelow. Gordon E. " A Primer of Existentialism. "The Practical Stylist with Readings. N. P. , n. d.

Mabillard,Amanda. Hamlet's Soliloquy Analysis. Shakespeare Online, 2000.

Newell, Alex. The Soliloquies of Hamlet. London: Associated University Presses, 1991.

Shakespeare, William. Hamlet. Ed. Harold Jenkins. London: Methuen, 1982.

II. Online References

http://www.termpaperwarehouse.com/essay-on/Hamlet-Literary-Devices/26168 [Accessed on 20 Aug. 2016]

http://literary devices.net/hamlet-act-i-scene-i-study-guide [Accessed on 27 Aug. 2016]

http://www.studymode.com/subjects/hamlet-literary-devices-h [Accessed on 15th Sep. 2016]

http://www.apstudynotes.org/.../character-analysis-hamlet [Accessed on 22 Sep. 2016]

http:/study.com/academy/lesson/literary-devices-used-in-hamlet.html [Accessed on 28 Sep. 2016]

http://www.shakespeare-online.com/plays/hamlet/soliloquys/tobeanalsis.html [Accessed on 1st Oct. 2016]